الخطيبُ الناجح

مَواضِيع مُنوَعَة

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: (الخطيب الناجح - مواضيع منوعة)
المؤلف فضيلة الشيخ: محمد ناجي سنان
رقم الإيداع: ٢٠١٣/٨٨٢٢
نوع الطباعة: لون واحد
عدد الصفحات: ٢٧٢
القياس: ١٧×٢٤
تجهيزات فنية
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
تصميم الغلاف الأستاذ/عادل المسلماني

٢٠١٣

الإدارة
دار الإيمان
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E.mail : dar_aleman@hotmail.com



مواضيع منوعة

كتبه فضيلة الشيخ

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تُنال الدرجات ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الإنسان والكائنات ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً . . . .

أما بعد:

فهذا الجزء الثالث من سلسلة [**الخطيب الناجح**] تحت عنوان [**مواضيع منوعة**] يحوي بين طياته كثيراً من المواضيع الهامة والمفيدة ، يحتاج إليها المسلم في حياته الدينية والأخلاقية ، وقد تم اختيارها بصورة عامة ، لا تركيز فيها على جانب واحد ، بل تبحث في جوانب عدة ، ومواضيع شتى ، ولهذا تركنا للقارئ الكريم حريته في النظر والاختيار .

وقد جاء هذا الإصدار مختلفاً عن الإصدار الأول والثاني،حيث كان الاهتمام منصباً على توحيد الهدف ، وتركيز الفكرة ، ولله الفضل والمنة .

راجين من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ، ويسدد على الخير خطانا .

ونسأله التوفيق والسداد ، فهو الهادي إلى سبيل الرشاد ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأبرار

وآخر دعوانـــا أن الحمد لله رب العالمين

جمع وترتيب

محمد ناجـــي سنان

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



الجُزءُ الثَّالِثُ

مَواضِيع مُنوَعَة

الأخـــوة الإيمانيـــة

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامَ المتقين وسيد المُرسلين وحبيب رب العالمين، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ⑩ ﴾ [الحجرات : ١٠] . وقوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

فالأخـوة : أخوة إيمان وإسلام ، إذ لا أخوة بدون إيمان ولا إيمان بدون أخوة ، والرسول ﷺ قد نفى كمال الإيمان لمن لا إخوة له حيث قال رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء .

فبالأخوة الإيمانية حرر المسلمون بلاد الشام والعراق وبالأخوة الإيمانية دك المسلمون عرش كسرى وزلزلوا ملك قيصر وحققوا في العالم فتحاً مبيناً،

وبالأخوة الإيمانية الطموحة وصلت فتوحات المسلمين إلى أقصى الغرب والشرق ، عقبة بن نافع يقف على شاطئ المحيط الأطلسي يخاطب البحر بقولته المشهورة : والله لو أعلم أن وراء هذا البحر رجلاً لا يشهد أن لا إله إلا الله لخضت البحر بفرسي هذا وأبلغه لا إله إلا الله .

فضائل الأخوة و أثارهـــا :

الله عز وجل قد جعل لهذه الأخوة الإيمانية من الكرامة والفضل والأجر العظيم ما يجعل المسلمين أخوة متحابين يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة كما قال ﷺ : «**إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**، قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم ، قال ﷺ : **هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ،يستظلون في ظل عرش الرحمن يوم القيامة**».

كما جاء عند مسلم في صحيحه إن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله تعال يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** ».

ويدخلون في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما ، قال عليه الصلاة والسلام : «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**».

وعنه أيضاً «**أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته أي طريقه ملكاً فلما أتي عليه قال : أين تريد قال : أريد أخاً لي في هذه القرية قال : وهل لك من نعمة تربها عليه أي هل قدم لك معروفاً تجازيه ، قال : لا غير أني أحببته في الله تعالى ، قال الملك : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه** وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : **من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة**

منزلاً ».فمن أراد أن يذوق حلاوة الإيمان فليذق أولاً طعم الأخوة والمحبة في الله . كما قال ﷺ :« **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» وقوله عليه الصلاة والسلام : «**أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليّ من أن اعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة** » .

الحقوق المتبادلة بين المسلمين :

الرسول ﷺ قد رتب حقوق الأخوة بين المسلمين كما جاء في الحديث الأول: قوله عليه الصلاة والسلام: «**حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فأنصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه** » .

إذا لقيته فسلّم عليه : أي ابدأه بالسلام فإن السلام يجلب المودة والمحبة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم**، قالوا: بلى يا رسول الله ، **قال : افشوا السلام بينكم** » ، وروى الإمام مالك في الموطأ أن عبد الله بن عمر ﷺ خرج يوماً إلى السوق ومعه الطفيل بن أُبيّ ، فقال له الطفيل : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ؟، أي لا تبتاع ولا تشتري، فقال : يا طفيل إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقينا . أما اليوم فقد أصبحت أسواقنا أماكن للرذائل والشذوذ والمعاكسات والمغازلات بين الرجال والنساء ، وبعد أن كنا نقول للرجل المسلم : اذهب إلى السوق لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقدم النصيحة للآخرين أصبحنا الآن

نقول للمسلم الكريم والأخ العزيز: لا تذهب إلى السوق بل يجب أن تفر منه كفرارك من الأسد ، فقد أصبحت الآن تقول للرجل المسلم : السلام عليكم ، فيقول لك : هلو ، صباح الفل . الله عز وجل يقول : ﴿ **وإذا حُيِّيتُم بتحيَّةٍ فحيُّوا بأحْسنَ منْها أوْ رُدُّوها إنَّ اللهَ كانَ علىٰ كُلِّ شيْءٍ حسيبًا (٨٦)** ﴾ [النساء : ٨٦]. وبعضهم يرفع لك يده فقط .

أيضاً من حقوق الأخوة الإسلامية قوله عليه الصلاة والسلام : « **وإذا دعاك فأجبه** » : فهذا حق من حقوق الأخوة بين المسلمين أن تلبي دعوته وألا تتكبر عليه ولا تهجره فوق ثلاث لقول الرسولﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** ». لذا يجب على المسلم أن يلبي دعوة أخيه المسلم إذا دعاه إلى طعام أو وليمة،وشر الطعام :طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك الفقراء، فإجابة الدعوة واجبه إلا إذا كانت إلى محرم فهي محرمة فمن يدعوك إلى ترك الصلاة فلا تجبه ومن يدعوك إلى شرب الخمور فلا تجبه ومن يدعوك إلى دور السينما والرقص فلا تجبه .

وكذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « **وإذا استنصحك فأنصح له** »: النصيحة وما أدراك ما النصيحة ، النصيحة لإخوانك المسلمين حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « **الدين النصيحة** ، قلنا لمن يا رسول الله قال : **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** »، وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « **المؤمنون نصحة والمنافقون غششة** » ولهذا فتعهد إخوانك المسلمين بالنصيحة وإياك والنصيحة بين الناس فهي فضيحة .

وقد أحسن القائل حين قال :

تعمدني النصيحة في انفرادي	وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه

ولكن قد يسأل سائل إذا لم يستجب المنصوح للنصيحة فما الذي يفعله الناصح حينها ، يحق له أن يهجره في الله ، لان الرسول ﷺ يقول : «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله والبغض في الله** » ، وقد ثبت أن النبي ﷺ هجر بعض نساءه شهراً كاملاً زجراً لهن وتأديباً لمخالفات شرعية وقعن فيها .

الحديث الثاني : يقول ﷺ : «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربه من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**» .

«**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا** » : إن الإنسان في هذه الحياة معرض لكربات الدنيا ، معرض للفتن والمحن ، معرض للفقر والديون ، معرض للمرض والحوادث الطبيعية ، فأين المسلم الذي ينفس كربات إخوانه المسلمين وأين المسلم الذي يمسح على رأس اليتيم ويشبع جوع الفقير ، فهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه ينفس كربة من كربات إخوانه المسلمين في عام الرمادة ، تأتيه قافلة من الشام محملة بأصناف الطعام والشراب، واللباس،والمسلمون في المدينة يعيشون كربة من كربات الدنيا ، فيأتيه التجار ، تجار المدينة يعرضون عليه الربح الكثير ، فيقول لهم: قد أعطيت أكثر من ذلك ، فيزيدون في الربح والقيمة ، فيقول : أعطيت أكثر من ذلك ، فيقولون : من يعطيك أكثر من ذلك يا عثمان ونحن تجار المدينة ، فيقول لهم : الله الذي أعطاني أكثر من ذلك ، ثم يوزعها بين إخوانه المسلمين ويفك كرباتهم . وصدق الله إذ يقول : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٢٦١) ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

الحديث الثالث : قوله عليه الصلاة والسلام : « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً .. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا** ـ ويشير إلى صدره ـ **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » .

« **المسلم أخو المسلم** » : ليس أخو النصراني ولا المجوسي .

« **لا يظلمه** » : لا يمكن أن يتعدى عليه بالظلم والعدوان أو يأخذ حقه ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ، فالظلم محرم حتى مع الأعداء فكيف بالمسلمين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** (٨) ﴾ [المائدة : ٨] . الله عز وجل قد جعل الظلم من المحرمات بين العباد كما جاء في الحديث القدسي أن الله عز وجل قال : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا** » .

■ وفي قوله ﷺ : « **ولا يخذله أي لا يخدعه ولا يغرر عليه** » ، ولهذا فإن الرسول ﷺ يمر يوماً في السوق فيضع يده على صبرة من الطعام ، فيصيبها بلل من الماء ، فيقول : « **ما هذا يا صاحب الطعام ؟** » ، فيقول يا رسول الله : أصابته السماء ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « **من غشنا فليس منّا** » .

لكن كثيراً من المسلمين اليوم لا يستطيع أن يمارس حياته الطبيعية إلا بطرق ملتوية أو احتيالية ،بالكذب أو الدجل أو بالمكر والخداع ،وقد يسمى ذلك عند الناس بأنه رجل ذكي محنك ،وهو في الحقيقة غبي أبله ، لأنه عاجز أن يمارس حياته بصورة طبيعية سوية ،وينطبق عليه قول الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤] .

■ومعنى قوله ﷺ : «**ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» أي لا يحق للمسلم أن يحقر أخاه المسلم أو يتكبر عليه أو يتعالى عليه لأنه فقير أو مسكين أو لأنه من قبيلة كذا وفصيلة كذا ، فلربما هذا الذي يتعالى عليه الناس أو يحتقروه ، فقد يكون من أولياء الله الصالحين المقربين عند الله ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : «**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » فالجنة لا تنال بالجاه والسلطان ولا بالشهادات العالية ، إنما تنال بالتقوى والإيمان وخفض الجناح للمؤمنين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)** ﴾ [القصص : ٨٣] .

■ ثم يشير ﷺ إلى صدره ويقول : «**التقوى ها هنا** » أي في القلوب ، ولهذا يقول في حديث آخر : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم** » . ثم يؤكد عليه الصلاة والسلام على حرمة المسلم بقوله : «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» ، ولهذا جاء الإسلام ليحمي هذه الحقوق ، وهي الكليات الخمس :« **الدين والنفس والمال والعرض والعقل** » ، وأشار عليه الصلاة والسلام إلى هذه الحرمات في خطبة الوداع عندما قال : «**إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** » .

ولهذا أيها الأخ الحبيب : يجب أن تعلم أن حقوق إخوانك المسلمين عليك كثيرة ، فإذا كنت عاجزاً عن أدائها مقصراً فيها ،فلا تبخل بأقل القليل ولو بكلمة طيبة أو بسمة منشرحة في وجوه إخوانك المسلمين،حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)** ﴾ [إبراهيم : ٢٤]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة** » ، ويقول أيضاً في حديث آخر : «**لا تحقرن من المعروف**

شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طلق».وإذا كنت أيضاً لا تستطيع أن تنفع إخوانك المسلمين فلا تؤذيهم،لأن أذاهم سبب في زوال الإيمان عنك،كما أكد ذلك النبي ﷺ بقوله : «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن** » ، قيل من يا رسول الله : قال : « **الذي لا يأمن جاره بوائقه** » أي شروره .

مقتضيات ولوازم الأخوة :

إن من مقتضيات الأخوة الإسلامية مواساة إخوانك المسلمين وتفقد أحوالهم لقول الرسول ﷺ : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» ، وقوله أيضاً : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» ، وهذا التفاعل الأخوي يجب أن يبلغ مداه، حتى يصل إلى مرتبة الإيثار والمفاضلة على النفس ، لقوله عز وجل ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)** ﴾ [الحشر : ٩ ، ١٠] .

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل** » ،وهذا من أبسط حقوق الأخوة في الله ، ومن أظهر مقتضيات الإيمان أن يسعى المسلم في حاجة أخيه بما يقدر عليه، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « **من كان معه فضل ظهر** ـ أي مركوب ـ **فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له** » ، ولا شك أن المجتمع المسلم حين تتجسد فيه هذه المعاني الأخوية والعظيمة ، وتتعمق بين أبناءه ، فإنه يعيش حياة التكافل والتعاون والرحمة .

وقد عاش الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ وفي عصر التابعين هذه

الأخلاق الكريمة لأن الرسول ﷺ وصفهم بقوله : «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...** » ، ومما يروى أن أناساً من فقراء المدينة كانوا يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون ومن الذي يعطيهم ، فلمّا مات زين العابدين بن الحسين وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجرّاب أي الأكياس التي كان يحملها على ظهره إلى بيوت الأرامل والمساكين .

وكان عبد الله بن المبارك الإمام المحدث الزاهد العابد كثير الصدقات لإخوانه المسلمين ، يروى أنه خرج مرة إلى الحج وفي طريقه رأى جارية تأخذ من مزبلة طائراً ميتاً ، فعلم أنها في حاجة وفاقة ، فأعطاها المال الذي كان ذاهب به إلى الحج، وقال لصاحبه الذي كان معه: ألا ترى أن هذا أفضل من حجنا لهذا العام ، ثم رجع ولم يحج .وروى الطبراني في الكبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ صرة من المال وقال لغلامه : اذهب بها إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقل له : إن هذا من أمير المؤمنين اجعله في بعض حاجتك ، فقال معاذ : رحم الله عمر ووصله ، ثم نادى جاريته وقال لها: اذهبي إلى بيت فلان بكذا وإلى بيت فلان بكذا وإلى بيت فلان بكذا حتى لم يبق معه إلا دينارين فرجع الغلام إلى عمر وأخبره بما رأى، فسر بذلك عمر رضي الله عنه وقال : إنهم أخوة بعضهم من بعض ، فهذا غيض من فيض مما ذكره التاريخ في كريم مآثرهم وجميل طباعهم .

الإخوة في نظر الإسلام :

ولا شك أن الإسلام جاء ليقرر هذه الرابطة الأخوية بين المؤمنين فهو يدعوا إلى التعاون والتكافل والاجتماع وينهى عن الفرقة والاختلاف حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة : ٢] . دين آخى بين صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ**

وجعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لتعارفُوا إنَّ أكْرمكُمْ عند الله أتْقاكُم إنَّ اللَّهَ عليمٌ خبيرٌ (١٣) ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وهذا معلوم أن الإسلام يقدم رابطة الأخوة الإيمانية على رابطة الجنس والنسب والقبيلة والعشيرة لقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إن كان آباؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وإخْوانُكُمْ وأزْواجُكُمْ وعشيرتُكُمْ وأموالٌ اقترفتُموها وتجارةٌ تخْشوْن كسادها ومساكنُ ترْضونها أحبَّ إليْكُم مِّن اللَّهِ ورسُوله وجهاد في سبيله فتربَّصُوا حتَّىٰ يأْتي اللَّهُ بأمْره واللَّهُ لا يهْدي الْقوْم الْفاسقين (٢٤) ﴾ [التوبة : ٢٤] .

ففي قوله تعالى : ﴿ قُلْ إن كان آباؤُكُمْ وأبْناؤُكُمْ ﴾ إشارة إلى رابطة الجنس والنسب وفي قوله ﴿ وأزْواجُكُمْ ﴾ إشارة إلى رابطة المصاهرة ﴿ وعشيرتُكُمْ ﴾ إشارة إلى رابطة القبيلة والقومية ﴿ وأموالٌ اقترفتُموها وتجارةٌ تخْشوْن كسادها ﴾ إشارة إلى المصالح المشتركة بين الناس ﴿ ومساكنُ ترْضونها ﴾ إشارة إلى المناطقية والأرض والوطنية ، فكل هذه دعوات جاهلية لا تغني من الله شيئاً ، يؤكد ذلك النبي ﷺ بقوله : « **إن الله أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية أي نخوتها وكبرها وفخرها بالآباء** » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « **ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية** » .

ومما يؤكد أن الرابطة الإسلامية هي فوق الروابط جميعاً أن القرآن الكريم تبرءا من أبي لهب الحسيب النسيب عم الرسول ﷺ . وأخبر أنه يدخل جهنم مع الداخلين ، بينما أعتبر الرسول ﷺ : سلمان الفارسي رضي الله عنه من أهل البيت ، لأنه استجاب للحق والهدى فقال ﷺ : « **سلمان منَّا أهل البيت** » .

وما أحسن القائل حين قال :

عليك بتقوى الله في كل حالي	ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارسي	وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ولله در من قال :

أبي الإسلام لا أبى لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

وكم يكون ظلماً للإسلام ونكراناً للأخوة الإسلامية أن نصنف المسلمين حسب أوطانهم وقومياتهم ، فنقول هذا هندي لأنه من الهند ، وهذا فارسي وهذا كردي وهذا تركي ، فالمؤمنون أخوة متحابين مهما تباعدت أقطارهم وتباينت أجناسهم واختلفت لغاتهم وأوطانهم ، يؤمنون بالشعار الذي لا يتبدل ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (١٠) ﴾ [الحجرات : ١٠] . وللمبدأ الذي لا يتغير ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ .

الأخوة الإيمانية :

كذلك يجب أن تكون هذه الأخوة ، أخوة إيمانية وعلى موائد التقوى والإيمان لقول الرسول ﷺ : «**لا تصاحب إلاّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**» وقال مالك بن دينار : إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار خير لك من أن تأكل الخبيص مع الفجار . والمراد بالخبيص : هو نوع من الحلوى كانت تصنع من التمر مخلوطاً بالسمن ،وفي يوم القيامة يندم الإنسان ويتأسف ، لأنه قضى حياته مع أهل الزيغ والضلال كما حكى القرآن ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً** (٢٧) **يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً** (٢٨) **لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً** (٢٩) ﴾ [الفرقان :٢٧ ، ٢٩] ، وجاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» .

وهذه الأخوة يجب أن تكون خالصة لله وحده ،ليست من أجل دنيا يصيبها ولا مصلحة يرجوها حيث يقول عليه الصلاة والسلام من أحب أن يجد طعم

الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله . وقوله أيضاً : «**من أحب لله ، وأبغض لله ، ومنع لله ، فقد أستكمل الإيمان**» . أما الأخوة التي يكون فيها عنصر المادة والمصلحة ، فإنها سرعان ما تنقلب إلى عداوة وبغضاء ، لقول الله عز وجل : ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

﴿ القـــرآن الكـــريـم ﴾

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامَ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يذكر الناس بالقرآن فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ [ق :٤٥] . وأمره أن ينذرهم به فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ [الأنعام: ١٩]. وأن يخرج الناس به من الظلمات إلى النور ﴿ **الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** (١) ﴾ [إبراهيم: ١]، وأخبر سبحانه وتعالى أنه لو أنزل هذا القرآن على الجبال الصم لتصدعت كما قال تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [الحشر: ٢١] . وأخبر أيضاً أنه ميسر للحفظ والفهم: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** (١٧) ﴾ [القمر : ١٧] .

وأخبر ﷺ أن الفرق بين البيت الذي يقرأ فيه القرآن والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالفرق بين الحي والميت حيث قال : « **مثل البيت الذي لا يذكر الله فيه والبيت الذي يذكر الله فيه مثل الحي والميت** » .

إذن فالقرآن الكريم هو خير كتاب أُنزل على أشرف رسول أُرسل إلى العالمين أجمعين ، قال تعالى :﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** (٢٩) ﴾ [ص : ٢٩] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**

تبيانًا لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٨٩] ﴿ قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (١٦) ﴾ [المائدة ١٥ ، ١٦] ، وسماه الذكر لقوله تعالى : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (٤٤) ﴾ [الزخرف : ٤٤] . وقد توعد الله المعرضين عنه بقوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرًا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) ﴾ [طه : ١٢٤ ، ١٢٦] .

وقال ﷺ : « **اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** » . وقوله أيضاً في حديث آخر : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان** » .

نزول القرآن :

وقد أُنزل هذا القرآن العظيم في أعظم ليلة على الإطلاق في ليلة القدر كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر (١) وما أدراك ما ليلة القدر (٢) ليلة القدر خير من ألف شهر (٣) ﴾ [القدر : ١-٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) ﴾ [الدخان٣ ، ٤] . قال ابن عباس رضي الله عنهما أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ . بينما هو عليه الصلاة والسلام يتحنث

في غار حراء أي يتعبد الله فيه إذا جاءه جبريل عليه السلام في ليلة من الليالي وقال له : «إقراء ، **قال : ما أنا بقارئ ، فأعادها عليه ثلاثاً وهو في كل مره يقول له : ما أنا بقارئ ، فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾** [العلق : ١ـ٥] ، **فرجع النبي ﷺ إلى أهله خائفاً يرتجف فؤاده وترتعد فرائصه وهو يقول :زملوني زملوني** ، فزملوه حتى ذهب الروع عنه . فأخذته زوجته خديجة رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل الذي كان عنده علم من الكتاب وقصت عليه الخبر ، فقال ورقة بن نوفل : والذي نفسي بيده لئن صدقت يا خديجة ، فهذا الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام ، يا ليتني جذعاً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : **أو مخرجيّ هم ؟** ، قال : نعم لم يأتي رجل قط بما جئت به إلا عادوه وآذوه» . وفعلاً تحققت نبوءة ورقة بن نوفل ، فقد آذوه وعذبوه وأخرجوه من مكة ودموعه على وجنتيه ﷺ وهو يقول : «**والله إنك لأحب البقاع إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت** » .

وقد كان ﷺ عندما يتلقى نزول القرآن يتصبب عرقاً في أيام البرد الشديد ، كما ورد ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتصفد عرقاً حتى أنه كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت الناقة من ثقل جسمه عليها ، وهذا مصداقاً لقوله عز وجل : **﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ⑤ ﴾** [المزمل : ٥] .

أجر تلاوته وحفظه :

إن عظمة المسلم تكمن في مصاحبته للقرآن الكريم ، فالمسلم الذي يعيش مع القرآن فإنه من أهل الله وخاصته ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إن لله عز وجل آهلين من الناس** ، قيل من هم يا رسول الله ، **قال : هم أهل**

القرآن ، أهل الله وخاصته » .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : « **أهل القرآن أهل الله وخاصته**»، لذلك ضرب النبي ﷺ مثلاً للمؤمن الذي يقرأ القرآن حيث قال : « **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التيمرة لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر** » .

ولهذا فإن الله عز وجل قد رتب الجزاء لمن يقرأ القرآن حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» ، وقارئ القرآن يوم القيامة يتبوأ منزلة رفيعة كما بينها الرسول ﷺ بقوله : «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**» .

وكذلك فإن قارئ القرآن يلبس يوم القيامة تاج العزة والكرامة ، لقوله ﷺ : « **يجئ القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حله أي جمله وزينه ، فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يا رب إرضى عنه فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارتق فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها** » ، لذلك كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : احفظوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ، ولا يحفظه إلا موفق .

وقد كان أُبي بن كعب رضي الله عنه أعلم الصحابة بالقرآن حتى قال عمر رضي الله عنه : أقرؤنا أبي ، وكان معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام ، وزيد بن ثابت أعلم بالفرائض ، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه مشهور بالقضاء ، وحسان بن ثابت رضي الله عنه مشهور بالشعر والأدب .

وقد ثبت أن الرسول ﷺ سأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال له : « **أي آية أعظم في كتاب الله** ، قال : الله ورسوله أعلم ، **فقال : أي آية أعظم في كتاب الله** ، قال : الله ورسوله أعلم ، **فقال : أي آية أعظم في كتاب الله** ، قال : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فضرب ﷺ على صدره **وقال : ليهنك العلم أبا المنذر** » . فإذا افتخر الناس بالشهادات العالية ، وإذا افتخروا بالنياشين والوسامات ، فيكفي الإنسان أن يفتخر بكتاب الله عز وجل ، لأنه يكون بذلك من أهل الله وخاصته ، وقد ثبت أن الرسول ﷺ لما أنزل عليه سورة البينة ذهب إلى أُبيّ رضي الله عنه وقال له : « **إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة** ، قال أُبي : وسماني في الملأ الأعلى ، **قال : نعم سمّاك في الملأ الأعلى** ، فبكى أُبي رضي الله عنه ، ثم قرأ عليه ﷺ سورة البينة » .

ولهذا يجب أن يحسّن الإنسان صوته عند قراءة القرآن لقول الرسول ﷺ : « **ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن ـ وقوله أيضاً ـ زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً** » ، وقد صح أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ، كان يقرأ في ليلة من الليالي ، فمر الرسول ﷺ فاستمع لقراءته ، وفي الصباح لقيه وقال : « **يا أبا موسى ، لو رأيتني البارحة وأن استمع لقراءتك ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود** » ، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك تستمع لي لحبّرته لك تحبيراً ، أي لحسنته وجملته لك .

حياة الرسول ﷺ مع القرآن :

لقد عاش حياته ﷺ مع القرآن ، فكان لا يجلس مجلساً إلا مع آيات الله ، وكانت خطبه ومواعظه من القرآن الكريم ، لذلك سئلت عائشة رضي الله عنها ، عن خُلقه ، فقالت : « **كان خُلقه القرآن** » . فكان إذا قرأ القرآن يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من شدة البكاء ، فذات مرة يقول لابن مسعود رضي الله عنه : « **إقراء عليّ القرآن ،**

فقال: يا رسول الله كيف أقرؤه عليك وعليك أُنزل. **فقال: إني أحب أن اسمعه من غيري**، فبدأ يقرأ من أول سورة النساء حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** (٤١) ﴾ [النساء: ٤١] **قال: حسبك الآن**»، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نظرت إليه فإذا عيناه تذرفان.

يمر عليه الصلاة والسلام جوار بيت، فيسمع عجوزاً تقرأ: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ وترددها ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ توقف ﷺ وهو يبكي ويقول: «**نعم أتاني، نعم أتاني**». ويروى أيضاً أنه قام ليلة من الليالي يصلي ويقرأ القرآن، فجعل يبكي حتى بلّ لحيته ﷺ، فجاءه بلال رضي الله عنه يستأذنه للصلاة، فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «**يا بلال لقد أُنزلت عليّ الليلة آيات، ويلٌ لمن قرأها ولم يتدبرها** ﴿ **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** (١٩١) **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** (١٩٢) ﴾ [آل عمران ١٩١، ١٩٢].

ولذلك فقد أُمر ﷺ أن يقوم الليل بالقرآن، كما في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ** (١) **قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا** (٢) **نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا** (٣) **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** (٤) **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** (٥) **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا** (٦) ﴾ [المزمل: ١- ٦].

حال المسلمين اليوم مع القرآن:

أما إذا سألتم عن حال المسلمين اليوم مع القرآن، فاقروا قول الله عز وجل: ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** (٣٠) ﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقوله أيضاً: ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ**

يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴾ [مريم : ٥٩]،وقال تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، أضاعوا القرآن فأضاعهم الله . إن الرسول ﷺ : « **يقول تركت فيكم شيئين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسُنَّتي** » .

ولهذا فإن المسلمين عندما ابتعدوا عن هذا الكتاب العظيم ، وتركوه وراءهم ظهريا ، عاشوا حياة الذل والهوان ، وعاشوا حياة الغربة ، التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** » ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سيأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه .

وهذه هي الحالة التي يعيشها المسلمون اليوم مع القرآن ومن تلك الأحوال :

[١] فقد أصبح بعض المسلمين اليوم لا يعرفون القرآن إلا من خلال افتتاح الحفلات أو قراءته على الأموات، فالقرآن لم ينزل للتباهي به ، أو لجمع الأموال ، أو للتكسب والأكل به، فقد روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ولا تستكثروا به** » .

[٢] وبعضهم أصبح لا يقرأ القرآن إلا قليلاً، فتجد بعض المسلمين يقرأ الصحف والمجلات يومياً ولا يقرأ من كتاب الله عز وجل آية واحدة ،وبعضهم يقف أمام الشاشة الفضية سبع ساعات، لكنه لا يستطيع أن يقرأ صفحة واحدة، يقف عند آياتها، يتدبرها ويعلم مستقرها ومستودعها،وبعضهم يسمع الأغاني ليل نهار،ينتقل من شريط إلى شريط، لكنه لا يستطيع أن يسمع شريطاً واحداً من كتاب الله، إن هؤلاء قد انسلخوا من القرآن وضلهم الشيطان ، قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

[٣] وبعضهم يقرأ القرآن ويحفظه لكنه لا يعمل به ، ولا يقف عند حلاله وحرامه ، ولا يتحاكم إليه، وقد ذكر النبي ﷺ : «**إن أول من تُسعر بهم النار**

يوم القيامة ثلاثة : الأول رجل آتاه الله القرآن فيقول الله له ، بعد أن يعرفه نعمته عليه ، ماذا عملت بهذا القرآن ؟ فيقول أي رب ، قرأت فيك القرآن وعلمته الناس ، فيقول الله له : كذبت ، إنما قرأت ليُقال فلان قارئ فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار ، أما الرجل الثاني : فهو الشهيد الذي قُتل في أرض المعركة ، فيقول الله له : ماذا عملت ، هل قاتلت وجاهدت ؟ فيقول أي رب ، قاتلت فيك حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، إنما قاتلت ليُقال فلان شجاع ، فقد قيل ، ثم يؤخذ فيطرح في النار .... » إلى آخر الحديث لهذا يقول عليه الصلاة والسلام : « والقرآن حُجة لك أو عليك » .

[٤] وبعضهم يقرأ القرآن ولكن بسرعة عجيبة ، تزيل عنه صفة التدبُّر والتفكر . لهذا يقول عبد الله بن مسعود ﵁ : لا تهذوا القرآن هذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . وثبت أن عبد الله بن العباس ﵄ قال : لئن أقرأ سورة أرتلها ، أحبُّ إليَ من أن أقرأ القرآن كله .

وذكر الزهري أن قراءة النبي ﷺ كانت آية آية ، لذلك يجب أن يتدبر الإنسان الآيات ويتفكر فيها ويتفاعل معها، قال سبحانه وتعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾[ص :٢٩] ، وقوله أيضاً : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء : ٨٢] .

فالإنسان الذي لا يتفاعل مع القرآن،فإن قلبه مريض مُغلق عن الفهم والتدبر، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) ﴾ [محمد : ٢٤] . إذن ، فمن أراد أن يعيش حياة الأمن والأمان ، ويجد طعم الإيمان ، فليقرأ القرآن ، بتدبر وتمعن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقوله سبحانه: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾[الزمر:٢٣] ، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتلون كتاب الله ويتأثرون ويؤثرون به،فتلين جلودهم وتخشع قلوبهم وتدمع عيونهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) ﴾ [مريم : ٥٨] ،وقوله أيضاً: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ . [الإسراء: ١٠٩] .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفاعلون مع الآيات ، ولهذا روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قرأ من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾ [المطففين: ٦] . فبكى حتى انقطع صوته، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠] بكى أهل الصُفَّة ، حتى جرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع رسول ﷺ حس بكاءهم قال : «**لا يلج النار من بكى من خشية الله** » ، وقوله ﷺ : «**عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله**» وروي أيضاً : أن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ صلى المغرب يوماً فقرأ حتى إذا بلغ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ بكى حتى انقطعت قراءته. كذلك محمد بن المنكدر: بكى بكاءً شديداً حتى أشفق عليه أهله ، فذهبوا إلى صاحبه أبا حازم وقالوا له : إن صاحبك قد أهلك نفسه بالبكاء ، فأتي إليه وسأله ما الذي يبكيه ، فجاء إليه وقال: يا أبا عبد الله ما الذي يبكيك؟ لقد أتعبت نفسك وأتعبت أهلك من بعدك ، فقال : يا أبا حازم يبكيني قول الله تعالى : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٤٧] .

ونتيجة لبلاغة القرآن وقوة تأثيره ، حتى النصارى وهم في نصرانيتهم كانوا يتأثرون بهذا القرآن .كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

فوائــد القــرآن :

إن هذا القرآن يناديكم ويدعوكم إلى إقامة الصلاة عملاً بقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)** ﴾ [البقرة : ١٥٣] ، وكذلك يدعوكم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ويحذركم من الكذب والحقد والحسد والنميمة ، ويأمركم بالعدل والصدق والأمانة ،ويدعوكم إلى بر الوالدين والإحسان إليهما كما في قوله تعالى ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)** ﴾ [الإسراء ٢٣ ، ٢٤] .

فلو بحثنا في الكتب القديمة والحديثة فلن نجد أمثال هذه الوصايا العظيمة التي بها سعادة الشعوب والأمم ، فإذا أردتم حياة العزة والكرامة ، فما عليكم إلا بالقرآن ، يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : « **إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين** » . وإذا أردتم حياة السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والندامة ، فما عليكم إلا بالقرآن ، فهو حرز من الشطيان ، ورجحان في الميزان ، ما تمسك به عبدٌ إلا عصمه الله ، وما أعرض عنه جبار إلا قصمه الله ، فمن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)** ﴾ [طه : ١٢٤-١٢٦] .

إعجـــاز القـــرآن :

إن هذا القرآن العظيم الذي يفسر بعضه بعضاً ، ويشبه بعضه بعضاً ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾ [الزمر : ٢٣] .

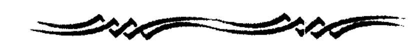
إن هذا القرآن ، ليس فيه نقص ولا عيب ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾ [هود : ١] .

لذلك فقد شهد بعض المستشرقين المنصفين بعظمة القرآن الكريم ، فيقول المستشرق الفرنسي موريس: إن القرآن، أعظم كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر ، وإنه كتاب لا ريب فيه،ويقول مستشرق آخر: لعل القرآن،هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم،وهو بكل تأكيد، أيسرها حفظاً،وأشهدها أثراً في الحياة اليومية، لمن يؤمن به،ولذلك فقد تحدى الله سبحانه وتعالى به الجن والإنس على أن يأتوا بمثله،كما ورد في الآية الكريمة﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء: ٨٨]. ثم تحداهم بعد ذلك أن يأتوا بعشر سور من مثله ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) ﴾[هود:١٣].ثم في آخر الأمر تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة لكنهم عجزوا عن ذلك، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) ﴾ .

[البقرة :٢٣، ٢٤].

لقد أصبحنا الآن ، في عصر التقدم والتكنولوجيا ، ومع ذلك يعجز أصحاب العقول المفكرة والقلوب المريضة أن يأتوا بآية واحدة ، لا نقول سورة ، بل آية واحدة ، ولكن هيهات هيهات ، أنى لهم ذلك، إذن فالقرآن الكريم هو أعظم معجزة على الإطلاق ، فهو معجزة الدهور وآية العصور ، وقد أخبر عن أمور غيبية قبل ألف وأربعمائة عام ، ثم جاء العلم الحديث يؤكد صدق ما جاء في القرآن من غيبيات، من هذه الآيات المعجزة ،وردت آية في كتاب الله عز وجل تحرم الجماع فترة الحيض والنفاس،كما في قوله تعالى : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ثم جاء الأطباء في هذا العصر الحديث ، يحذرون من ذلك ، نتيجة للأضرار الحاصلة في هذه المرحلة .

كذلك وردت آية في كتاب الله عز وجل تدل على أن مياه البحار ومياه الأنهار لا تختلط بعضها ببعض كما قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ (٢٠)** ﴾ [الرحمن: ١٩- ٢٠] ، ثم جاء العلم الحديث ، فاكتشف الباحثون أن مياه البحار لا تختلط بمياه الأنهار ، ودللوا على ذلك بقولهم إن مياه البحر الأبيض المتوسط لا تختلط بمياه المحيط الأطلسي عند جبل طارق ، وغير ذلك من الإعجازات والآيات التي جاءت في القرآن الكريم . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)** ﴾ [فصلت : ٥٣] .



حق الوالد على ولده

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

أيها المسلمون: قال سبحانه وتعالى أعوذ بالله من الشطيان الرجيم ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)** ﴾ [الإسراء ٢٣ ، ٢٤] .

﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ** ﴾ أي حكم وكتب،﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ : أي قرن طاعة الوالدين بطاعته وعبادته وتوحيده ، كما قرن شكرهما بشكره ، ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)** ﴾ [لقمان: ١٤]. وقوله تعالى : ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا** ﴾ فقد خص حالة الكبر لأنها حالة الضعف والحاجة، ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ** ﴾ : هذه الكلمة الصغيرة التي أصبحت تقال لكل شيء مرفوض ، كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧)** ﴾ [الأنبياء: ٦٧] . هذه الكلمة التي لا تتجاوز حرفين إذا قيلت في حق الوالدين فهي عظيمة جداً ﴿ **وَلا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ والنهر هو الزجر والغلظة وقوة الرد ، ﴿ **وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ أي قولاً لينًا لطيفاً فيه تودد لهما، مثل يا أبتاه يا أماه ، ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** ﴾ فقد جاء الأمر في هذه الآية بمزيد

من الشفقة والرحمة والاستعطاف والتودد لهما ، ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ هذه الآية تحث الولد بالترحُّم عليهما وبالدعاء لهما ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو ولد صالح يدعوا له أو علم ينتفع به**» .

بر الوالدين صفة بارزة للأنبياء :

يقول الله سبحانه وتعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)** ﴾ [مريم : ٣٠ - ٣٢] .

قال بعض السلف : لا تجد واحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً . وقال سبحانه وتعالى عن يحيى عليه السلام : ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤)** ﴾ [مريم : ١٢-١٤] .

ولهذا بعد أن وصف الله سبحانه وتعالى يحيى بالأوصاف السابقة من العلم والفهم والعزم والإقبال على الخير مع أنه كان صغيراً في السن ، ولكن مع ذلك وصفه أيضاً بأنه كان مطيعاً لوالديه وباراً بهما مجانبا عقوقهما، وقال سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)** ﴾ [الشعراء : ٨٣-٨٧] .

وقال عز وجل عن إسماعيل عليه السلام ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)** ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

بر الوالدين يدخل الجنة وعقوقهما يدخل النار:

إن بر الوالدين سبب في دخول الجنة وعقوقهما سبب في دخول النار كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**رغم أنفه ثم رغم أنفه** ، قيل من يا رسول الله : **قال من أدرك والداه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة** »، ومعنى رغم أنفه: أي إلتصق بالتراب ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :« **ارتقى النبي ﷺ على المنبر درجة ، فقال آمين ، ثم ارتقى الثانية ، فقال** : آمين ، **ثم ارتقى الثالثة ، فقال آمين ، ثم استوى فجلس** ، فقال الصحابة رضوان الله عليهم : على ما آمنت يا رسول الله ، **قال** : **أتاني جبريل فقال** : **رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصلي عليك** ، **فقل** آمين ، **فقلت أمين** ، **ثم قال رغم أنف امرئ أدرك أبويه فلم يدخل الجنة** ، **فقل** آمين ، **فقلت آمين** ، **ثم قال** : **رغم أنف امرئ أدرك رمضان ولم يغفر له** ، **فقل** آمين ، **فقلت آمين** » ، إذن من يعق والديه يخسر خسارة فادحة، يخسر الجنة التي أُعدت للمتقين ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : «**ثلاثة حرم الله عليهم الجنة** : **مُدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذي يقرًّ الخبث في أهله** » .

وقال ﷺ : «**ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبه بالرجال ، والديوث**» . وكذلك يقول عليه الصلاة والسلام : «**لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر**» وروى الألباني في السلسلة الصحيحة أن الرسول ﷺ قال : « **لا يدخل حظيرة القدس سكير ولا عاق ولا منان** » و المقصود بحظيرة القدس : هي الجنة .

تحريم عقوق الوالدين :

إن عقوق الوالدين محرم في كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام

لقول الله عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) ﴾ [الإسراء ٢٣] .

وقوله أيضًا في آية أخرى على سبيل الذم والتحقير: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا ﴾ [الأحقاف : ١٧] .

والرسول ﷺ يقول : « **إن الله لا يحب العقوق** »، وروى مسلم في صحيحه أنه عليه الصلاة والسلام قال : «**إن الله عز وجل حرم عليكم : عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات ، وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** » ، إن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر كما جاء في الحديث المتفق عليه ، أن الرسول ﷺ قال : «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ، قلنا بلى يا رسول الله ، **قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : آلا وقول الزور ، آلا وشهادة الزور** » ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وجاء في صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالي ، وصمت رمضان ، فقال النبي ﷺ : «**من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة ؛ ما لم يعق والديه** » .

حق الوالد على ولده :

إن حق الوالد على ولده حق عظيم ، لا يفرِّط فيه إلا جاهل أو معاند ، لا يعرف الحقوق والآداب ، لأن هذا الأب كان سبباً في وجودك في الحياة ، وهو الذي كان يتعب الليل والنهار من أجل أن يطعمك ويسقيك ، وهو الذي كان يحميك ويدافع عنك من كل أذىً أو مكروه ، وأنت صغير لا تستطيع أن ترد عن نفسك العدوان ، ولكن مع الأسف الشديد مع كل هذا الجميل الذي يقدمه

الأب لولده ، فقد يأتي اليوم من الأولاد من يمنع أباه من ماله ، ويحرمه من خيره بعد أن كان ينفق عليه وهو صغير، وقد رأينا من ينفق على صاحبه وصديقه أكثر مما ينفق على أبيه وأمه ، مع أن الرسول ﷺ جاء إليه رجل وقال يا رسول الله : إن لي مالاً وولداً ، وأبي يريد أن يجتاح مالي ، فقال الرسول ﷺ : «**أنت ومالك لأبيك**» ، وقوله ﷺ : « **إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم** » ،وكذلك من الناس من يسئ الأدب مع أبيه ، فيسب أباه ، وهذا من الكبائر العظام،كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : «**من الكبائر شتم الرجل والديه** ، قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ، **قال** : **نعم** ، **يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه** . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: « **ملعون من سب أباه ، ملعون من سب أمه ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من غير منار الأرض ، ملعون من كمّه أعمى عن طريقه ، ملعون من وقع على بهيمة ، ملعون من عمل بعمل قوم لوط** » ، والأعظم من هذا كله والأدهى والأمر ، أن يتعدى عليه بالضرب والأذى بعد أن كان يحميه ويدافع عنه ، وهو في المهد صبياً ، يفسر هذه الحقيقة المرة ، قول الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

جاء في السير: أن أحد الأعراب وفد على الخليفة يبكي، فقال له: ما بك ، قال : أُصبت في ولدي بأعظم من كل مصيبة ، ربيته صغيراً وسهرت من أجله الليالي ، وأشبعته ، حتى نمى ساعده ، فلمّا كبرت وأصابني الدهر واحدودب الظهر ، تغمّط حقي ، ولوى يدي ، ثم بكى بكاءً مريراً ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾،فهل هذا من الإحسان للوالدين،وهل هذا من الإسلام أن يضرب الرجل أباه ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)** ﴾ [الإسراء ٢٣ ، ٢٤] .

حـــق الأم على أبناءهـــا :

إن حق الأم على أبناءها حق عظيم ، لا يتساهل به إلا ناكر للجميل ، لأنها هي التي حملتك في بطنها تسعة أشهر وتحملت في سبيل ذلك الآلام والأثقال ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **حملته أمه وهنا على وهن** ﴾ [لقمان :١٤] فالأم في أصلها امرأة ضعيفة ، وهي مع ذلك تزداد بحملك كل يوم ضعفاً إلى ضعفها ، قال تعالى : ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ [لقمان : ١٤] فقد أرضعتك حولين كاملين بأحسن اللبن على وجه الأرض ، وقد كان بطنها لك وعاء ، وثديها لك سقاء ، وحجرها لك دفاء ، ولهذا فقد روى الإمام أحمد وأبو داوود : أن امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ وقالت : يا رسول الله ، إن ابني هذا ، كان بطني له وعاء وثدي له سقاء وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني ، فقال : «**أنت أحق به ما لم تنكحي** » أي تتزوجي ، إذن فحق الأم على وليدها حق عظيم ، مقدم على كل الحقوق، بل مقدم حتى على حق الأب ، كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال: « **إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثلاثا ، إن الله تعالى يوصيكم بآبائكم مرتين ، إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب** » صحيح الجامع .

وجاء في الحديث المتفق عليه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يسأله فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ ، **قال** : «**أمك** ، قال : ثم من ؟ **قال** : **أمك**، قال : ثم من ؟ ، **قال** : **أمك** ، قال : ثم من ؟، **قال** : **أبوك** »، إذن فالإنسان لا يستطيع أن يجازي أمه ، مهما قدّم لها إلى يوم القيامة ، لأنها سهرت من أجله الليالي لكي ينام ، فقد كانت تقربه إذا أبعده الناس ، وتمسح عنه الأذى إذا قذره الناس ، ولهذا فقد روي أن ابن عمر رضي الله عنه ، رأى رجلاً يمانياً يحمل أمه وراء ظهره ويطوف بها بالبيت الحرام ، فقال يا ابن عمر ، أتراني جزيتها ؟ قال : « لا ، ولا بزفرة واحدة »، لهذا نهى الله عز وجل عن عقوق الأمهات ، حيث قال

عليه الصلاة والسلام: «**إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات ، وكره لكم ثلاثا : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال**» ، ولكن أيها الإخوة الكرام، ما رأيكم فيمن يعق أمه ويقدم زوجته عليها ، فكم وكم من الرجال اليوم يقدمون الزوجة على أمهاتهم ، فيأتي مثلاً إلى البيت بهدية ويقدمها لزوجته والأم تنظر إليه بعينيها ، فأين إذن حق الأم على ابنها وأين البر بها ، يشتري لزوجته أجمل الملابس ويسكنها في أعظم المساكن والعمارات ، يلبسها أغلى الذهب والمجوهرات ، وكم من الرجال اليوم ، يأخذ زوجته في سفر أوفي رحلة ونزهة ، ولا يكلف نفسه ليدعوا أمه للذهاب معه ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة ، إلزم قدميها فثمَّ الجنة .

ولكن بعضهم قد يتجاوز في العقوق أكثر من ذلك ، كما في قصة ، ذكرها أحد الدعاة إلى الله ، أن رجلاً خرج هو وأسرته إلى شاطئ البحر للنزهة والفسحة فرأى عجوزاً تجلس لوحدها على الشاطئ ، فتعجب لأمرها ، ما الذي جاء بها إلى هذا المكان لوحدها ، لكنه استمر في نزهته وفسحته ، حتى جاء نصف الليل وهذه العجوز ما تزال لوحدها،لا أحد يكلمها ولا يسأل عنها ، يقول ذلك الرجل فاقتربت منها ، وقلت يا أماه ، خير إن شاء الله ، ما الذي جاء بك إلى هذا المكان وليس معك أنيس ولا جليس ، والوقت متأخر من الليل ، فقالت العجوز : إن ابني أتى بي إلى هنا ، وقال لي إنه مشغول وعنده عمل ، وأعطاني هذه الورقة ، لا أعرف ما بها، فأخذ الرجل تلك الورقة وقرأها ، وليته لم يقرأها ، وجد فيها مكتوب يرجى ممن يقرأ هذه الورقة ، أن يأخذ العجوز إلى دار الرعاية - الله أكبر - يسكن زوجته وأولاده في أعلى العمارات ويذهب بأمه إلى دار الرعاية - دار المسنين - !!! ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، إذا فاسمع لقول هذه الأم ، والشاعر يتكلم بلسان حالها :

لا تسبوا ولدي ما كنت رغم الغدر خصمه إن له في قلبي حباً وليس الحب تهمه
ولدي ما عقني بل فعله بر ورحمه جاء بي للبحر كي أنعم في رمله ونسمه
فدعوه ولا تسيئوا الظن فيه بالمذمة فأذهبوا بي للدار ما الدار للأبناء وصمه
غاب عني لم يغب إلا لأمر قد أهمه هو مشغول و للمشغول أعذار وحرمه
وسيأتي ولدي للدار إن أنهى المهمة ولدي أعرفه من ذا الذي ينكر أمه

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء ٢٣ ، ٢٤] .

فهل هذا هو جناح الذل ، أن يرميها في دار الرعاية ، وهل هذا جناح الذل ، أنك تطردها من أجل الزوجة ، وهل جناح الذل أن تتركها في البيت لوحدها ، وتذهب مع زوجتك لتسكن في بيت فاخر ، فهل هذا هو البر أم هذا هو العقوق «**رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه** ، قيل من يا رسول الله ؟ **قال** : **من أدرك والديه أحدهما أو كلاهما عند الكبر فدخل النار** » .

بر الوالدين مقدم على الجهاد والهجرة في سبيل الله :

جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : سألت الرسول ﷺ : « أي الأعمال أحب إلى الله ؟، **قال** : **الصلاة على وقتها** ، قلت ثم أي ؟ **قال** : **بر الوالدين** ، قلت ثم أي ؟ **قال** : **الجهاد في سبيل الله**» ، وروي أيضاً أن رجل جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد ، فقال له : « **أحيٌّ والديك** قال : نعم . **قال** : **ففيهما فجاهد** » .

وعن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه ، قال : أتيت إلى النبي ﷺ فقلت يا رسول الله : إني أريد الجهاد في سبيل الله ، **قال** : «**أمك حية** ، قلت نعم ، **قال** :

فألزم رجليها فثم الجنة » . وروي أيضاً أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ فقال : جئت أُبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكيان ، فقال : «**ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**» ،وجاء في صحيح الجامع أن رجلاً هاجر إلى الرسول ﷺ من اليمن ، فقال : «**هل لك أحد في اليمن ؟** ، قال : أبواي ، **قال** : **وهل أذنا لك ؟**، قال : لا ، **قال**: **فارجع إليهما فأستأذنهما ،فإن أذنا لك فجاهد ، وإلا فبرهما** » .

الأدب مع الوالديـــن :

يجب الأدب مع الوالدين واحترامهما ، فالأدب مع الوالدين له مقامات وله درجات ، ومن الأدب مع الوالدين أن تخاطب والديك بأدب رفيع : ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ ولا تجادلهما ولا تخطئهما، وحاول بأدب أن تبين لهما الصواب، ولا ترفع صوتك عليهما وانصت لحديثهما، ولا تناديهما بأسمائهما الأعلام ،ولكن ناديهما بأسماء التبجيل والاحترام ، يا أبتاه ، يا أماه ، ولا تمشي أمامها، ولا تجلس في مكان أعلى منهما. فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يرى رجلين ، فقال لأحدهما : من هذا منك ؟، أي ماذا يقرب لك ؟، فقال: إنه أبي ، فقال أبو هريرة رضي الله عنه :لا تسميه باسمه ، ولا تمشي أمامه ، ولا تجلس قبله . وكذلك من الأدب ، ألا تأكل طعاما قبلهما ، فهذا رجل كان لا يأكل مع أمه بصحن واحد ، فقيل له : لماذا لا تأكل مع أمك بصحن واحد؟ فقال : أخشى أن أمد يدي إلى لقمة وأمي تنظر إليها ، وأخشى أن آكل لقمة وأمي تشتهيها . ورجل آخر ، كان لا يصعد إلى الطابق الأعلى ، إذا علم أن أمه في الطابق الأسفل

دعوة الوالدين مستجابة :

إن دعوة الوالدين على ولديهما مستجابة فاحذروا عباد الله من دعوة

الوالدين ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاث دعوات مستجابة لا شك فيهن : دعوة الوالد على ولده ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم** » ، صحيح الجامع. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاث دعوات لا ترد دعوة الوالد على ولده ودعوة الصائم ودعوة المسافر** » .

إذن : دعوة الوالدين، أيها المسلمون، دعوة عظيمة، فقد رأينا وسمعنا كثيرا ممن أصيبوا بدعوة الوالدين ، فهذا رجل اسمه مُنازل كان فاجراً وعاقاً لوالديه ، حدث بينه وبين أبيه اختصام واختلاف، فقام هذا الولد الخسيس، بلطم أبيه على وجهه ، فبكا بكاءً شديداً ، ثمّ أقسم بالله أن يحج إلى بيت الله الحرام ، ويدعوا عليه ، فلما وصل إلى هناك ، تعلّق بأستار الكعبة ، يدعوا على ولده قائلاً :

يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا	إني أتيتك يا من لا يخيب من يدعوه مبتهلا
هذا منازل قد عقني بالضرب واللطمي	فخذ بحقي يا رحمان من ولدي
وشل بحول منك جانبه	فأنت القوي الواحد الصمد

قيل أن هذا الرجل ما أنزل يديه إلا وقد شُلَّ نصف جسد ولده العاق . وهذا رجل آخر ، كان عاقاً لوالديه لا يسمع أمرهما ، ويؤذيهما ويشتمهما ، فدعا عليه والده بحادث سيارة تصيبه ، فخرج ذلك الولد العاق ، يوما بسيارته فرحاً مستبشراً ، وإذ بسيارته ترتطم بشاحنة كبيرة ، فتنقلب تلك السيارة ويصاب بإصابات خطيرة ، وينكسر عموده الفقري ، ويشل جسده كاملاً ، ثم ينقل على إثرها إلى المستشفى ، ويتم إبلاغ والديه للحضور إلى المستشفى ، فما إن وصل الوالد إلى المستشفى، ورأى حالة ابنه، وهو يجهش بالبكاء وينادي أبتاه ، أبتاه ، أرجوك أن تسامحني ، فما ملك الوالد نفسه من هول الموقف، واحتضن ابنه وجعل يبكي ويقول : أنا الذي أصبته بما جرى ، ليتني لم أفعل ذلك ،

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

الإحسان إلى الوالدين بعد موتهما :

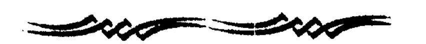
إن الإحسان إلى الوالدين يستمر لهما في حياتهما وبعد مماتهما ، فقد يقول قائل : كيف يكون الإحسان إليهما وقد وافتهما المنية وأصبحا في التراب موسداً ، وعليه نقول : إن الإحسان لهما مستمر إلى يوم القيامة ، بالدعاء لهما والصدقة عنهما ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له** » .

وقد جاء في الأثر الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **ترفع للميت بعد موته درجته ، فيقول : أي رب ، أي شيء هذه ؟ فيقال له : ولدك استغفر لك** » رواه مالك في الموطأ والبخاري في الأدب الفريد . وعليه إذا أردت أن تحسن إلى والديك بعد موتهما ، فأكثر من الدعاء لهما قائلاً : رب اغفر لي ولوالدي ، رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ، وعليك بكثرة الصدقة عنهما ، وإن اعتمرت أو حججت عن نفسك فإنه يجوز لك أن تحج أو تعتمر عنهما ، قال أبو هريرة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ رجل ، فقال : إن أبي مات وعليه حجة الإسلام ، أفأحج عنه ، قال : « **أرأيت لو أن أباك مات وعليه دين أقضيته عنه ؟** » ، قال : نعم ، **قال : فاحجج عن أبيك** » ، قال الحافظ إسناده ضعيف .

كذلك من الإحسان إليهما أن تفي بنذرهما بعد موتهما ، كما جاء في الحديث المتفق عليه أن سعد بن عباده ، استفتى رسول الله ﷺ فقال : إن أمي ماتت وعليها نذر ، فقال : « **اقضه عنها** » .

كذلك من الإحسان إليهما بعد موتهما أن تصل صديقهما ، كما جاء في

صحيح الجامع أن رسول الله ﷺ قال : « **من البر أن تصل صديق أبيك** » . وعن أبي بردة . قال : قدمت المدينة ، فأتاني عبد الله بن عمر ، فقال : أتدري لما أتيتك ، قلت : لا ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أحب أن يصل أباه في قبره ، فليصل إخوان أبيه بعده** » وإنه كان بين أبي عمر ، وبين أبيك إخاء وود ، فأحب أن أصل ذاك .



حق الولد على والديه

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن الأولاد نعمة عظيمة من نعم الله التي وهبها الله عز وجل لعباده والطيبات من الرزق ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** (٧٢) ﴾ [النحل: ٧٢] .

وما على المسلم إلا أن يشكر الله عز وجل على هذه النعمة التي امتن الله بها عليه ، وأن يفرح بمقدمهم، دون تفريق بين ذكر وأنثى، لأن الذي خلقه وخلقهم هو الله سبحانه وتعالى ، ولله في خلقه شئون ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** (٤٩) **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** (٥٠) ﴾.

[الشورى :٤٩ ـ ٥٠] .

ومن هنا وردت السُّنَّة باستحباب طلب الأولاد وتزوج المرأة الودود الولود ، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **تزوجوا الودود الولود فإني مُكاثر بكم الأمم يوم القيامة** » .

فتنة الأولاد :

إن هؤلاء الأولاد هم في الأصل فتنة للوالدين ، فقد يتعرض الإنسان للفتن من خلال أولاده ، مصداقاً لقول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) ﴾ [التغابن : ١٥].

فهذا نبي الله نوح عليه السلام ، كاد أن يُفتن بولده عندما أبى أن يصعد معه إلى السفينة، فقال سبحانه وتعالى :﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ [هود : ٤٢-٤٣] ، إلى قوله تعالى :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾ [هود : ٤٥ ـ ٤٦].

وكذلك يعقوب عليه السلام ،قد فُتن بولده يوسف عليه السلام،فقد كان يحبه حُبًّا جمًّا، حتى كاد هذا الحب أن يودي بحياته إلى الهلاك كما في قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) ﴾ [يوسف : ٨ ـ ٩] ، فحزن يعقوب عليه السلام على فقد ولده يوسف ، حتى أصابه العمى من شدة الحزن والبكاء عليه،كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾ [يوسف ٨٤-٨٦] .

إذن أيها المؤمنون ، أيها المسلمون : إن مهمة الأولاد مهمة عظيمة ، يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابها ، ويعدوا العدة لمواجهتها ، خصوصاً في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت غربة الدين وكثر فيه دواعي الفساد ، حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضاربة ، لذلك نجد القرآن الكريم يحكي لنا قصصاً تربوية نافعة ، كقصة لقمان الحكيم وهو يوصي ولده بوصايا نافعة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)** ﴾ [لقمان : ١٣]. وروي أنه لما نزل قول الله عز وجل ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام :٨٢]. شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم ، فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لم يظلم نفسه ؟ ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ .

ثم أكمل لقمان الوصية لابنه، فقال : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)** ﴾ [لقمان : ١٦]. أي اعلم يا ولدي أن الله لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وإنه يعلم دبيب النملة السوداء في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ثم أوصاه بقوله : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧)** ﴾ [لقمان :١٧] ، ثم نهاه عن أخلاق سيئة رديئة ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)** ﴾ [لقمان : ١٨] أي لا تعرض بوجهك عن الناس عند

الحديث معهم، فهذا ليس من الأدب والاحترام ، والرسول ﷺ يقول : « **لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طلق** - وفي رواية - **بوجه طليق** » أي ببشاشة واستبشار ، وبوجه مهلل بالسرور ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام « **تبسمك في وجه أخيك صدقة** » ، والرسول ﷺ كان يرحب ويستقبل بعض الناس، رغم أنه كان يكرههم ويبغضهم ، والدليل على ذلك كما ثبت في الحديث الصحيح : أن رجلاً استأذن الدخول على النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام « **بئس أخو العشيرة** » فلما دخل عليه هش وبش في وجهه ، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله : إني سمعتك تقول بئس أخو العشيرة ، فلما دخل عليك استقبلته استقبالاً حسناً ، فقال يا عائشة : « **إن شر الناس من تركوه اتقاء فحشه** » .

مسئولية الأبناء :

إذن أيها الآباء إن المسئولية في تربية الأبناء مسئولية عظيمة على عاتقكم ، وهي مسئولية تكليف وليست تشريف ، وهي أمانة في أعناق الوالدين ، والتقصير فيها غش وخيانة للأمانة ، والله عز وجل يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** (٢٧) ﴾ [الأنفال: ٢٧]. وقال في آية أخرى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾ [النساء :٥٨] .

فالأب راع ومسئول عن رعيته والأم راعية ومسئولة عن رعيتها ، كما قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته** » إذن المسئولية عظيمة على عاتق الآباء والأمهات،قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ**

غلاظٌ شدادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ [التحريم : ٦] .

ولذلك اهتم الرسول ﷺ بتربية الأولاد تربية صالحة،فأخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير ، فرباه تربية بطولية وأخلاقية ، وأوصى ابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما بوصايا تربوية وأخلاقية ، فقال له : «**يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** » .

في هذا الحديث يظهر حرص الرسول ﷺ على تربية ابن عمه تربية إسلامية صحيحة ، فقد أوصاه بتقوى الله عز وجل وطاعته وامتثال أمره ، ثم غرس في قلبه عقيدة التوحيد والإيمان بالقدر خيره وشره، عندما قال له : «**إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**» .

الخطأ والتقصير في تربية الأولاد :

إن التربية الحسنة للأولاد ، نتيجتها حسنة ، وهذه التربية قد تكون ناجحة وقد تكون فاشلة، والوالد قد يكون سببا في سعادة ولده أو شقاءه، قال ابن القيم رحمه الله :وكم من الناس أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة، بإهماله وترك تأديبه،وإعانته على شهواته،ويظن بذلك أنه يكرمه وهو في الحقيقة يهينه، وأنه يرحمه وهو يظلمه،فتجد بعض الآباء يربي أولاده على الترف والنعيم والبذخ، فيكون ذلك سبباً في انحرافه عن الطريق الصحيح ، والبعض الآخر يقتّر على أولاده أكثر من اللازم ، مما يجعلهم يسرقون ويحتالون، أو ينحرفون مع رفقة

سيئة . وكذلك من الخطأ وسؤ التقصير في التربية ، أن يكون الوالد متناقضاً في أقواله وأفعاله ، كأن يأمر ولده بالصدق وهو يكذب ، أو يأمره بالوفاء بالمواعيد وهو يخلف الميعاد ، أو يامره بالبر والصلة وهو عاق قاطع لرحمه ، أو ينهاه عن شرب الدخان وهو يشربه، فهذا التناقض بين القول والفعل، يفقد النصائح أثرها . وبعض الآباء مع الأسف الشديد ، يفعل المنكرات أمام أولاده ، كشرب الدخان أو سماع الأغاني أو مشاهدة الأفلام الخليعة الهابطة ، أو يظلم الناس ويتعدى على حقوقهم ، أو يرتشي ويأخذ الرشوة الحرام ، وبعضهم يتجاوز إلى أكثر من ذلك ، فيأتي بالمنكرات إلى منزله بنفسه ، كآلات اللهو والطرب والمجلات الخليعة والأفلام الساقطة ، وأجهزة الفساد المدمرة ، وخاصة هذا الصنم الجديد الدش الذي أصبح يدخل إلى كل غرفة في البيت ، فيفسد البنت على أبيها والزوجة على زوجها ، وهذه وسائل تخريب ومعاول هدم وأدوات فساد وانحلال من الأخلاق الفاضلة .

إذن أيها الأخوة الكرام إن هؤلاء الأولاد : هم بذرة المستقبل وأنتم الذين بذرتموها وسوف تجنون ثمارها إن خيراً فخير وإن شراً فشر . فيا أيها الأخ الحبيب لو أن لك ببستان فيه غرس جميل ، ثم لاحظته وحفظته ونميته ، لجاء منه ما تؤمله وترجوه ، ولو أهملته وضيعته فلا تلومن إلا نفسك يوم يحصد الزارعون ما زرعوا كذلك الأولاد : إن أحسنت تربيتهم وجدت خيراً وإن كان غير ذلك وجدت شراً.

ولهذا قيل أن أحد الآباء ، أخذ يعاتب ولده بأنه مقصر في حقه ، فقال : يا أبت إنك عققتني صغيراً ، فعققتك كبيراً ، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً كبيراً والتأثير الذي يحدثه الوالد على ولده في الصغر يبقى مدى العمر كما قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوّده أبوه

التربيـة الصحيحـة للأولاد :

إن التربية الصحيحة للأولاد ، هي التربية الإسلامية الراشدة التي هي على منهاج النبوة ، فكل مولود يولد على الفطرة السليمة ، ألا وهي فطرة الإسلام كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ حيث قال :« **كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » ، إذن فالأب ، هو السبب في تغيير أفكاره ومعتقداته ، ولا يمكن تحقيق التربية الإسلامية إلا بحمل الأولاد على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة مع المسلمين ، بنص الآية الكريمة ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ [طه :١٣٢] . وهذا أمر من الرسول ﷺ حيث قال : « **مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع** ». ولكن كثيراً من الناس اليوم يحرصون على ذهاب أولادهم إلى المدارس ولا يهتمون بحضورهم إلى المساجد، وإلى بيوت الله ، فهل يعني هذا أن المدارس أهم من المساجد؟!!، أو أن الدراسة فيها أعظم من الصلاة والذكر والاستغفار ؟!!، أو أن الدنيا أحب إليهم من الآخرة؟!!، قال تعالى : ﴿ **أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ [التوبة : ٣٨] . وبعض الآباء قد يرتكب خطأً فادحاً في حق ولده ، فيمنعه من الذهاب إلى المساجد وإلى حلقات التحفيظ،ولا يمنعه من الذهاب إلى أماكن اللهو والضياع والفساد،لماذا ؟ لأنه يخشى عليه من المساجد ومن المصلين في المساجد، فهل أصبحت المساجد اليوم، أماكن للرعب والخوف والقلق على الأبناء ، وهل المصلون اليوم : الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، هل أصبحوا اليوم متوحشون متطرفون إرهابيون متزمتون ؟!! فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، وما هذه المفاهيم المغلوطة والمقاييس المعكوسة ، وما ذلك إلا مصداقاً لقول الرسول ﷺ : « **قبل الساعة سنوات خداعة ، يُكذَّب**

فيها الصادق ، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخوَّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة يا رسول الله، **قال : السفيه يتكلم في أمر العامة** » .

وهذا هو الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم ، وكذلك قد نسمع من بعض الآباء، من يأمر أولاده وبناته بمشاهدة الجرائم الأخلاقية، والأفلام الهابطة ، التي يستحي أن يشاهدها الحيوان،فضلاً عن الإنسان العاقل،صاحب الفطرة السليمة، فهل هذا من التربية الإسلامية ، كلا ، إن الإسلام براء من هذا كله ، وكذلك من التربية الإسلامية السليمة للأولاد ، الحرص على تحفيظهم كتاب الله عز وجل ، فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم ، فقد سئلت عائشة ﵂، كيف كان خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : « **كان خُلُقه القرآن** » ، إذن القرآن يغرس في قلوبهم التقوى والصدق والأمانة والعفة والصبر والجهاد والتضحية في سبيل الله ، ويبعدهم عن الكذب والخيانة والحقد والحسد والغيبة والنميمة وعقوق الوالدين ، وغيرها من سفاسف الأمور ، ومساوئ الأخلاق ، وكذلك الولد الذي يحفظ القرآن يكون سبباً في أن يتوج والداه يوم القيامة تاج العز والشرف ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله : « **من قرأ القرآن وعمل به أُلبس والداه تاجاً يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا** » ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا .

وكذلك من التربية الإسلامية للأولاد :أن تغرس في قلوبهم الإيمان والعقيدة الصحيحة ، فالذي يتربى على الإيمان ، يتربى على القوة والصبر والشجاعة ، بيت يدخله الإيمان بيت سعيد، لا يخرج إلا السعداء بإذن رب الأرض والسماء ، فهذا بيت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، بيت تربى على الإيمان ، يدخل عليه المسلمون في أيام العيد ، ليهنئوه بالعيد ، ثم يدخل بعد ذلك أطفال المسلمين ، فينظر إليهم وهم يلبسون أجمل الثياب وأحسنها ، ثم ينظر

من بينهم طفل من أطفاله وثيابه خلقة بالية، فطأطأ عمر رأسه وبكى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [القصص: ٨٣]. فلما رأى ذلك الطفل الصغير أباه يبكي ، فقال له : أبتاه ، ما الذي يبكيك ؟ قال: يا بني والله ما من شيء إلا أني خشيت أن ينكسر قلبك في يوم العيد ، وأنت بهذه الثياب البالية، فردّ ذلك الطفل الصغير والذي تربى على الإيمان، رد الرجال المؤمنين ، فقال: أبتاه، إنما ينكسر قلب من عصى ربه ومولاه ، وعق أمه وأباه ، أما أنا فلا والله. الله أكبر، إنها التربية على موائد الإيمان .

إذن التربية الإسلامية والإيمانية، تغرس في قلوب الأولاد ،حب التضحية والفداء، فهذان طفلان صغيران ـ معاذ ومعوذ ـ من أطفال الصحابة رضوان الله عليهم في معركة بدر ، يأتيان إلى عبد الرحمن بن عوف ويقولان له : يا عماه ، أين عدو الله أبو جهل؟ ، فتعجب عبد الرحمن بن عوف، وقال لهما: ما الذي تريدان منه ، قالا : سمعنا أنه يؤذي رسول الله ﷺ ونريد أن نقتله ، فدلّهم عبد الرحمن بن عوف على أبي جهل، وهو عجباً لأمرهما، فذهبا إليه وضرباه بسيفيهما ضربة رجل واحد ، حتى أردوه قتيلاً ، ثم عادا وسيفيهما تقطر دماً .

حق الأبنـــاء على الآبـــاء :

إن الله عز وجل قسَّم الحقوق بين عباده ، فأعطى لكل ذي حق حقه ، حيث أمرنا بطاعة الوالدين والإحسان إلى الأولاد وتربيتهما تربية صالحة ، قال سبحانه وتعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] .وقال في آية آخرى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ ﴾ [النساء : ١١] .وقوله عز وجل: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾ [الإسراء: ٣١] .

ولهذا يقول بعض العلماء إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم

القيامة قبل أن يُسأل الولد عن والده ، **ومن هذه الحقوق أولاً :**

[١] اختيار الزوجة الصالحة والأم القادرة على تربية أولادها تربية صحيحة :

فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت جيلاً طيب الأعراق

والناس معادن كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا** » ، والخطأ الذي يرتكبه الوالد عند الاختيار ، نتيجته مؤلمة ، فأول من يدفع الثمن : هو الرجل نفسه صاحب الاختيار ،كما قيل :جنت على نفسها براقش . ثم بعد ذلك يدفع الثمن الأولاد ، الذين لا ذنب لهم ، ولهذا قال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ، قال : اخترت لكم من الأمهات من لا تُسبون بها ، لذا يجب على الأب، قبل أن يقدم على الزواج ، أن يختار لنفسه ولأولاده الخامة الأصلية ، التي تحمل الصفات العالية ، كما بينها الرسول ﷺ بقوله : « **خير نساءكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله** » ،والرسول ﷺ قد أوصى عند الاختيار، بعلامة الجودة والامتياز ، ألا وهي علامة الدين ، حيث قال ﷺ : « **تنكح المرآة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها ودينها فأظفر بذات الدين تربت يدآك** » .

إذن الأم هي مهد الرجال والأبطال ومربية الأجيال إن أحسنت الاختيار ، فكل بطل مقدام لا بد له من أم عظيمة ، تؤيده وتناصره وتشد من أزره ، فهذا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي حكم الخلافة ، كان وراءه أم عظيمة ، قيل لها حين وضعته : إن عاش ولدك هذا سيكون سيد قومه ، فقالت : ثكلته أمه إن لم يسود قومه،وكان معاوية إذا جد واشتد البأس انتسب إلى أمه ، وهذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الذي قاد الحروب والمعارك ضد الحجاج ، كان وراءه أم عظيمة : هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما يدخل عليها يستشيرها في قتال الحجاج ،

فقالت له: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت على الحق وتدعوا إلى الحق ، فاصبر عليه حتى تموت في سبيله، وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، فقال لها عبد الله : والله يا أماه ، ما أردت الدنيا ولا ركنت إليها،وما جرت في حكم الله أبداً ولا ظلمت ولا غدرت، فقالت له أمه : إني لأرجوا الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن سبقتني إلى الله . وبعد أن قتله الحجاج ، صلبه في مكة ، فقامت أمه لترى ولدها المصلوب ، وقفت كالطود الشامخ، فاقترب منها الحجاج في ذلة وهوان ، وقال لها : يا أماه ، إن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أوصاني بك خيراً ، فهل لك من حاجة ، فصاحت به قائلة: لست لك بأم إنما أنا أم هذا المصلوب على الثنية، وعندما تقدم إليها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما معزياً لها وداعياً إياها إلى الصبر ، فأجابته قائلة : وماذا يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل ، إن هذا هو الحق الأول من حقوق الأبناء ، اختيار الزوجة الصالحة والأم المربية . أما الحق الثاني

[٢] تسميتهم بأسماء حسنة إسلامية وعربية :

فالذي يجدر بالوالدين أن يسمُّوا أولادهم بأسماء إسلامية وعربية معهودة ومعروفة ، كعبد الله وعبد الرحمن وغيرهما كما في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « **إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن** » وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومره**» .

إذن أيها الآباء اتقوا الله في أولادكم ولا تسمُّوهم بأسماء سيئة ، فهذا خلل في التربية ، ونقص في المروءة ، وجناية على الأولاد ، يلحق هذا العار الأحفاد والأجداد ، لأنها مسجلة في وثائق المعاش وفي شهادة الميلاد وفي بطائق الأحوال والجوازات والشهادات الدراسية وفي رخصة القيادة والوثائق الشرعية ، والحقيقة

أن الأب الذي يسمي أبناءه بأسماء قبيحة ، فهذا يرتكب خطأ فادحاً في حق أولاده ، كأن يسميهم بالأسماء المعبَّدة لغير الله ، كعبد العزى وعبد هبل وعبد الكعبة أو عبد النبي وعبد الحسين وعبد علي وعبد صالح وغيرها ، فقد روى أن النبي ﷺ قدم إليه قوم ، فسمعهم يدعون رجلاً عبد الحجر ، فقال له : ما اسمك ؟ ، قال : عبد الحجر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **إنما أنت عبد الله** » وبعضهم يسمي أبناءه بأسماء القرآن وسوره ، مثل طه ، ياسين ، حم ، وبعض العوام يظن أن اسم ياسين أو طه من أسماء الرسول ﷺ وهذا غير صحيح ولم يرد فيه دليل ، وبعضهم يسميهم بأسماء الملائكة ، كجبريل وميكائيل واسرافيل ، وقد كره ذلك بعض الأئمة ، كالإمام مالك رحمه الله ، وبعضهم يلقب أبناءه بملك الملوك أو سلطان السلاطين أو شاه شاه ، فقد ثبت عند مسلم أن الرسول ﷺ قال : «**أغيظ رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه ، رجل كان يسمى ملك الأملاك ، لا ملك إلا لله** »، وبعض العلماء كره التسمية بقاضي القضاة، وحاكم الحكام قياساً على ذلك ، وبعض الآباء يسمي أبناه بأسماء الفراعنة والجبابرة ، كفرعون وقارون وهامان ، فالأسماء قد تنطبق على مسمياتها والطيور على أشكالها تقع ،وما سمي الرسول ﷺ محمداً وأحمداً إلا لكثرة خصاله الحميدة ، فهو اسماً على مسمى ، ولهذا أمر الرسول ﷺ بتحسين الأسماء ، فقال : «**حسنوا أسماءكم**» ،ولكن أيها الأخوة ما رأيكم فيمن يسمي أولاده بالأسماء التي تثير الضحك والسخرية ، مثل شحات وفلفل وخيشة وجحش وبغل وفجل أو يسميهم بأسماء الشياطين كخنزب والولهان والأعور والأجدع أو يسميهم بالأسماء الأجنبية مثل: جورج وديفد ومايكل وديانا وتوتي وسوزي ، أو تلك الأسماء التافه مثل زوزو وفيفي وميمي .

المـرأة المسلمـة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامَ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن هذه الأمة اليوم ،تعيش في وقتنا الحاضر معركة بين الحق والباطل ، تشتد ضراوتها على أرض الإسلام وفي حصونه ، بل في كل بيت من بيوته ، يلتفت الإنسان في عالمنا المعاصر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فلا يرى إلا سعار الشهوات وحمى المغريات ، ويرى المرأة المسكينة تترنح تحت سياطها وتستظل بلظاها ، تعيش حياة البؤس والشقاء والنكد والعبودية لغير الله ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥)** ﴾ [طه : ١٢٥] .

والحقيقة أن المرأة في هذا الزمان أصبحت هي المقصودة لذاتها، وهي الطريق الموصل إلى كل رذيلة ، فمن خلالها وباسمها ترتكب الجرائم ضد الإنسانية، وتمارس أبشع الصفات الأخلاقية فتارة تنادى باسم الحرية وتارة باسم التقدم والحضارة ، والرسول ﷺ قد نبه إلى خطورة المرأة إن هي حادت عن الطريق الصحيح وضلت سبيلها حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الله واتقوا النساء فإن أول فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء** » ،وقوله ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»، فالرجل قد يصمد في المعارك

والحروب لكنه قد ينهار أمام امرأة مغرية فاتنة،يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن** » ، والرجال ينقسمون إلى قسمين : منهم من أخذ المكانة الطبيعية الممنوحة له بالقوامة على المرأة ، كما دلت الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء : ٣٤] ، أما القسم الثاني من الرجال ، فهم الذين تنازلوا عن حقهم المشروع وتركوا الحبل على الغارب ، لتفعل بهم النساء ما تريد ، فعاشوا حياة الذل والمهانة ، والرسول قد وبخهم بقوله : «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة** » .

مكانة المرأة في الإسلام :

إن المرأة مهما أوتيت من الحرية والقوامة على الرجل ، فهي امرأة ضعيفة مسكينة يخشى عليها من المخاطر والضياع ، لذلك فقد صانها الإسلام وحفظ كرامتها، فكان البيت سكوناً لها واستقراراً ،كما قال سبحانه وتعالى : ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**﴾ [الأحزاب :٣٣] .وكذلك أمرها الإسلام بالحجاب لتكن درة مكنونة وجوهرة مصونة ،كما قال سبحانه وتعالى﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

إن الإسلام أعطى المرأة حقها دون منقوص ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾[البقرة : ٢٢٨] .ويقول الرسول ﷺ : «**استوصوا بالنساء خيراً**» ولم يكتف الإسلام بهذه النعم التي أولاها على المرأة، بل جعل حق الأم أعظم من حق الأب كما جاء في الحديث الصحيح أن رجلاً سأل النبي ﷺ من أحق الناس بحسن صحابتي ؟،**فقال** : «**أمك** ، قال : ثم من ؟ ، **قال** : **أمك** ، قال : ثم من؟ ، **قال** : **أمك** ، قال : ثم من ؟ **قال** : **أبوك**» ، وكذلك الإسلام ، ساوى بين المرأة والرجل في الإنسانية ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

مكانة المرأة في الغرب :

أما أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم ، فقد أصبحوا يتهمون الإسلام بأنه هضم حق المرأة وسلبها حريتها ويتهجمون على المسلمين بأنهم متخلفون، فنقول لهؤلاء الحاقدين المنحرفين :نحن بإذن الله سنثبت حقيقة ما يدعون بالأدلة والأرقام حسب شهاداتهم واعترافاتهم على أنفسهم ، فقد نشرت مجلة التايم أن ألفين إلى أربعة آلاف امرأة في الغرب يتعرضن للضرب الذي يؤدي إلى الموت ، وجاء عن مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠٪ من حوادث قتل النساء بسبب المشكلات الأسرية ، ونشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٤١٠هـ مقالاً لها أن نسبة الطلاق في بريطانيا بلغت ٧٠٪ ونسبة الاغتصاب في أمريكا بلغت ٣٥٪ لعام ١٩٨٤م إذن أي سعادة تعيشها نساء أوربا وأمريكا ، إن هناك ٧٥٪ من نساء ألمانيا يشعرن بالخوف خارج المنزل عند حلول الظلام ، وقد خصصت بلدية لندن حافلات خاصة لنقل النساء من الساعة السادسة مساءً إلى منتصف الليل، بسبب الاعتداء عليهن ، فأين إذن حقوق المرأة المزعومة في الغرب وأين حريتها ، أخزاهم الله ولعنهم .

تقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة أنارود : يا ليت بلادنا بلاد الإنجليز كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف ، إنه عار علينا أن نجعل بناتنا مثلاً للرذائل والشذوذ .

وتقول الدكتورة أيدالين : إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى الحريم أي الوسط النسائي ، هو الطريق الوحيد لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذي يسير فيه .

قضايا المرأة الساخنة :

إن المرأة إذا تمسكت بالإسلام قولاً وعملاً تبوأت أماكن العزة والكرامة ، أما الآن فقد بات وضعها في مهب الرياح وملتقى الأعاصير ، فتارة مع الغرب وتارة أخرى مع الشرق ، فأصبحت المسكينة كالكرة تتخبطها مضارب اللاعبين حتى أمست لا ترضى عن ثوبها الساتر الذي يستر عورتها ولا ترغب في حجابها ، الذي هو رمز لعزتها وكرامتها .

إذن أيها المسلمون : ما موقف الإسلام من هذه التغيرات والانحرافات التي تمر بها المرأة المسلمة اليوم ، **وما هي نظرة الإسلام لقضايا المرأة الساخنة على أرض الواقع ، مثل قضية :**

[١] **خروج المرأة من بيتها إلى الشوارع والأسواق :** فقد كثرت الدعوات في الصحف والمجلات وغيرها من رسائل الإعلام إلى سفور المرأة وخروجها كاسية عارية تتبرج تبرج الجاهلية ، فهذا الأمر قد أصبح معتاداً عند كثير من المسلمين والمسلمات ، والله عز وجل يقول في كتابه الكريم : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . وهذا خطاب موجه إلى أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ العفيفات الطاهرات فكيف بنساء المؤمنين المعرَّضين للفتن والشهوات،فالأمر إليهن من باب أولى،ويقول الرسول ﷺ مؤكداً قرار المرأة في بيتها «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجد قومها ، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في بيتها**» ، ولقد كانت النساء على عهد رسول الله ﷺ يخرجن للصلاة وهن متلفعات بثيابهن لا يعرفهن أحد من الرجال ومع هذا فقد كرهت عائشة رضي الله عنها خروجهن بعد وفاة رسول الله ﷺ كما في الصحيحين حيث قالت : لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدثت النساء لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل . فإذا كان هذا إلى المساجد فما بالكم إلى الشوارع

والأسواق ، وهذا يعني أن المرأة لا يحق لها الخروج مطلقاً ، بل يجوز لها أن تخرج لقضاء ما تحتاج إليه حسب الضرورة ، فقد رخص الرسول ﷺ بذلك حيث قال : « **قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن** » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** » ، ولكن أيها الإخوة ، هل خروج المرأة اليوم إلى الشوارع والأسواق من الضروريات اللازمة للخروج؟ الرسول ﷺ يقول: « **المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان فهي تدبر وتقبل في صورة شيطان** » أي يزينها ويجملها حتى لو كانت من أقبح المخلوقات ، فكيف إذا خرجت متبرجة سافرة مائلة مميلة ، فإنها لن تجد ريح الجنة كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **صنفان من أهل النار لم أرهما قط : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » .

فالمرأة التي تخرج من بيتها متعطرة متزينة ، فهي تمارس نوعاً من أنواع الزنا يؤكد ذلك قول النبي ﷺ : « **أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية** » ، والرجل الذي يسمح لابنته أو زوجته أو أخته أن تخرج لوحدها وتحادث صاحب الدكان وتمازح صاحب الملابس وتلاعب سائق التاكس، فهو ديوث، كما وصفه الرسول ﷺ بقوله : « **ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديه والديوث الذي يقر الخبث في أهل بيته** » .

واليكم أيها الإخوة ، بعض صيحات الغرب من جراء خروج المرأة من بيتها بلا حدود ولا قيود ، وهذه الصيحات ليست صيحات نساء مسلمات أو رجال مسلمون إنما هي صيحات نساء كافرات :

فتقول الدكتورة الأمريكية أيدالين : إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وكثرة الجرائم في المجتمع الأمريكي هو بسبب خروج المرأة من البيت إلى العمل ،

فزاد دخل الأسرة وانخفض مستوى الأخلاق .

وفي بريطانيا تقول عضوة المجلس البريطاني اسكوت ، تقول : لقد دخلت المرأة البرلمان ونزلت إلى الحياة العامة ، ولكن صدقوني أنها لم تنجح وثبت أن مكانها الصحيح هو البيت .

ويقول أحد أعضاء الكونجرس الأمريكي : إن المرأة تستطيع أن تخدم الدولة حقاً إذا بقيت في البيت الذي هو كيان الأسرة . فالله أكبر إذا كانت هذه اعترافات نساء اليهود والنصارى ﴿ **فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ .

وكذلك من القضايا الساخنة التي تعيشها المرأة المسلمة :

[٢] قضية اللباس والحجاب الشرعي : فلم يعد الالتزام بالحجاب الشرعي ، من الضروريات التي تسعى إليها المرأة المسلمة اليوم وأصبح السفور في الحجاب والملابس أمراً مألوفاً وغير مستنكر عند كثر من المسلمين والمسلمات ، والله عز وجل يقول في كتابه الكريم : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب :٥٣] ،وقوله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)** ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها ، فإذا جاوزنا كشفنا** » .ولذا يجب على المرأة المسلمة أن تغطي زينتها عن الأجانب لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾[النور : ٣١] .

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت والله مثل نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً به ، لما نزل قوله تعالى : ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾

شققن مروطهن حتى أصبحن خلف رسول الله ﷺ متعجرات كأن على رؤوسهن الغربان ، أما اليوم فقد أصبح الحجاب نوعاً من أنواع الزينة وخاصة هذا النقاب أو ما يسمى بالبرقع الذي فيه من الفتنة ما فيه ، لأنه يؤدي إلى مفسدة عظيمة ، فيصور المرأة العجوز بأنها شابة ، والقبيحة بأنها جميلة حسناء .

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ عن هذا الأمر فقال :

نرى أن يمنع منعاً باتاً وأن على المرأة أن تتقي ربها في هذا الأمر وأن لا تتنقب لأن ذلك يفتح باب شر لا يمكن إغلاقه فيما بعد . والأعظم من هذا والأدهى والأمَر ، أن يكون الحجاب زينة في نفسه أو أن يكون ضيقاً شفافاً يظهر مفاتن المرأة ومحاسنها ، فتصبح كاسية عارية كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **صنفان من أهل النار لم أرهما قط : قوم معهم سياط يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « **سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساءهم كاسيات عاريات** » ، فهذا هو الواقع الذي تعيشه نساء المسلمين اليوم وهذا علامة من علامات الساعة أن تصبح المرأة المسلمة عارضة أزياء، متشبة بالكافرات حسب الموديلات الباريسية الخليعة والتسريحات اللندنية المخزية ، والرسول ﷺ قد حذر من ذلك حيث قال: « **ومن تشبه بقوم فهو منهم** » ،وقوله ﷺ في حديث آخر: «**لتتبعن سُنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » .

وفيما يلي نعرض لكم بعض مواصفات اللباس الشرعي المطلوب :

- أن يكون متيناً فضفاضاً غير شفاف .
- ألا يكون ثوب شهرة لقول الرسول ﷺ : « **من لبس ثوب شهرة في الدنيا**

ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» .

- ألا يشبه لباس الكافرات لقول الرسول ﷺ :«**ومن تشبه بقوم فهو منهم**» .
- ألا يشبه لباس الرجال لأن الرسول ﷺ : «**لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**» .

وكذلك من القضايا المنحرفة التي تعيشها المرأة المسلمة :

[٣] **قضية الاختلاط :** اختلاط الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال كما يحدث في الحفلات والاجتماعات وفي المصانع والشركات وفي المدارس والمستشفيات وهذه مصيبة عظمى حلت بالأمة، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب :٥٣] ، وقد أفرد النبي ﷺ باباً خاصاً للنساء في مسجده ، يدخلن منه ويخرجن منه ، لا يخالطهن أحد من الرجال ، ولهذا روي أن ابن عمر لم يدخل من ذلك الباب حتى مات ، وقد روي أنه حدث اختلاط الرجال بالنساء في عهد الرسول ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام للنساء : « **استأخرن فليس لكن أن تحققن الطريق** » ، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من شدة لصوقها به ، وروي أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نهى أن يطوف الرجال مع النساء ، ثم رأى رجلاً يطوف معهن فضربه بالدرة . وأنتم تسمعون عن درة عمر، ولا شك أن الاختلاط طريق إلى الزنا .

ولهذا لما سئل العلامة أحمد رفيق باشا العثماني في إحدى العواصم الأوربية :

لماذا تبقى نساء الشرق أي نساء المسلمين متحجبات في بيوتهن مدى الحياة ، من أن يخالطن الرجال ويغشين مجامعهن ، فأجابه قائلاً : لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن . ولما وقعت فتنة الاختلاط في كثير من الجامعات « في كثير من البلاد الإسلامية » كان ما كان من حوادث يندى لها الجبين، وقد سئل « عميد الأدب العربي » عن رأيه في هذا الأمر، فقال : لا بد من ضحايا . ضحايا من

أجل ماذا؟، وفي سبيل ماذا ؟، وأي ثمرة يمكن أن نجنيها من هذا الاختلاط الفاحش ؟، فتباً لهؤلاء المستغربين الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان في محاربة الدين والأخلاق ، وسحقاً سحقاً لهم ولأفكارهم الخبيثة ، على الإسلام وأهله ، وصدق الله إذ يقول فيهم ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً** (٢٧) ﴾ [النساء : ٢٧] .

فيا أيها المسلمون احذروا الخلوة والاختلاط ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم فإن الشيطان ثالثهما** » وقوله عليه الصلاة والسلام : « **لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم** » .

وفي أيام الحج قال عليه الصلاة والسلام وهو يخطب على المنبر : « **لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم** »، فقام رجل وقال يا رسول الله : إن امرأتي خرجت حاجَّة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **انطلق فحج مع امرأتك** » ، أمره النبي ﷺ أن يدع الغزو والجهاد في سبيل الله ويذهب مع امرأته خوفاً عليها من فتنة الاختلاط ، وقد تكون القرابة إلى المرأة أو الزوجة سبيلاً سهلاً إلى الخلوة والاختلاط ، كابن العم وابن الخال وغيرهما ، والرسول ﷺ قد حذر من ذلك أشد تحذير وقرنه بالموت حيث قال : « **إياكم والدخول على النساء** ، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ ، قال : **الحمو الموت** » . والحمو هو قريب الزوج كالأخ وابن العم وابن الخال وغيرهم ، فهذه أدلة شرعية من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ تدل على تحريم الاختلاط ، لكن هناك من الناس من لا يؤمن بهذه الحقائق الشرعية التي لا شك فيها ولا ريب ، رغم أن كثيراً من الغربيين المنصفين يؤكدون هذه الحقائق ، فيقول أحد الأعضاء في الكونجرس الأمريكي : إن الله عندما منح المرأة ميزة الإنجاب للأولاد لم يطلب منها أن تتركهم

لتعمل في الخارج ، بل جعل مهمتها البقاء في المنزل لرعاية هؤلاء الأطفال .
وتقول امرأة انجليزية : إن الاختلاط يالفه الرجال وعلى قدر كثرة الاختلاط يكون أولاد الزنا ، إلى أن قالت : علموهن الابتعاد عن الرجال ، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد .

ومن القضايا التي تعيشها المرأة المسلمة :

[٤] **قضية العفة والحياء :** ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : « **الحياء من الإيمان والحياء لا يأتي إلا بخير** » ، وقال أيضاً : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت** ». فالمرأة التي ترقق صوتها عند الحديث مع الناس ، فهي ليست عفيفة ، فالله عز وجل يخاطب نساء النبي ﷺ بقوله تعالى : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ [الأحزاب ٣٢] . ولهذا ارشد الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار ، طلباً للطهر والعفاف فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣٠ - ٣١] .

فالمرأة التي تحرص على مشاهدة الرجال ومشاهدة المناظر الخليعة الماجنة ، حتى لو كان ذلك في التلفاز ، فهي امرأة خليعة ليست عفيفة ، وكذلك المرأة التي تحب أن تخالط الرجال وتعمل معهم سوياً فهي امرأة خليعة وليست عفيفة ، بل هي زانية كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله : « **أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية** » ، فإذا كان هذا مجرد المرور عليهم فما بالكم بالبقاء معهم ، وكذلك المرأة التي تنزع حجابها في غير بيت أهلها ، فهي امرأة سافرة متبرجة ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « **أيما امرأة نزعت ثوبها في غير بيت زوجها ، فقد هتكت ما بينها وبين الله من ستر** » .

الـزواج في ظل الإسـلام

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

قال الله سبحانه وتعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾** [النساء : ١] . وقال أيضاً : **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧) ﴾** [يونس : ٦٧] . وقوله عز وجل : **﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) ﴾** [النحل : ٧٢] .

إذن الزواج نعمة من نعم الله التي امتن الله عز وجل بها على عبادة ، وهو من سُنن المرسلين كما قال سبحانه وتعالى : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾** [الرعد : ٣٨] . وقد تزوج النبي ﷺ وقال : « **إني أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** » ، وحث عليه الصلاة والسلام الشباب على الزواج بقوله : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » . وقد نهى الرسول ﷺ عن التبتل كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال : رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا ، والتبتل

هو: الانقطاع عن الزواج عبادة وتديناً وتقرباً إلى الله سبحانه وتعالى، وهو من شريعة النصارى المبتدعة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ** ﴾ [الحديد: ٢٧]، فالرهبانية في شريعة الإسلام ليست في الزواج، بل هي في الجهاد في سبيل الله كما قال ﷺ: «**لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**».

حاجة الإنسان إلى الزوجة الصالحة:

إن كل إنسان مهما أوتي من الإمكانيات وعزف عن الزواج، فإنه ما يزال محتاج إلى امرأة عظيمة تقف بجواره، كما قيل في المثل السائد بين الناس: إن لكل رجل عظيم امرأة عظيمة، فالدور الذي تقوم به المرأة لا يستطيع أن يقوم به الرجل، لأن المرأة تكمل نقصاً في حياة الرجل، ولها مواقف مشرِّفة لا غنى للرجل عنها، فهذا الرسول ﷺ كان وراءه امرأة عظيمة هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي وقفت معه بمالها ونفسها تقول له عندما رجع من الغار خائفاً: «**والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتُقرئ الضيف وتُعين على نوائب الدهر**»، إذن فالرجل بحاجة ماسة إلى امرأة تقف بجواره وتشد من أزره، كما حدث في صلح الحديبة، لما أصيب المسلمون بخيبة أمل، ولم يكونوا راضين عن الاتفاق الذي تم بين الرسول ﷺ ومشركي قريش، فأمرهم النبي ﷺ أن ينحروا هداياهم ويحلقوا رؤوسهم ويرجعوا إلى المدينة، لكنه لم يستجب لهذا الأمر أحداً، حتى قالها ثلاثاً، فتأثر النبي ﷺ لهذا الموقف من أصحابه، ثم دخل على زوجته أم سلمة وهو غاضب، فأشارت عليه بمشورة حكيمة، وقالت له: اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر هديك وتحلق رأسك، فإن رأوك فعلت ذلك تبعوك، فلما رأى المسلمون ما صنع

رسول الله ﷺ قاموا عجلين ينحرون هدياهم ويحلقون رؤوسهم فهكذا تظهر محاسن المرأة على الرجل من خلال هذه المواقف البطولية . فهذه الخنساء في معركة القادسية قتل أربعة من أبنائها ، فلما علمت بمقتلهم ، قالت : الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً في سبيل الله .

فوائد وحكم الــزواج :

ومع ذلك أيها الأخوة الكرام ، قد يعزف كثير من الشباب اليوم من الارتباط بامرأة صالحة ، وكثيراً منهم يحتجون بحجج واهية لا حقيقة لها ، **ونحن بدورنا نذكرهم بما في الزواج من مصالح ومحاسن وفوائد عظيمة ، منها :**

[١] **أولاً : أن الزواج احصان للنفس ووقاية من الحرام :** كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج** » ففي هذا الزمان أكبر خطر يتعرض له الشباب،هو خطر النساء ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « **ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء** » ، وقوله أيضاً في حديث آخر : « **إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** » ، وأنتم أيها الأخوة تعرفون قصة يوسف عليه السلام مع هذه الفتنة العظيمة كما جاء ذكرها في سورة يوسف في قوله تعالى : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)** ﴾ [يوسف : ٢٣] .

إذن ما هو الحل ؟ : هل الحل في زواج المتعة أم الحل في الزواج الذي يسمى بالزواج الصوري أو العرفي ؟!! ، أم أن الإنسان يشبع رغباته الدنيوية بطرق غير مشروعه، فكل هذه حلول خاطئة تقود إلى الهاوية وإلى مواطن الردى ، بل يجب أن يقدم الشباب على الزواج المشروع الذي فيه حل لمشاكل الحياة ومآسيها .

[٢] **ثانياً : إن فيه متعة للنفس وإكمال للدين :** كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر** » رواه البيهقي . وفي الزواج أنس وسكون واستقرار للحياة ، بنص الآية الكريمة ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الأعراف : ١٨٩] . وهذا السكون والاستقرار الذي يحدث بين الزوجين قد جاء ذكره في القرآن الكريم بأبلغ وصف وأدق تصوير حيث قال سبحانه وتعالى :﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

والرسول ﷺ قد وصف مواطن البهجة والسرور عند المرأة الصالحة حيث قال : « **خير نساءكم التي إذا نظر إليها زوجها أسرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله** » فالزواج المباح ، يعقبه سرور واطمئنان ما بعده سرور كما قال عليه الصلاة والسلام : « **الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة** » وهذا الاستمتاع الحلال في ظل الحياة الزوجية لا ينافي التقوى والإيمان ، فهذا سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين ﷺ كان يقول : « **حُبب إلي من دنياكم الطِّيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة** » ، فمحبة الطيب والنساء لم تمنعه ﷺ أن يكون رسول هذه الأمة وأن يكون سيد العابدين المتقين .

وكذلك من حكم الزواج وفوائده :

[٣] **أن فيه حفاظ على النوع الإنساني وزيادة في الذرية :** كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ [النساء : ١] . والرسول ﷺ قد أوصى بالمرأة الولود ، حيث قال : « **تزوجوا الودود الولود فإن مكاثر بكم الأمم يوم القيامة** » وما على المسلم إلا أن يسأل الله - عز وجل - الذرية الصالحة كما سأل زكريا عليه السلام ربه ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾ [الأنبياء : ٨٩] .

القدرة المالية والجنسية للزواج :

ورغم أن الزواج يحقق نتائج حسنة للمتزوجين إلا أن مسئوليته كبيرة وأمانته عظيمة ، يقول عليه الصلاة والسلام : «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه عليه حفظ أم ضيع حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته**» ،وقال في حديث آخر : «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول**» ،و لذا يجب على الإنسان قبل أن يقدم على الزواج أن يعرف حقيقة نفسه من الناحيتين المادية والجنسية ، لأن الرسول ﷺ أمر بالزواج في حال القدرة عليه وارشد إلى غيره في حال العجز والضعف حيث قال : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج** » ، والباءة : قد يقصد بها القدرة المالية أو يقصد بها القدرة الجنسية ثم قال ﷺ : «**ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » ولهذا فالزواج يلحقه تبعات ومسئوليات ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . وقول الرسول ﷺ : «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف** » ،والإنسان الذي يعلم في نفسه أنه غير قادر على تحمل الزواج ومسئولياته وتبعاته فما عليه إلا أن يصبر ويستعفف عن الحرام كما دلت الآية الكريمة : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٣] .

الفقـــر والـــزواج :

و هذا لا يعني أن الفقير يبقى دائماً بلا زواج ، بل يجب التعاون والتعاطف معه بقدر الاستطاعة ، استبشاراً بقوله تعالى : ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٢] إذن فالنكاح من أسباب الغنى كما قال أبو بكر رضي الله عنه : التمسوا الغنى بالنكاح ، ومن ابتغى الزواج ليعف نفسه عن الحرام كان الله في عونه كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **ثلاثة حق على الله عونهم** :

المكاتب الذي يريد الأداء والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله » رواه النسائي ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**إن المعونة تأتي من الله على قدر المئونة وإن الصبر على قدر البلاء** » ، رواه البزار ، ولذا ينبغي للمرأة أن تصبر على فقر زوجها ولا تسخط من حاله فقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول : « **إنا كنا ننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة وما أوقد في بيوت رسول الله ﷺ نار ، إلا الأسودان التمر والماء**» ، وقالت رضي الله عنها أيضاً : «**ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين حتى قبض رسول الله ﷺ**» ، وروي ايضاً أن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل يوماً زوجته طعاماً ، فقالت : ليس عندنا غير كسرة من الخبز الجاف ، فتناولها عمر ، وصب عليها قليلاً من الماء فأكل حتى شبع ، هذه كانت حياتهم مع أزواجهم ، والذي يجدر بنا كمسلمين أن نذكّر الآباء والأمهات والزوجة الصالحة بضرورة الحياة البسيطة والتواضع في المعيشة فكم وكم من التبذير والإسراف كان سبباً في شقاء الأسر وتشريد أطفالها ووقوعها تحت طائلة الديون نتيجة الإسراف والتفاخر بين الناس .

ولكم عبرة في قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عندما جاء يزوره في مكة ، فلم يجده ولكنه وجد امرأته ، فسألها عن حياتهم ومعيشتهم ، فشكت إليه الحال وقالت : نحن في شدة وضيق وشر ، فقال لها إبراهيم عليه السلام : إذا جاء إسماعيل فأقرئيه السلام وقولي له غيِّر عتبة بابك ، فلما جاء إسماعيل وقصت عليه الخبر ، قال : ذاك أبي وأنت العتبة التي أمرني أن أفارقها :إلحقي بأهلك ، ثم طلقها وتزوج غيرها ، فقدم إبراهيم عليه السلام مرة أخرى من فلسطين ولم يجد ولده إسماعيل فسأل زوجته عن حياتهم ومعيشتهم فقالت : نحن في خير وسعة ورزق ، فقال لها : إذا جاء إسماعيل أقرئيه مني السلام ، وقولي له ثبِّت عتبة بابك ، فلما جاء إسماعيل عليه السلام وقصت عليه الخبر ، قال : ذاك هو أبي وأنت العتبة التي أمرني أن أمسكها .

الصفات المطلوبة للزواج :

إن هذا الزواج يحتاج إلى حسن اختيار ومعرفة ودراية ، ويحتاج إلى معرفة العلامات والصفات المطلوبة في الزواج ، كما بينها الرسول ﷺ بقوله : «**تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**» ، فهذه هي الصفات المفضلة ، لدى الناس جميعاً عند الاختيار ، فمنهم من يبحث عن الدين والأخلاق ، ومنهم من يبحث عن المال ، ومنهم من يبحث عن الحسب والنسب ، ومنهم من يبحث عن الجمال .

وأفضل هذه العلامات على الإطلاق هي :

[١] **علامة الدين :** لذلك أكد الرسول ﷺ على ذات الدين حينما قال «**فأظفر بذات الدين تربت يداك**»،والله عز وجل جعل المفاضلة بين الناس بالتقوى دون غيرها،فقال سبحانه وتعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال في آية أخرى : ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٣٢) ﴾ [النور:٣٢] ، ففي هذه الآيات لم يشترط الغنى وكثرة المال بل اشترط التقوى والصلاح ، لأن الدين يحد من قوتي الغضب والشهوة ، وفيه وقاية من فساد الأخلاق ومهاوئ الردى ، فالشاهد من الآية ﴿ **وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ** ﴾ ، ولهذا حذر النبي ﷺ أشد التحذير من عدم الموافقة على الرجل الصالح الذي يحمل صفة الدين حيث قال: « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**» ،ولهذا فالخروج عن دائرة الإسلام سبب في تحريم الزواج من المسلمين والمسلمات ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا**

ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مُشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النَّار والله يدعو إلى الجنَّة والمغفرة بإذنه ﴾ [البقرة : ٢٢١]

وقال عز وجل في آية أخرى : ﴿ **يا أيُّها الَّذين آمنُوا إذا جاءكُمُ المُؤمنات مُهاجرات فامتحنُوهُنَّ اللَّهُ أعلَمُ بإيمانهن فإنْ علمتُمُوهُنَّ مؤمنات فلا ترجعُوهُنَّ إلى الكُفَّار لا هُنَّ حلٌّ لَّهُمْ ولا هُمْ يحلُّون لهُنَّ** ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

ومن هذه الآيات وغيرها استنبط العلماء على تحريم مصاهرة الكافر المرتد ، كمن ترك الصلاة جحوداً أو استهزئ بشي معلوم من الدين بالضرورة ، وقالوا : بأنه يجب التفريق بينهما حتى لو كان بعد الزواج بنص الآية الكريم : ﴿ **لا هُنَّ حلٌّ لَّهُمْ ولا هُمْ يَحلُّون لَهُنَّ** ﴾ فذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح لقول الله عز وجل ﴿ **وحُرِّمَ ذلك على المُؤمنين** ﴾ [النور : ٣] . و لذا يجب التركيز عند الاختيار على صفة الدين، فهذه أم سليم عندما جاء يخطبها أبو طلحة وهو مشرك كافر ، قالت له : يا أبا طلحة والله ما مثلك يردّ ، ولكنك امرئ كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فهو مهري .

أما الصفة الثانية من الصفات المطلوبة في الزواج فهي :

[٢] صفة الجمال : والجمال بدوره ينقسم إلى قسمين جمال حسي وجمال معنوي، فالجمال الحسي هو : كمال الخلقة وجمال المنظر وعذوبة المنطق ، أما الجمال المعنوي فهو : كمال الدبن والأخلاق ، فكلما كانت المرأة ذات دين وخلق كانت أحب إلى النفس وأسلم عاقبة ، ونحن عندما نتحدث عن الدين ونؤكد عليه فليس معنى ذلك أن الجمال ليس مقصوداً بذاته ، بل هو من اللوازم المعتبرة كما يتضح ذلك من حديث الرسول ﷺ عندما قال لذلك الرجل : « **أنظرت إليها** ، قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام . « **انظر إليها فإنه أحرى**

أن يؤدم بينكما » ،وهذا المعيار ينطبق على الزوجين ، فما يريده الرجل في المرأة تريده المرأة في الرجل ،وقد فرق رسول الله ﷺ بين قيس بن شماس وزوجته ، لأنها كرهته لدمامته ، ومن طريف ما يروى بهذه المناسبة: أن رجلاً دخل على امرأته وكان قبيحاً دميماً وكانت امرأته حسناء ، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسناً ، فقالت له : ما شانك ؟ فحمد الله وأثنى عليه ، فقالت له : أبشر فإني وإياك في الجنة ، قال : ومن أين علمت ذلك ، قالت : لأنك أعطيت مثلي فشكرت ، وابتليت بمثلك فصبرت ، والصابر والشاكر في الجنة .

ونحن أيها الإخوة عندما نقدم هذه الأدلة نسوقها لأولئك الذين يظنون أن الدين لا يقيم اعتباراً لقضية الجمال ، ولكن المنهي عنه شرعاً ، هو تغليب هذا الجانب على جانب الدين ، فخير الأمور أوسطها ، لان الجمال المفرط قد يكون سبباً في كثير من الويلات ، ويقود إلى أسوأ العواقب والرسول ﷺ قد حذر من ذلك بقوله إياكم وخضراء الدمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء ، ولهذا ذكر صاحب كتاب الزواج الإسلامي السعيد : أن رجلاً سئل في المذياع هل تحب من النساء ذوات الجمال الفتان ، فقال : لا ، قيل له : وهل هناك أحد يكره الجمال الفتان ، فقال الرجل : إن الجمال الفتان يعقبه دلال فتان ومشكلات لا تنتهي .

أما الصفة الثالثة من الصفات المطلوبة في الزواج فهي :

[٣] **صفة الحسب والنسب :** وهذه الصفة قد تكون محمودة وقد تكون مذمومة ، فالشرف الذي هو بمعنى الطهر والعفاف فهو محمود ، وأما الشرف الذي بمعنى المفاضلة والتمايز بين الناس فهو مذموم ، لأن الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى، وقد جاء الإسلام يدعوا الناس إلى أن أصلهم واحد وأنهم من تراب وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، وإنه مع ذلك فقد أثبت الصفات الحمدة التي تدل على المعدن الأصيل كما بين

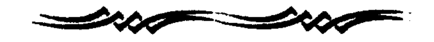
ذلك النبي ﷺ بقوله: «**الناس معادن ، كمعادن الذهب والفضة ،وخيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».والرسول ﷺ قد أوصى بحسن الاختيار، فقال ﷺ : «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» والنفوس في طبعها ليست سواء، ولذلك رأينا كيف رفضت زينب بنت جحش رضي الله عنها الزواج بزيد بن حارثة رضي الله عنه وتزوجته وهي كارهة، فضايقته حتى طلقها، كما حكى القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ [الأحزاب : ٣٧] . ومع هذا كله ، فقد وازن الإسلام بين أخلاق الشعوب والقبائل والفصائل ،حيث زوج عبد الرحمن بن عوف القرشي أخته لبلال الحبشي ،ولا عجب ولا استغراب في ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال عليه الصلاة والسلام : « **الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» .

أما الصفة الرابعة من الصفات المرغبة في الزواج فهي :

[٤] **صفة المال والغنى** : وهي آخر صفة في الحديث المذكور، وأقلها أهمية، لأن الغرض منها طمع دنيوي ، كما قال تعالى : ﴿ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٢] . وهذا الذي يبحث عن المال والغنى دون غيرها من الصفات الحسنة ، صاحب نية خبيثة ، قد لا يوفقه الله لان الرسول ﷺ يقول : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» ، والرسول ﷺ قد وبخ صاحب هذا الغرض الدنيء فقال عليه الصلاة والسلام : «**تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة . تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش** » .

وهناك بعض المخالفات التي تقع في الزواج :

- تأخير زواج البنات .
- المغالاة في المهور .
- عدم تمكين الخاطب من الرؤية الشرعية للمخطوبة .
- سُماعِ الغناء .
- الاختلاط .
- ما يسمى بدبلة الخطوبة ، والمخالفات التي تقع أثناء الخطوبة .
- استخدام تهنئة الجاهلية كقولهم بالرفاء والبنين لأن فيه دعاء بالبنين دون البنات وفيها إحياء لسُنَّة الوأد .
- ما يسمى بشهر العسل وكأنه توطئة نفسية للتشاؤم من بقية الشهور ، ويزيد قبحاً وخيبة إذا اقترن بالسفر إلى بلاد الكفار .





النية الخالصة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

إن الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قال تعالى :﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾[البينة : ٥] وقال ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة** » والإخلاص يدخل صاحبه في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ذكر منهم ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ولا شك أن الإخلاص يحتاج إلى مجاهدة النفس الأمارة بالسوء فقد سئل سهل بن عبد الله التستري : أي شيء أشد على النفس؟، قال : الإخلاص لله ، وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي ، إنها تتقلب عليّ . ولا بد من الإخلاص في النية لقول الرسول ﷺ في حديث عمر رضي الله عنه : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » .

وكذلك الأعمال لا بد لها من شرطيّ الإخلاص والموافقة لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وبدون هذين الشرطين لا يقبل الله الأعمال، قال تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف ١١٠] .

عملاً صالحا : أي موافقاً لشرع الله ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً : أي يجب أن يكون خالصًا لله وحده .

الــريـــاء :

وقد حذر الله عز وجل من الريا في العبادة فقال سبحانه وتعالى :﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين** ﴾ الزمر : ٦٥] .

والرياء يدخل تحت الشرك الأصغر كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** ،قالوا يا رسول الله :وما الشرك الأصغر؟ ، **قال : الرياء** رواه احمد ، وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٢] . قال : هو الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء .

والشرك الخفي يعتبر رياءً وإليكم الدليل :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال : «**آلا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيخ الدجال** ، قالوا : بلى ، **قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه**» ، وأما عاقبة الرياء في الآخرة فكما قال ﷺ : «**من سمّع سمّع الله به ، ومن رآى رآى الله به**» ، وفي يوم القيامة يتبرأ الله من أهل الشرك والريا ء كما ورد في الحديث القدسي : «**أن الله عز وجل يقول : أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» ولذلك كان ﷺ عند تلبيته للحج يقول : «**اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**» .

المخلــص :

وعليه يجب أن يتخلص المسلم من الرياء والسمعة ،لأن المخلص لله ينجيه الله من الشدائد والكربات في الدنيا والآخرة فلا يخاف أبداً ،لأن نيته مع الله قائمة قال إبراهيم عليه السلام لقومه وهو يحاججهم : ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢)** ﴾ [الأنعام : ٨١ ـ ٨٢] .

وإن المؤمن الصالح سيكون آمناً يوم القيامة وسيأتي ربه مؤمناً ، والله عز وجل يقول : ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى (٧٦)** ﴾ [طه ٧٤ – ٧٦] .

إذن فالمخلص: يجمع الله عز وجل قلوب عباده عليه ، لماذا لأنه سبحانه علم ما في قلبه ونيته ، والله إذا علم من نية عبده خيراً يجمع القلوب على حبه حتى يحبه المنصفون وإن كانوا يختلفون معه في الرأي حيث يقول : « **إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فيقول يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء يا أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبوه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض** » .

حصول الثواب بالنية الحسنة فقط :

إن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه يكتب الأجر لكل من أخلص نيته لله ، حتى لو لم يعمل من الأعمال شيئاً ، فالذي ينام وفي نيته أن يقوم الليل فتغلبه عيناه فينام حتى يصبح يكتب الله له أجر قيام الليل ، ويكون نومه صدقة من الله

عليه ، ولذلك يقول النبي ﷺ : «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء و إن مات على فراشه**» ، وليس كل الذين يقتلون في المعارك شهداء ، ولكن نحن نطلق اسم الشهيد على كل إنسان ، فنقول الشهيد فلان ، الشهيد فلان ، حتى الذين انتحروا نقول الشهيد فلان ، و الذي يقاتل من أجل كرسي نقول له الشهيد فلان، والرسول ﷺ يقول : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، ومن الناس من يقاتل في سبيل الله ويكون شهيداً والله أعلم به ، ومن الناس أيضاً من يموت وهو على فراشه ويكون شهيداً كما ورد في الحديث السابق «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» فهذا شهيد بعلمه وجهاده وهذا شهيد بنيته وقصده ، فالشهيد إما أن يموت في أرض المعركة وإما أن يموت على سريره بنيته ، وفي كلا الحالتين قد بلغه الله منازل الشهداء ، وهناك من يبلغ مراتب المجاهدين الذين خرجوا في سبيل الله وهم قاعدون في بيوتهم منعهم العذر ، كما جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة فقال:« **إن بالمدينة لرجال ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض**» وفي رواية أخرى « **إلا شركوكم في الأجر** » ، ولهذا فان النبي ﷺ قال:«**إن رجالاً في المدينة** » ، وليس في أرض المعركة وإن أجرهم كأجر المجاهدين في سبيل الله ، فقد نالوا هذه المرتبة العليا مرتبة المجاهدين في سبيل الله بسبب نياتهم الصالحة لأن الله يعلم ما في قلوبهم فأثابهم بحسب نياتهم .

حصول العقاب بالنية السيئة فقط :

وفي المقابل يعاقب الله عز وجل بعض الناس جزاءً على نياتهم السيئة وهم لم يفعلوا شيئاً، يبين ذلك حديث المصطفى ﷺ عندما قال : «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** ، قالوا يا رسول الله : هذا القاتل فما بال

المقتول ، **قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه** » ،فإن هذا المقتول كان يريد أن يقتل خصمه لكن الأسباب لم تتوفر لديه فكان جزاءه النار مثل قاتله سواء بسواء، وجاء في مسند الإمام أحمد وسُنن الترمذي من حديث أبي كبشة الأنصاري أن النبي ﷺ قال : «**أحدثكم حديثاً تحفظوه : في الدنيا أربعة نفر أو قال أربعة أصناف ، رجل أعطاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه وماله ويصل به رحمه** » يبني به المساجد ويقيم به مدارس التحفيظ والمعاهد الخيرية ويحفر به الآبار وينفقه في سبيل الله ، فهذا في أعلى المنازل ،« **ورجل أعطاه الله علماً ولم يعطه مالاً فيقول : يا ليت لي مثل مال فلان فأعمل به خيراً وأنفقه في سبيل الله فهو في الأجر سواء مع صاحبه الأول** » ، نال ذلك بنيته الحسنة، « **ورجل ثالث آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو لا يتقي الله في ماله** » ، وينفقه فيما يغضب الله أناء الليل وأطراف النهار فهو ينفقه في إقامة الحفلات وفي تشجيع الرقص والراقصات وفي إنشاء المسارح والسينمات وفي نشر الفساد بين العباد ، فهذا في أخبث المنازل يوم القيامة . «**ورجل آخر لم يعطه الله مالاً ولا علماً فيقول لو أن معي مثل فلان فأعمل مثل ما يعمل وأصنع كما يصنع ، فهو في الوزر سواء بسواء مع صاحبة**» نال ذلك بسبب نيته السيئة، وقد أوضح النبي ﷺ هذا الأمر في حديث آخر حيث قال : « **نية المؤمن أبلغ من عمله** » .

الإشراك في النية :

وإن العمل الواحد من شخصين مختلفين يختلف باختلاف نياتهما، مثال ذلك كمن هرع إلى المساجد لحضور الجماعة وإقامة الصلاة ابتغاء مرضات الله، ومن يصلي لكي يري الناس عمله أو يحرز الثناء والمدح، فهل صلاتهما واحدة ؟ ، كلا ، ورجل أخر كان يتصدق لمواساة الفقراء والبائسين وإعانة المنكوبين والتفريج عن المكروبين لا يحمله على ذلك إلا امتثال أمر رب العالمين، أما الآخر فكان

يتصدق ليقال فلان سخي كريم جواد ، فهل يستويان مثلا ؟ كلا والله ، وقد أخبر النبي ﷺ عن أناس يعملون أعمالاً عظيمة في الإسلام فيدخلون النار بديلاً عن الجنة وذلك بسبب خبث نياتهم وفساد قلوبهم ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إن أول من تسعر بهم النار ثلاثة من الخلق والبلية أن هؤلاء الثلاثة هم من هذه الأمة الأول قارئ القرآن : يؤتى به يوم القيامة فيعرفه الله بنعمه عليه فيعترف ويقر بها فيقول الله له : ماذا عملت بهذا القرآن فيقول : أي رب ، قرأت فيك القرآن وعلمته للناس فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت إنما قرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم يؤخذ فيطرح في النار ، والرجل الثاني المجاهد : يعرفه الله بنعمه عليه فيعترف ويقر بها فيقول الله له : ماذا عملت فيقول : أي رب ، قاتلت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت إنما قاتلت ليقال فلان شجاع وقد قيل ثم يؤخذ فيطرح في النار ، والرجل الثالث المتصدق : يؤتى به ويعرفه الله بنعمه عليه فيعترف بذلك ، فيقول الله له : ماذا عملت فيقول : أي رب ، تصدق وأنفقت في سبيلك فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة كذبت إنما تصدقت ليقال فلان جواد كريم فقد قيل ثم يؤخذ فيطرح في النار**»، وكان أبو هريرة رضي الله عنه : إذا روى هذا الحديث أمام معاوية يغشى عليه من كثرة البكاء ومصداق هذا قوله تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)** ﴾ [هود : ١٥ - ١٦] .

أثر الإخلاص في الأعمال :

ولهذا فإن الأعمال الصالحة يجب أن يسبقها نية صالحة ،وإلا كانت هباء منثوراً فمثلاً بناء المساجد من أعظم القربات عند الله تعالى فإذا لم تكون النية

خالصة لله عز وجل ، فإن العمل هذا ، يكون وبالاً على صاحبه فقد ثبت في الصحيحين من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : «**من بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة**» ، وكذلك الصيام ، يقول عليه الصلاة والسلام : «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» ،كذلك الحج يقول عليه الصلاة والسلام : «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» رواه البخاري ، وكذلك الحب والبغض يجب أن يكون خالصاً لله ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « **من أحب لله ، وأبغض لله، ومنع لله، وأعطى لله، فقد استكمل مراتب الإيمان** » .

وهكذا جميع الأعمال الصالحة ينبغي ان تلازمها النية الخالصة لله تعالى ، ففي مسند الإمام أحمد وسُنن الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر، ولا ينالهم الحساب وهم على كثبان المسك : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ،ورجل ينادي للصلاة ابتغاء وجه الله، ورجل أحسن ما بينه وبين ربه**» .



الزكـــاة والصدقـــات

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامُ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

يقول الرسول ﷺ : « **بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت** » متفق عليه . وإن فريضة الزكاة من أعظم فرائض الإسلام ، ولذلك جعلها الرسول ﷺ في المرتبة الثالثة بعد الصلاة حيث قال : « **وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** » ، ثم أكد ﷺ هذه الفريضة العظيمة ، عندما أرسل معاذ رضي الله عنه إلى اليمن ، حيث قال له : « **إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فأول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فإن هم أجابوك لذلك ، فادعوهم لإقامة الصلاة ، فإن هم أجابوك لذلك ، فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة من أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم** » .

وقد جاء الوعيد الشديد من الله عز وجل ، لمن يبخل بهذه الزكاة أو يقصر في إخراجها حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)** ﴾ [التوبة : ٣٤ - ٣٥] .

فكل مال ، لا تؤدى زكاته . فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة ، كما دل على ذلك الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال : « **ما من صاحب ذهب ولا فضة ، ثم لا يؤدى حقها ، إلا صفحت له صفائح من نار يوم القيامة ، فأحمى عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جبهته وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار** » .وصح عنه ﷺ أن قال : « **من آتاه الله مالاً ، فلم يؤدي زكاته، مثل له شجاعاً أقرع ، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميته، يعني شدقيه، ثم يقول : أنا مالُك، أنا كنزك ، ثم تلا ﷺ من قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾** [آل عمران : ١٨٠] .

فتنة المال :

إن الإنسان قد يفتتن بالمال الذي عنده ، ويعرض عن أداء حق الله فيه ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على فتنة المال العظيمة ، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** (١٥) ﴾ [التغابن: ١٥]، ويقول عليه الصلاة والسلام: « **إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال** » ، وقد نبه ﷺ إلى خطورة المال على الإنسان، عندما قال: « **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها، من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » ، ولهذا بيّن الله سبحانه وتعالى مدى حرص الناس على المال وتعظيمهم له،حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)** ﴾ [الفجر :١٩-٢٠] .

وبيّن أيضاً مصير أولئك الذين يبخلون بما آتاهم الله من المال،فهم الذين سيندمون يوم القيامة كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ**

عَنِي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ الحاقة : ٢٨ - ٣٢] .

فهذا قارون الذي رزقه الله المال الكثير ، وآتاه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة من القوة، فتكبر على الله، ومنع حق السائل والمحروم ، فكان من قصته ما ورد في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)﴾ [القصص : ٧٦ - ٨١] .

وكذلك ورد في القرآن الكريم ، قصة أصحاب الجنة الذين فتنوا بجنتهم ، ومنعوا حق السائل والمحروم ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾ القلم [١٧-٢٠] .

ولهذا وبخ الرسول ﷺ كل إنسان يفتتن بالمال، ولا ينفقه في سبيل الله ، حيث قال ﷺ : «**تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» .

الزكـــاة في الإسلام :

إذن أيها المسلمون: إن الإسلام جاء يقرر هذه الشعيرة العظيمة ، فقد جعلها الرسول ﷺ ركن من أركان الإسلام الخمسة،وذلك لكثرة فوائدها ومسيس حاجة الفقراء إليها، حيث قال ﷺ : « **بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت** » ، ثم أكد ﷺ هذه الشعيرة من الإسلام ، عندما أرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن ، فقال له : « **إنك تأتي قوم أهل كتاب ، فأول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم ، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب** » .

وتعظيماً لهذه الشعيرة العظيمة في الإسلام ، فقد أعد أبو بكر رضي الله عنه الجيوش الإسلامية لمحاربة الممتنعين عن أداء الزكاة في أيام الردة ، وقال قولته المشهورة: « والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدوه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » ، وقال رضي الله عنه أيضاً: « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » ، فقال عمر رضي الله عنه : « والله ما إن رأيت أبا بكر قد شرح الله صدره للقتال ، حتى عرفت أن الحق معه » .

ولهذا فإن مانع الزكاة مهدد في الدنيا والآخرة ، حيث قال ﷺ : « **ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين** » ، رواه الطبراني والبيهقي ، وقال أيضاً في حديث آخر : « **ولم يمنعوا زكاة أموالهم ، إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا** » .

ونتيجة لذلك فإن الذي يتهاون في أمر الزكاة ، فإنه مهدور الدم والمال ، لأنه

يتهاون بشيء من الدين بالضرورة،فقد ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**» ، يتبين من ذلك أنه يحق لولي الأمر أن يأخذها ولو بالقوة ، من أولئك المتباطئين عن إخراجها ، لأنها حق مخصوص للفقراء والمساكين في أموال الأغنياء .

الحث على الإنفاق في سبيل الله :

وفي شأن الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، فقد وردت أحاديث كثيرة ، تبين أنها من أعظم الأبواب لدخول الجنة ومن أسباب الوقاية من النار حيث قال ﷺ «**والصدقة برهان**» وفي الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ قال : «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**» .

وعن كبشة الانماري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إنما الدنيا لأربعة نفر :عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتق فيه ربه ويصل رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية ، يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو ونيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً ، فهو يتخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً ، فهذا في أخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول :لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو ونيته سواء بسواء ،لأن هناك من الناس لا يصلح معهم إلا الفقر ، ولو أغناهم الله لطغوا وبغوا وعاثوا في الأرض فساداً ،** يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ

من الصالحين (٧٥) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧٦) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (٧٧) ﴾ [التوبة : ٧٥ - ٧٧] .

صدقة السر :

ولهذا يجب أن تكون الصدقة خالية من الرياء والسمعة ، لأن الرسول ﷺ يقول كما جاء في الحديث القدسي :« **من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه** » ،وعليه فإن التجارة الرابحة : هي في صدقة السر التي لا يعلم عنها أحد من الناس كما بينها الرسول ﷺ بقوله : « **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** »،إذن فخير لك،ثم خير لك، أن تنفق في سبيل الله خفيه، حيث لا يراك الناس، عملاً بقوله تعالى :﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ [البقرة : ٢٧١] ، وصدقة طيبة من مال حلال طيب ، خير لك من صدقة خبيثة من مال حرام خبيث ، يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد (٢٦٧)** ﴾ [البقرة :٢٦٧] ، أي لا تنفقوا من الرديء الذي لا ترضونه لأنفسكم، فكيف ترضون به لله رب العالمين، وإذا أردتم أن تبلغوا مراتب البر والإحسان، فقدموا لأنفسكم خير ما تملكون ، يقول الله عز وجل : ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم (٩٢)** ﴾ .

[آل عمران : ٩٢] .

ولهذا فمن الخطأ جداً أن يتصدق الإنسان من أجل أن يكتب اسمه في وسائل الإعلام، أو يكتب في دفتر التبرعات، أو يذكر بأنه المحسن الكبير فلان ،

ولهذا فقد مدح الله عز وجل المنفقين أموالهم في سبيل الله سراً وعلانية حيث قال سبحانه : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٢٧٤) ﴾ [البقرة : ٢٧٤] إذن فإياك ثم إياك، أيها الأخ الحبيب أن تُتبع صدقاتك بالمن والأذى، لأن الله عز وجل قد حذرك من ذلك، حيث قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

وقد أغلظ النبي ﷺ على المنان حيث قال : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** ، قال أبو ذر رضي الله عنه : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله؟ ، قال : **المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب** » ، ولهذا فلا يستوي من ينفق في سبيل الله ومن ينفق من أجل الرياء والسمعة ، ثم يتبعها بالمن والأذى ، فكلمة طيبة خير لك من صدقة منونة ، حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** (٢٦٣) ﴾ [البقرة : ٢٦٣] . فإياك ، ثم إياك ، أن ترجع في صدقتك أو هبتك ، لأن الرسول ﷺ يقول : « **العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه** » رواه البخاري .

والبخل صفة ذميمة يعود ضررها على صاحبها ، حيث يقول الله عز وجل ﴿ **فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨] .

فقد أصبح الفقر اليوم شبحاً يهدد كثيراً من الأغنياء وأصحاب الأموال ، والله عز وجل يقول : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٢٦٨) ﴾ [البقرة : ٢٦٨] . ولذلك فلا تخشون الفقر فقد وعدكم الرسول ﷺ بالزيادة والنماء حيث قال : « **ما نقص مال من صدقة** » ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم**

من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرَّازقين (٣٩) ﴾ [سبأ : ٣٩] .

والرسول ﷺ يقول: « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً** »، ومن هنا يتبيَّن أنَّ كثيراً من الناس الذين يصابون بالكوارث والمصائب والنكبات في أموالهم وتجاراتهم،إنما هو بسبب احتكارهم لحق الفقراء والمساكين، كما بيَّن ذلك النبي ﷺ عندما قال:« **صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر** » ، وقوله أيضاً : « **الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل** » .

صفات المنفقين في سبيل الله :

إن الله عز وجل قد وصف المنفقين في سبيل الله بقوله سبحانه : ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)** ﴾ [المعارج ٢٤ ، ٢٥] . وقوله أيضاً : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)** ﴾ [المؤمنون ٦٠ ، ٦١] . وضرب لهم مثلاً رائعاً في أبلغ وصف وأدق تصوير حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)** ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

إذن فأعمال الخير والبر كثيرة لا تحصى ، فليست مقصورة في جانب واحد من الدين ، يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ**

الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة :١٧٧] .

فالعاقل من يسابق في ميادين الخيرات ويغتنم الفرصات، وأفضل الصدقات على الإطلاق أن تكون في حال الصحة والإمكان ، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله : أي الصدقة أفضل، قال : «**أن تتصدق وأنت صحيح حريص، تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان**» ،رواه البخاري ، وقال ﷺ : «**لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » .

أعيان الزكــاة ومصارفها :

والزكاة تجب في أربعة أصناف ، ذكرها الله عز وجل في كتابه إجمالاً ، فقسمت إلى أربعة أقسام:

[١] **الخارج من الأرض:** كالزروع والثمار ، ودليلها قوله تعالى : ﴿ **كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ .

[الأنعام : ١٤١] .

[٢] **السائمة من بهيمة الأنعام:** كالإبل والبقر والغنم ، لقول الرسول ﷺ ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها ، إلا كان يوم القيامة بطح ، لها بقاع قرقر، ليس فيها عفصاء ولا جلحاء ولا عضباء، تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها .

[٣] **الذهب والفضة:** لقول الله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة : ٣٤] .

[٤] **عروض التجارة:** وهي تشمل كل ما يعد للبيع والشراء بقصد الربح ،

دليلها قوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا أنفقُوا من طيِّبات ما كَسَبْتُمْ وممَّا أخْرجْنا لكُم مِنَ الأرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] .

هذا وقد تولى الله قسمة الزكاة بنفسه ، وبيَّن مستحقيها ومصارفها ، فجزأها إلى ثمانية أجزاء ، كما أوضح ذلك في كتابه الكريم حيث قال: ﴿ إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾ [التوبة : ٦٠] . تبياناً لعباده بأن يتقوا الله في توزيع الزكاة ، ويبتعدوا عن المحاباة والمجاملة ، فيكون التوزيع على أساس الأولوية والاستحقاق الوارد في الآية الكريمة .

زكاة الذهب الملبوس :

ولكن أيها الإخوة ، قد يقول قائل ، كيف تحدثنا عن الزكاة ومصارفها وآدابها ، وأغلبنا فقراء لا نملك غير قوتنا الضروري ، وقبل أن أجيب على ذلك أولاً ، أبشركم بحديث الرسول ﷺ القائل : «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه**» ، وقوله أيضاً : «**من أصبح آمناً في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه وليلته ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»، ثم أبشركم ثانياً بأنكم لستم من الفقراء اليوم ، بل أغلبنا قد يملك ذهباً أو فضة في بيته ، وهو لا يعلم أنه دخل تحت الوعيد الشديد الذي ورد في الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة : ٣٤] .

فالإنسان قد يعذب بهذه الكنوز وهو لا يدري ، سواء كان هذا الذهب ملبوساً أو غير ملبوس، فإنه تجب فيه الزكاة ـ على القول الراجح ـ لو بلغ النِّصاب ، وهو خمسة وثمانون جراماً ، ما يعادل عشرون ديناراً في زمن الرسول ﷺ ، وتجب فيه ربع العشر ، ولا فرق بين الذهب الملبوس وغير الملبوس في أصح أقوال

أهل العلم،ويستدلون بحديث المرأة التي جاءت إلى النبيﷺ وفي يدها مسكتان غليظتان ، أي سواران من ذهب، فقال لها النبي ﷺ : «**أتؤدين زكاة هذا؟** قالت: لا يا رسول الله ، **قال: أيسُرُك أن يسورك الله بهما يوم القيامة بسوارين من نار** ، فخلعتهما وألقتهما إلى النبي ﷺ ، وقالت: هما لله ورسوله » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي ، وعن عائشة ﵂ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ، فرأى في يديَ فتختان من ورق ، أي من فضة ، فقال لها: «**ما هذا؟** ، قالت: صنعتهن ، أتزين لك بهن يا رسول الله ، فقال: **أتؤدين زكاتهن** ، قالت: لا ، **فقال: هو حسبك من النار**» ، وقال ﷺ كما في الصحيحين : «**يا معشر النساء تصدقن ولو من حُليكن** » ، وثبت عن أم سلمة ﵂ أنها كانت تلبس أوخاصاً من ذهب ، فقالت يا رسول الله: أكنز هو ؟ ، فقال ﷺ : « **ما بلغ أن يزكى ، فزكي فليس بكنز** » .

هدي الرسول ﷺ في الصدقة والزكاة :

إن هدي الرسول ﷺ في الزكاة ، هو أكمل هدي وأحسنه، فقد كان إذا سأله أحد من أهل الزكاة أعطاه، بعد أن يخبره بأنه لا حظ فيها لغني ولا لقوي، وكان من هديه ﷺ تقسيم الزكاة على المستحقين الذين في البلاد التي جمع فيه المال ، وما زاد عن حاجتهم ،حملت إلى غيره ، ولذلك كان يبعث رسله ، وهم الذين يجمعون الزكاة إلى البوادي ، ولم يكن يبعثهم إلى القرى ، وكان يبعث الخارص: وهو المثمن ، فيخرص على أرباب النخيل تمر نخيلهم ، ولذلك بعث عبد الله ابن رواحه إلى أهل خيبر ، فأرادوا أن يرشوه ، فقال عبد الله : تطعموني السحت ، فوالله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ، ولأنتم أبغض إليّ من القردة والخنازير ، لأن أهل خيبر كانوا من اليهود ، ثم قال: ولا يحملني بغضي لكم ، وحبي إياه ، على ألا أعدل لكم وعليكم ، فقالوا: بهذا قامت السموات

والأرض، ولم يكن من هديه ﷺ أخذ كرائم الأموال وأفضلها، بل كان يأخذ المال الوسط، كما فعل معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، وقال له : «**إياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» ،وكان ﷺ إذا جاءه الرجل بالزكاة ، دعا له ، فتارة يقول : «**اللهم بارك فيه وفي إبله**» ، وتارة يقول: «**اللهم صل عليه**» ، وكان من أخلاقه ﷺ الجود والكرم في العطية ، يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، بل كان يعطي عطاءً وهو أحوج الناس إليه ،كما ورد في حديث تلكم المرأة: التي نسجت للنبي ﷺ ثوباً بيدها ، فأخذه النبي ﷺ وكان محتاجاً إليه ، فقال رجل:« يا رسول الله ألبسنيه ، ما أحسنه ، فنهره بعض الصحابة ، وقالوا: كيف تسأل رسول الله ﷺ وقد علمت أنه محتاج إليه ، وأنه لا يرد سائلاً ، فقال ذلك الرجل: والله إني ما سألته لألبسه، وإنما سألته ليكون كفني، فقال سهل: كان كفنه » رواه البخاري ، وهذا الخلق الكريم ،يتجدد في عالم من علماء هذه الأمة،الملقب بسلطان العلماء وهو العز بن عبد السلام الذي اتخذ من حياة الرسول ﷺ سلوكاً ومنهجاً وأسوة حسنة ، واقتفى أثره وتخلق بأخلاقه الكريمة ، ولهذا يروى أنه خرج يوماً من بيته وعليه عمامة ، وبينما هو في الطريق إذ عرض عليه محتاج فسأله،ولم يكن معه شيء غير هذه العمامة، فما كان منه إلا أن خلعها وأعطاه إياها، رحمه الله وغفر له .

أفضل الصدقة :

ولهذا يجب أن ينفق الإنسان من أحب أمواله وأفضلها ، عملاً بالآية الكريمة ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)** ﴾ [آل عمران : ٩٢] . ولهذا فقد ثبت في الصحيحين أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، كان عنده بستان كبير ، اسمه بيرحاء ، وكان من أحب أمواله إليه ، فلما نزل قوله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ**

عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ ، قال أبو طلحة : يا رسول الله إن أحب أموالي إليّ بيرحاء ، وإني جعلتها لله ورسوله ، فضعها حيث شئت ، فقال رسول الله ﷺ : « بخ ، بخ »، ذلك مال رابح تلك إذن : هي التجارة الرابحة التي لا تكسد فيها أبداً ، وهي أن تتاجر مع الله ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر : ٢٩ - ٣٠] . ويقول أيضاً : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٠]، وقوله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن : ١٦] .

ولهذا يروى أن أحد السلف كان يطوف حول الكعبة ، ويدعو الله بقوله : اللهم قني شح نفسي، اللهم قني شح نفسي، فقال له رجل : يا عبد الله ، ألا تعرف غير هذا الدعاء، فرد عليه بهذه الآية : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾، ثم قال له : ومن وقاه الله شح نفسه فقد أفلح ونجا ، ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

البدار في الإنفاق قبل فوات الأوان :

مهما ملك الإنسان فهو إلى زوال ، وما تملكه اليوم ربما أصبح غداً في يد غيرك ، فأموالكم اليوم بأيديكم ولا تدرون غداً من سيرثها من بعدكم ، ولهذا

يقول الله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ [البقرة : ٢٥٤] . وقوله أيضاً: ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال (٣١) ﴾ [إبراهيم : ٣١] .

وفي يوم القيامة يتمنى الإنسان أن يعود إلى الدنيا وينفق في سبيل الله، ولكن هيهات هيهات، يصور هذا الموقف قوله تعالى: ﴿ وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين (١٠) ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون (١١) ﴾ [المنافقون: ١٠ ، ١١] .

إذن فإياك ثم إياك أن تؤجل صدقاتك حتى الموت ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم؟ ، فقال له : «**أن تتصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا ، ولفلان كذا ، ألا وقد كان لفلان**» رواه مسلم ، ولهذا كان ﷺ حريصاً على أن يتخلص من المال الزائد عن حاجته قبل فوات الأوان ،كما ثبت في الحديث الصحيح أنه قال : «**ما يسرني أن عندي مثل أُحد ذهباً ، تمضي عليّ ثلاث أيام ، وعندي منه دينار**» .

أبواب الخير المفتوحة للإنفاق في سبيل الله :

إن كل عمل يستفيد منه المسلمون ، فهو باب من أبواب الخير لهذه الأمة ، يستحق الدعم والتأييد ، فبناء المساجد وحفر الآبار ونشر العلم وطبع المصحف الشريف وإطعام الطعام والعناية بالأيتام والصدقة في رمضان ، يعتبر عمل صالح من الأعمال الخيرية المباركة ، وأفضل هذه الأعمال على الإطلاق : هي الصدقة

الجارية التي تبقى بعد الممات، كما بين ذلك النبي ﷺ عندما قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**»، وقال أيضاً: «**إن مما يلحق المؤمن، من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل أقامه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعده موته**»، أخرجه ابن ماجة واستدل به الألباني في الجنائز.

وإليكم بعض هذه الأعمال الخيرية والتي منها:

[٤] **بناء المساجد:** وهذا عمل عظيم لا يقوم به إلا المؤمنون الصادقون؛ الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)** ﴾ [التوبة: ١٨].

وعمارة المساجد على نوعين: عمارة معنوية بالذكر والصلاة وتلاوة القرآن، وعمارة حسية بتشييدها وبنائها، ولذلك فمن أراد أن يعمر لنفسه بيتاً في الجنة، فليعمر لله بيتاً من بيوت الله في الدنيا، كما ثبت في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «**من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيتاً في الجنة**»، فيا من يعمروا المساجد، هنيئاً لكم ثم هنيئاً لكم، هذا الأجر العظيم، ولكن مع الأسف الشديد يوجد من المسلمين، ومن أصحاب الأموال، من يعمر المساجد ثم لا يصلون بها، وقد يتساهلون في أمر الصلاة، ويظنون أن ذلك سيشفع لهم عند الله، وهذا غير صحيح، فالله عز وجل قد ذم كفار قريش رغم أنهم كانوا يهتمون بالبيت الحرام ويقدمون الخدمات الجليلة لرواده وزواره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)** ﴾.

[التوبة: ١٩].

[٢] **حفر الآبار وشق الطرقات:** وهذا فعل جميل يحبه الله ورسوله ، ولقد جاء سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى النبي ﷺ يسأله عن أفضل الصدقات، ليتصدق بها عن أمه بعد وفاتها، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعجب إليك؟، قال: «**سقي الماء أي حفر الآبار ، وإرواء الناس على عطش**» ، ولهذا فإن أجر السقاية لا يقتصر على الإنسان فحسب، بل يتعداه إلى غيره من الحيوانات ، ففي الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في الطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا بكلب يلهث ، يكاد يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني ، فنزل البئر وملأ خفه ماءً ، ثم أمسكه بفمه حتى رقي ، فسقى الكلب فشكر الله له ، فغفر له** ، فقالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً ، قال: **في كل كبد رطبة أجراً وقوله أيضاً في حديث آخر بينما كلب يطيف بركة ، أي بئر ، كاد يقتله العطش ، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها ، أي حذائها ، فسقته فغفر لها به**» ، جاء في الصحيحين .

أما شق الطرقات في الإسلام، فيعبَّر عنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: والله لو أن بغلة تعثرت في العراق لخشيت أن يسألني الله لما لم تسوي لها الطريق يا عمر . ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شُعبة من شُعب الإيمان**»، إذن فشق الطرقات من الصدقات الجارية بعد الممات ، استناداً لقول الرسول ﷺ : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

وكذلك من أبواب الخير المفتوحة في هذا الزمان

[٣] **إطعام الطعام والعناية بالأيتام:** حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ**

مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان :٨ ، ٩].

فهؤلاء قد جمعوا بين إطعام المساكين والأيتام ، اقتداء بحديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه : «**أنا وكافل اليتم كهاتين في الجنة، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى**»، وتأمل قول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : «**يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ،أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال : يا رب كيف اسقيك وأنت رب العالمين؟ ، قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي ، ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال : يا رب كيف أعدك وأنت رب العالمين؟ ، قال: مرض عبدي فلان فلم تعده ، أما لو عدته لوجدتني عنده**» ، وقال ﷺ مرغباً في إطعام الطعام : « **اعبدوا الرحمن، وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة بسلام** » .

فوائد الزكاة والصدقة :

اعلم أيها الأخ الحبيب رحمك الله وغفر الله لي ولك ، أن الزكاة والصدقة لهما فوائد عظيمة ، في الدنيا والآخرة ، من هذه الفوائد:

[١] **أن فيها تزكية للنفس وتطهير لها من الشح والبخل:** وقد أشار القرآن الكريم إلى كلمة التطهير ، وكأن هذه الأموال ملطخة بالوساخة والأقذار، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾** ﴾ [التوبة :١٠٣].وكذلك تطهيرهم من رذيلة الشح والبخل،لقول الله عز وجل :﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن : ١٦] . والفلاح: لا يتحقق إلا بعد تزكية النفس كما قال سبحانه وتعالى :﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾** ﴾ [الشمس ٩ ، ١٠] .

[٣] **فيها تثبيت لأواصر المودة والمحبة بين الأغنياء والفقراء:** لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، وبإخراج نصيب الفقراء من أموال الأغنياء ، يذهب غيظ قلوبهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين، فيذهب الغل والحقد والحسد ، ويحل محله الود والحب والاحترام ، وتتجسد معاني الأخوة الإيمانية في مجتمع هذا شأنه ، عملاً بقول الرسول ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان أو كالبنان يشد بعضه بعضًا** » ، وقوله أيضًا : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً** » رواه الطبراني وذكره الألباني في صحيح الجامع .

إذن فأين المسلم الذي ينفس كربات إخوانه المسلمين ، وأين المسلم الذي في ماله حق للسائل والمحروم ، والرسول ﷺ يقول : «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**» .

[٤] **فيها تكفير للذنوب والسيئات:** كما قال ﷺ : «**فتنة الرجل في أهله وولده وجاره ، تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف**» ، وقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه آلا أدلك على أبواب الخير ، قلت: بلى يا رسول الله ، قال: «**الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**» ، وقال أيضاً في حديث آخر : «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر** » ، صحيح الجامع بسند حسن .

[٥] **استجلاب البركة والنماء في المال:** فكلما زاد الإنفاق في سبيل الله ، كلما زاد المال ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ : ٣٩]. وقوله أيضاً : ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .وقال ﷺ : «**ما نقص مال من صدقة**» والله عز وجل

قد تكفل بزيادة المال حين الإنفاق ، كما ورد في الحديث القدسي : «**يا ابن آدم أنفق ، أُنفق عليك**» ،ويكفي المنفقين شرفاً أن ملائكة الرحمن تدعوا لهم بالزيادة ، كما قال ﷺ : «**ما من يوم يصبح العباد ، إلا وفيه ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً**» ، وكلما زاد الإنفاق في سبيل الله، كلما زادت الحسنات إلى أضعاف كثيرة بنص الآية الكريمة : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)** ﴾.

[البقرة : ٢٦١] .

خاتمــة :

ولا شك ولا ريب أن أعمال الخير التي يقوم بها الخيرون من هذه الأمة ، هي التي يستفيد منها المسلمون مدى التاريخ والعصور ، وتبقى آثارها ومآثرها عالقة في الأذهان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذه هي التجارة الرابحة التي وصفها الله عز وجل بقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)** ﴾ [فاطر : ٢٩ ـ ٣٠] ، ولهذا مدحهم الله عز وجل بقوله ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)** ﴾ [البقرة :٢٧٤] ،ويكفيهم فخراً وشرفاً أن ملائكة الرحمن تدعوا لهم ، كما بين ذلك النبي ﷺ حيث قال : «**ما من يوم يصبح فيه العباد ، إلا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً** » .



أنـــواع القلـــوب

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن الحديث عن القلوب حديث بالغ الأهمية في وقت قست فيه القلوب وضعف فيه الإيمان ، ونحن أيها الإخوة نرى في هذا العصر تطوراً هائلاً في جراحة القلب حتى كان ما نسمع به عن زراعة قلب جديد أو نقله من جسم إلى آخر ، ولن أتحدث هنا عن الأمراض الحسية التي تصيب هذه القلوب ولكنني سأتحدث عن مواطن الابتلاء والامتحان لهذه القلوب .

ولأن الحديث عن القلب يكتسب عدة أمور :

أولاً : أن الله سبحانه وتعالى أمر بتطهر القلب وتنقيته وتربيته .

ثانياً : إن كثير من الناس قد شغلتهم المظاهر البراقة وغفلوا عن إصلاح قلوبهم وتزكيتها .

تكرار الحديث عن القلوب في الكتاب والسُنّة :

ولهذا فقد ورد اسم القلب في مواضع كثيرة من كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ فمن ذلك يقول الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ [الشعراء :٨٧ ـ ٨٩] ، ويقول جل وعلا : ﴿ **وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ**

لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ﴾ [ق ٣١-٣٣]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال تعالى مخاطباً نبيه في حق المنافقين: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) ﴾ [النساء: ٦٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ [النور: ٥٠].

وفي الحديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»، وفي الصحيحين يقول الرسول ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

إذن أيها الإخوة الكرام: ما سمي القلب قلباً إلا لأنه سريع التقلب، حيث قال ﷺ: «**إنما سمي القلب من تقلبه**»، وقال أيضاً: «**إنما مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الريح ظهراً لبطن**» وهو شديد التقلب كما جاء وصفه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

أقسام القلوب:

وعليه فإن القلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هم أصحاب القلوب الحية: وهم الذين استثناهم الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء ٨٨-٨٩]، إن القلوب الحية هي التي لا تعرف الأسقام والأمراض، كأمثال خبيب بن عدي رضي الله عنه: أُخذ أسيراً وذهب به إلى مكة فجرجر بالحبال وعذب وأدخل في بيت سقفه مفتوح والشمس تصهر رأسه، ثم أخرج إلى بطحاء مكة للإعدام، فلم يتذكر أحداً من أهله ولم يتذكر أطفاله الصغار ولم

يخش على نفسه من الهلاك ، لماذا؟ ،لأنه من أصحاب القلوب الحية ، يحيون لله ويموتون لله ، ثم قال : دعوني أصلي لله ركعتين ، فتركوه يصلي ثم التفت إليهم وقال : والله لولا أن تقولوا جَزعاً من الموت لأطلت الركعتين ، ثم دعاء ربه فقال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ، فقال له أبو سفيان : يا خبيب أتريد أن يكون محمداً مكانك وأنت في أهلك ومالك معافى ، فابتسم خبيب لأنه من أصحاب القلوب الحية ، ثم قال لهم : والله الذي لا إله إلا غيره ، لا أريد أن يشاك محمد بشوكة وأنا في أهلي ومالي معافى ، ثم قال السلام عليك يا رسول الله ، اللهم أبلغ رسولك ما لقينا ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول وهو في المدينة : «**السلام عليك يا خبيب ، السلام عليك يا خبيب ، السلام عليك يا خبيب** » ، ولما رفعوه إلى المشنقة أخذ ينشد ويقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أشلاء شلو ممزع

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، صاحب قلب سليم حي ، نستشف ذلك من قصته لما بدأ القتال في معركة مؤته،يوم كنا نقاتل من أجل لا إله إلا الله، فقتل في هذه المعركة زيد بن حارثة،وأخذ الراية من بعده جعفر وكانت أمنيته الكبرى أن يموت في سبيل الله لأنه من أصحاب القلوب الحية،فقاتل من الصباح حتى الظهر فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بشماله وقاتل حتى العصر،فقطعت يده اليسرى فاحتضن الراية بصدره ولم تسقط منه الراية حتى خرجت روحه وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
دور وظلم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

القسم الثاني: هم أصحاب القلوب الميتة: وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج :٤٦] . فمن هؤلاء أصحاب القلوب الميتة ، فرعون عليه غضب الله ، الذي كان يعلم أن موسى على

الحق وأنه نبي مرسل ، ولكن فرعون قلبه ميت ، شاهد أمام عينيه الثعبان يلقف ما صنع سحرته ، لكنه لم يعتبر ولم يذكر ، لأنه صاحب قلب ميت ، بل أعرض وتكبر واستكبر ، وقال ما علمت لكم من إله غيري ، وكذلك أبو جهل ، فرعون هذه الأمة ، صاحب قلب ميت، لقد آذى رسول الله ﷺ وأتهمه بالجنون والسحر والكهانة ؛ وعاقبه الله في معركة بدر فقتل شر قتلة ، وهو سكران ، قتله طفلان صغيران من المسلمين ، ثم صعد بلال على صدره وأخذ يلطم وجهه ويقول له : ذق يا عدو الله ، فهذا مصير الظالمين دوماً وأبداً ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

أما القسم الثالث من أقسام القلوب: فهو القلب المريض ، وهم أصحاب القلوب المريضة الذين قال الله فيهم : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) ﴾ [النساء :٦٣] . وإنه لن ينجوا يوم القيامة إلا من أتى الله بقلب سليم ، وإن الويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، وإن الوعد بالجنة لمن خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ، ولذلك كان لا بد للمؤمن من أن يتحسس قلبه ويعرف مكامن الداء وسبب المرض ويشرع في العلاج قبل أن يطغى عليه الران .

أمـــراض القلـــوب :

إن هذه القلوب قد تصاب بأمراض كثيرة وخطيرة ، منها على سبيل المثال: مرض الإقفال كما قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)** ﴾ [محمد :٢٤] ، وقد تصاب بمرض آخر يسمى مرض الطبع كما قال تعالى : ﴿ **فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾ [المنافقون : ٣] ،وبعضها يختم عليه بمرض الختم والران كما قال تعالى : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)** ﴾ [المطففين : ١٤] . والبعض الأخر قلب منكوس لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً

إلا ما أشرب من هواه ، وهناك مرض آخر يسمى مرض العمى كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

وكذلك من الأمراض التي تصيب القلب مرض القسوة، لأن صاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه المواعظ والعبر ولا تؤثر فيه موعظة الموت ولا رؤية الأموات والجنائز، ولربما حمل الجنازة بنفسه وواراها التراب، ولكن سيره بين القبور كسيره بين الأحجار، حتى ليحس أن قلبه قد انقلب حجراً صلباً لا يترشح منه شيء ،ولا يأتي بشيء،وهذه القسوة التي في القلب لا يزيلها إلا ذكر الله والتذلل بين يديه، قال تعالى مبيناً أثر الذكر على القلب : ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

[الرعد : ٢٨] .

وقال ابن القيم رحمه الله :يوجد في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : يا أبا سعيد أشكوا إليك قسوة قلبي ، قال : أذبه بالذكر ، وقال مكحول : ذكر الله شفاء ، وذكر الناس داء ، والله جل وعلا قد ضرب مثلاً لهذه القلوب بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة : ٧٤] . ثم حث عباده المؤمنين بتزكية قلوبهم كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾ [الحديد : ١٦] .

وكذلك قد تصاب هذه القلوب بأمراض وأسقام أخرى ، من أشدها فتكاً وضرراً مرض النفاق : وهو مرض خطير جداً على القلب ، ولا يتصور أحداً أن النفاق قد انتهى بنهاية عهد النبي ﷺ ، بل إن النفاق اليوم ، لا يقل خطورة عنه في الماضي ، ولقد كان السلف الصالح يخشون على أنفسهم من النفاق ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يناشد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ويقول له : أسألك بالله هل عدّني رسول الله ﷺ من المنافقين؟ ، فقال : لا ، ولا أزكّي أحداً بعدك .

وكذلك مرض الشبه وسوء الظن بالله ، فهذا من أعظم أمراض القلوب حيث يقول الله تعالى في هؤلاء: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران: ٧] .ويقول أيضاً في آية أخرى: ﴿ **أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا** ﴾ [النور: ٥٠]، ويوجد من الناس من أصيب بهذا المرض، فيسيء الظن بالله تعالى ويكذب بوعده ونصره لعباده المؤمنين وبرعايته للمجاهدين في سبيله ، ومنهم من يسيء الظن بربه ألا يرزقه، فتجده دائماً يثق بما في أيدي الناس أعظم من ثقته بما عند الله ، ناسياً التوكل على الله والثقة به ، وهو الذي يقول: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ [هود: ٦] وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يسيء الظن به وجعل ذلك من أمر الجاهلية حيث قال تعالى: ﴿ **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .وقال سبحانه: ﴿ **وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا** ﴾ [الفتح: ١٢]. وقال ﷺ: « **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث** » .

وهناك مرض ثالث يصيب هذه القلوب: وهو الحسد والغيرة ، ولا ينجوا منه إلا القليل ، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللهَ : والحسد مرض من أمراض القلب وهو غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس ، ولهذا قيل: ما خلا جسد من حسد ، ولكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه، وفي الحديث المتفق عليه « **لا تباغضوا ولا تحاسدوا** » وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » أو قال « **العشب** » وإما كثرة الإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين والاستهزاء بهم ، فهذا خطر كبير ومرض وبيل ، يؤدي بهذه القلوب إلى التهلكة ، أما الكبر والغرور فهو من أخطر أمراض القلوب ، ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [غافر: ٣٥]. ويقول أيضاً: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص :٨٣] . ويقول الرسول ﷺ : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » ، وقد كثر في زماننا هذا احتقار الآخرين والتعالي عليهم ، بعض الناس يحتقر من دونه في العلم أو الرتبة أو الوظيفة ، وقد يكون ذلك الذي يحتقره فقيراً أو فراشاً ولكنه أحب إلى الله وأفضل منه،كما يقول الرسول ﷺ : « **رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » .

خاتمة :

وختاماً أيها المسلمون إن الابتعاد عن الأجواء الإيمانية يورث موت القلوب ، ويخلف وحشة يقسوا على إثرها القلب ويخبوا فيه نور الإيمان ، فكلما ابتعد الإنسان عن الصلاة والمساجد ومجالسة الصالحين كلما زادت قسوة قلبه وضعف إيمانه . ولهذا يقول الله عزوجل : ﴿ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾ [الحديد : ١٦] ، والمؤمن الذي فارق أماكن الخير والصلاح فترة طويلة فإنه يفتقد الجو الإيماني ، ولذلك لما توفي رسول الله ﷺ قال الصحابة رضوان الله عليهم : لقد أنكرنا قلوبنا، وأصابهم وحشة لفراق رسولهم العظيم محمد ﷺ ، لأنه كان يذكرهم بالله، ويحث قلوبهم كي تتعلق بمحبته وتأنس بقربه ، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً عباده المؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾ [الأنفال:٢٤] . وقال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ . [آل عمران : ٨] .

آفات اللسان وخطره

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن من جملة النعم التي امتن الله بها على عباده : اللسان والكلام ، فامتن عليهم بآلة الكلام وهي اللسان فقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠** ﴾ [البلد : ٨-١٠] . ولهذا امتن عليهم باللسان لأنه آلة الكلام ، وهو الفارق بين الأعجم الحيوان وبين الإنسان ، قال جل وعلا : ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤** ﴾ [الرحمن ٣ ، ٤] . فالأعجم هو الذي لا ينطق كالحيوان سواء أكرمته أو أهنته ، ليس له قدرة على الإبانة ، وهذا الكلام الذي امتن الله به على العبد يمكن أن يرتقي به الإنسان إلى أعلى الدرجات ، ويمكن أن ينحط به إلى أسفل الدرجات، ولهذا فانظر كيف بين الله تعالى على لسان رسوله ﷺ بعض وظائف اللسان المشروعة بقوله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [الإسراء:٥٣] . أي يتكلموا مع الناس بالكلام الحسن الفاضل ، من الدعوة إلى الله ومن الثناء على المحسن بإحسانه ، ومن ذم المسيء بإساءته وغير ذلك مما هو مشروع ، كما نهى سبحانه وتعالى عن الكلام الفاحش والكلام البذيء الذي يجر صاحبه إلى عقوبة الله وسخطه وإلى نار جهنم وبئس المصير .

وعليه فإن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير ، قال معاذ بن

جبل رضي الله عنه : قلت يا رسول الله :وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ﷺ : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يُكبُّ الناس في النار على وجوههم** - أو قال - : **على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم** » ،وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت** »، وقال أيضاً : «**من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة** وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله : ما النجاة؟ ، **قال : امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**» .

ولا ينجوا من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه،فإن اللسان مع صغر حجمه يتناول كل شيء ،الحق والباطل، الطاعة والمعصية، الكفر والإيمان ، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿٢٤﴾ ﴾ [النور : ٢٤] . وقوله أيضاً : ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾ ﴾ [ق :١٨] .

وتذكر يا أخي المسلم أن في اللسان آفتان عظيمتان: آفة السكوت وآفة الكلام ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاصٍ لله والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله ولرسوله ﷺ ، ومن آفات اللسان الكلام في ما لا يعني والخوض في الباطل ، واللعن آفة خطيرة كما قال النبي ﷺ : «**لعن المؤمن كقتله**» وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**» ، وقد نهى النبي ﷺ حتى عن لعن الحيوان ، وورد ذلك في أحد المغازي حيث كان هناك رجل معه بعير ، فتلوم عليه وأبطأ به ، فكان يضربه وهو يقول له: شأ ، لعنك الله ، فقال له النبي ﷺ : «**لا يصحبن بعير ملعون**» ، وفي رواية : «**لا تصحبن ناقة ملعونة**» فقال الراوي: كنت أراها تمشي منفردة عن الناس ولا تمشي برفقة الإبل مع الركاب ، لأن النبي ﷺ أراد أن يؤدب هذا الرجل ويؤدب بعيره .

وهناك آفة أخرى من آفات اللسان وهي الغيبة،ولقد عرفها النبي ﷺ بقوله :

«**أتدرون ما الغيبة** ، قالوا الله ورسوله أعلم، **قال : هي ذكرك أخاك بما يكره** قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول، **قال** : **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**» ،والغيبة من القبائح الاجتماعية وهي محرمة بالإجماع ومن كبائر الذنوب ، وقد شبه القرآن الكريم الذي يغتاب أخيه المسلم كمن يأكل لحمه ميتاً فقال تعالى : ﴿ **ولا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ولهذا فإن كل إنسان فيه من العيوب التي قد تكون أكبر من عيوب غيره، والأولى للعبد أن يشتغل بعيوب نفسه ، عن عيوب الآخرين ، فقد روى البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، حتى يفضحه في جوف بيته**» ، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال: رسول الله ﷺ : «**إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً ، فيقول : يا رب أين حسنات كذا وكذا ، عملتها ليست في صحيفتي ، فيقول له : محيت عنك باغتيابك الناس** » ، ولما بلغ الحسن البصري أن رجلاً اغتابه أرسل إليه طبقاً من الرطب وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك ـ أي اغتابه ـ فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام .

وكذلك من آفات اللسان: آفة النميمة وهي نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد وزرع الفتنة ، وهذا النّمام من الذين يسعون في الأرض فساداً ويحاربون الله ورسوله، فقلبه خبيث ولسانه حلو الحديث وطالعه مشئوم وعمله مما يعجز عنه الشياطين، لا يعيش إلاّ في الماء العكر، قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)** ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٥] وقد مرّ النبي ﷺ بقبرين جديدين ، فقال : « **إنهما ليعذبان**

وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بين الناس في النميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول» . والمؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا مغتاب ولا كذاب ولا نمام ، فمن لوث فاه بالكذب والغيبة والنميمة والسباب ، فقد أكل لحوم الناس وولغ في أعراضهم .

فآه ، ثم آه ، على الأمهات والبنات والأخوات والزوجات من ألسنة السفهاء الماكرين المتساهلين بقول الله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)** ﴾ [النور:٢٣]. وقال ﷺ : «**الربا اثنان وسبعون باباً ، أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه** » ومن المؤسف جداً أن أكثر المتخلقين بهذه الصفات السيئة هم من المسلمين في هذا الزمان ، وسبب ذلك هو أن المسلمين قد نسوا ، وتناسوا قول الله تعالى ﴿ **وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

إذن أيها المسلمون: إن حصائد الألسن أنواع كثيرة ، منها ما يوصل إلى الكفر ومنها دون ذلك ، فالاستهزاء بالله ودينه وكتابه ورسله وآياته وعباده الصالحين ، كل هذا كفر بالله يخرج الإنسان عن الملة والإيمان .

وكذلك من بذاءة اللسان: الكذب والغيبة والنميمة واللعن كما جاء في الحديث«**إن الله ليبغض الفاحش البذيء**»وهناك من الناس وخاصة الشعراء والأدباء من استخدم لسانه في معصية الله فكان ذلك سبباً موصلاً إلى نار جهنم وبئس المصير. ها هو امرئ القيس حامل لواء الشعر إلى النار، استخدم لسانه في محارم الله فكان عليه وبالاً وخسراناً ،وهذا القروي أحد الشعراء اللبنانيون المنحرفون :نزل في دمشق فحملوه على الأكتاف وصفقوا له ، فقال بلسانه الخبيثة القذرة :

هبوا لي ديناً يجعل العرب أمة ... وسيرو بجثماني على دين برهم
يا مرحباً كفراً يوحد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأهانه، فمات في حمام وما علم به أهله إلا بعد أيام ، وقد أصبح جيفة قذرة ، ليعلمه الله أنه الواحد القهار ، وهذا إيليا أبو ماضي الشاعر الفاسد صاحب اللسان البذيء : أخذه الله أخذ القادرين ، فمات في أسوأ حال .

وفي المقابل أولئك الشعراء والأدباء الذين خدموا هذا الدين بكلماتهم الصادقة ، من بينهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ : كان يمدح الدعوة ويذب عن الرسول ﷺ فنال بذلك الجنة ، وهذا عبد الله ابن رواحه قائد الشعراء إلى الجنة ، لأنه حفظ الله في لسانه وهو القائل في مدح الرسول ﷺ :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر

وفي معركة مؤتة ترك زوجته وأطفاله وما التفت إلى رجل سوى رسول الله ﷺ ،فلما أتت ساعة الصفر نزل إلى المعركة وخلع درعه وأخذ سوطه وهو يقول :

لكنني أسأل الرحمن مغفر ... وطعنة ذات فرع تقذف الزبدا

حتى يقال إذا مروا على قبر ... يا أرشد الله من غاز ومن رشدا

فقتل هناك ابن رواحة وذهبت روحه إلى الجنة بإذن الله ، فكان الصحابة إذا مروا على قبره يسلمون عليه ، ثم يقولون : يا أرشد الله من غاز وقد رشدا .

خاتمة :

إذن أيها المسلمون إن هذا اللسان أمره عجيب، فكثير من السيئات والذنوب والمعاصي من الألسن ، فلا إله إلا الله كم هتك من عرض ولا إله إلا الله كم أوقع في معصية ، ولا إله إلا الله كم لطخ من سمعه وكم هدم من بيت ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : « **آلا أخبرك بملاك ذلك كله** ، قال : بلى يا رسول الله، **فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا** » ، والله سبحانه يقول في مدح أولياءه الصالحين

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴾ [المؤمنون : ٣]. والعجيب أن الإنسان يحرص كثيراً على حفظ جوارحه ويشعر بمرارة الذنب الذي ارتكبه بهذه الجوارح، ما عدا اللسان ، قلّما يحترس من خطره ، فكم نطق اللسان في المعاصي وكم سجل الملكان من الكلام السيئ القبيح ، وكم من كلمة قالها صاحبها مستخفاً بها وقد هوت به في نار جهنم سبعين خريفاً ، وكم من كلمة فيها خير قالها صاحبها لا يلقي لها بالاً يكتب الله له بها رضوانه الأبدي . ولهذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي ويخرج لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : والله ما شيء أحق بطول الحبس من اللسان ، ويقول الشاعر :

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من صريع لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

ولكن كثير من الناس اليوم بسبب الفراغ الذي يعيشونه قد سخروا هذه النعمة العظيمة ، نعمة اللسان التي بها يدخل الإنسان الجنة أو يدخل النار ، كما جاء في الحديث إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء والجوارح كلها تذكر اللسان وتقول: يا لسان اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا .

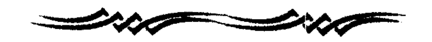
فإذا وفق الإنسان إلى الخير وفق الله لسانه إلى النطق بالكلام الحسن ، من ذكر وشكر ودعاء وإصلاح بين الناس ، فإن الأعضاء كلها حينئذ تكون مستقيمة بعيدة عن الانحراف، وإذا كان اللسان عكس ذلك منشغلاً فيما لا يرضي الله ، فإن الأعضاء والجوارح كلها تتصرف ايضاً إلى ما يسخط الله تعالى ولا يرضيه . وكثر من الناس اليوم مع الأسف الشديد شغلوا ألسنتهم في ما لا يرضي الله تعالى، فمن الرجال مثلاً من يشغل لسانه بالكلام البذيء الفاحش الذي ليس فيها خير ولا بر ، بل قد يكون فيه إثم أو قطيعة رحم أو فيه سخرية من الخير وأهله أو

استهزاء بالناس أو انتقاص لهم أو شتم أو لعن أو صد عن ذكر الله وعن الصلاة ، أو غير ذلك مما يورد الإنسان المهالك .

وكثير من النساء أيضاً من شغلت لسانها في فضول الكلام ، ولهذا دائماً تتحدث عن احتمالات الأسباب والظنون والتخميلات والتوقعات والحدس والظن وربما تلجأ إلى الكذب لأنها تزين به قولها، وتجعل من الظن يقيناً ومن الإحتمال كلاماً أكيداً ، وينقل عنها أن فلانة قالت كذا وكذا ، وهذا مما نهى الله تعالى عنه كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال :« **إن الله تعالى يكره لكم ثلاثاً، قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » ، وما أعظم الفرق والبون الشاسع بين إنسان يقول لا إله إلا الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملئ السماء وملئ الأرض وملئ ما شئت ، فلا يدري الملك كيف يكتب هذا الحمد ، فيصعد إلى ربه ويقول: يا رب قال كلمة لا أدري كيف أكتبها فيقول الله تعالى له : اكتبها كما قالها حتى يلقاني بها ، لأنها كلمة عظيمة ، فهذا فرق بين إنسان يقول مثل هذه الكلمات الهينة السهلة فيرفعه الله بها إلى أعلى منازل الجنة ، وبين أخر يقول كلاماً بذيئاً إما فحشاً أو شتماً أو تكلماً في أعراض الناس أو تدخلاً في خصوصيات الآخرين وأمورهم العائلية ، وهم لا يأذنون أصلاً لأحد أن يتكلم في أعراضهم ، فكيف غفل الإنسان على أن هناك ملائكة كراماً كاتبين وأن هناك صحائف تنشر يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** (٤٩) ﴾ [الكهف : ٤٩] .

إذن الجوارح كلها سوف تنطق ، فإذا كان يوم القيامة قال الإنسان ، يا رب ما قلت كذا وكذا وما عملت كذا ، فتأتي الملائكة وتشهد عليه بما قال ، فينكر ويقول :لا أقبل شهادة الملائكة ولا أقبل شهيداً إلا من نفسي،فيقول الله عز وجل :

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾ [الإسراء١٤] . وبالملائكة الكرام الكاتبين شهوداً ، ثم يختم الله على فمه ويأذن لجوارحه فتنطق ، فتتكلم اليد بما بطشت ، وتتكلم الرجل بما مشت ، وتتكلم الأذن بما سمعت ، وتتكلم العين بما رأت ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه وجوارحه : سُحقاً وبُعداً فعنك أجادل وعنك كنت أناضل،وكان النبي ﷺ إذ ذكر هذا الحديث تبسم وضحك ، فقالوا يا رسول الله : مما تضحك ، قال : « **أضحك من مجادلة العبد ربه ، يقول : لا أقبل عليّ شهيداً إلا من نفسي** » .



علامات الساعة الصغرى

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامَ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

إن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الأمة هي آخر الأمم وجعل الساعة وأشراطها خاتمة لها ، فقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة تؤكد على قرب الساعة ودنوها ، قال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ** (١) ﴾ [الأنبياء :١] ، وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا** (٦) **وَنَرَاهُ قَرِيبًا** (٧) ﴾ [المعارج ٦-٧] . وقال عليه الصلاة والسلام كما جاء عند البخاري: «**إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ، ما بين صلاة العصر ومغرب الشمس**» ، وقال في حديث آخر ، يوضح اقتراب الساعة من هذه الأمة : «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ،ولخطورة الأمر كان إذا ذكر الساعة احمر وجهه وعلا صوته واشتد غضبه ، كأنه نذير جيش ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بكل ما كان وبما سيكون من علامات إلى قيام الساعة ، فقد روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله ،وروى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :قام النبي ﷺ فينا مقاماً ، فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه ، وقد ظهر في زماننا هذا علامات كثيرة من أشراط الساعة ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ ،

فكل يوم يزداد فيه المؤمنون إيماناً به وتصديقاً لما أخبر به،ولذلك فإننا نؤكد ونقول : أن كل العلامات الصغرى للساعة قد ظهرت في زماننا هذا وليس معنى ذلك أن يقف الدعاة عن الدعوة إلى الله أو المجاهدين عن الجهاد في سبيل الله ، وكذلك لا نقصد من هذا الأمر تخويف الناس وإفزاعهم ، بل نريد تنبه الغافلين وإيقاظ النائمين ، كي يستعدوا حتى لا يفاجئوا بملاحم آخر الزمان التي قد أظل زمانها وقرب ظهورها .

أقسام علامات الساعة :

وتنقسم أشراط الساعة وعلاماتها إلى قسمين :

[١] **العلامات الصغرى :** وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة ، مثل أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان و غيرها .

[٢] **العلامات الكبرى :** وهي الأمور العظام التي تظهر في آخر الزمان كظهور المهدي والدجال وغيرها .

علامات الساعة الصغرى :

ونحن أيها الإخوة : عندما نتحدث عن العلامات الصغرى ، فإننا قد لا نستطيع ذكرها بالتفصيل والتوضيح ، ولكنها قد ظهرت للعيان في واقعنا المعاصر ، كما أخبر بها الصادق المصدوق ، ولكن كثيرا من الناس اليوم ، من أعمى الله بصيرتهم وأبصارهم ، فلم يشاهدوا هذه العلامات الصغرى التي يعيشون أحداثها ويقطعون مراحلها وهم لا يعلمون ، وإذا ذكِّروا لا يذكرون ، ونحن بدورنا سنذكر بعض هذه العلامات الصغرى لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ليحيى من حي عن بينه ويُهلك من هلك عن بينه .

فمن هذه العلامات التي قد وقعت فعلاً وأصبحت جزءاً من حياة الناس :

[١] **أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان :** كما جاء في حديث جبريل الطويل : لما سُئل الرسول ﷺ عن الساعة ، فقال له :« **ما المسئول عنها بأعلم من السائل، فقال** : وما أماراتها : **قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان** » .

[٢] **ظهور النساء الكاسيات العاريات :** فقد ثبت في مجمع الزوائد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من أشراط الساعة أن تظهر ثياب تلبسها نساء كاسيات عاريات ، وقد وصف النبي ﷺ أولئك النسوة بأنهن « **كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة** » ، أي تميل كأسنمة الإبل ، وهذا إخبار من النبي ﷺ ، كأنه ينظر إلى عصرنا هذا ويصفه لنا ، فقد انتشرت محلات الكوافير لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها ، كأنها أسنمة البخت المائلة كما وصفها النبي ﷺ .

[٣] **تضييع الأمانة وانعكاس المفاهيم لدى كثير من الناس اليوم :** فأصبح عندهم الحق باطلاً والباطل حقاً والخائن مؤتمناً والأمين خائناً والمتمسك بدينه متخلفاً ورجعياً والمرتد عن دينه متقدماً متحضراً ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اقتراب الساعة في هذا الزمان، مصداقاً لقول النبي ﷺ : « **قبل الساعة سنوات خداعة، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة** ، قيل : وما الرويبضة يا رسول الله ؟، **قال : السفيه يتكلم في أمر العامة**»، وجاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال **إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة** ، قيل: وكيف إضاعتها يا رسول الله ؟ ، قال : « **إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** » .

[٤] **كثرة الزنا والخناء واستحلال الأغاني والمعازف :** وقد نبه الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله : «**ليكونن أقوام من أُمتي يستحلون الحر والحرير والخمر**

والمعازف»،وجاء في الحديث الذي صححه الألباني أن النبي ﷺ قال: « **سيكون في آخر الزمان خسف ومسخ و قذف**، قيل: متى ذلك يا رسول الله ؟، **قال**: **إذا ظهرت المعازف والقينات** » ،وروى ابن ماجة أن النبي ﷺ قال : « **ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمعازف ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير** » .

[٥] **انتشار الربا وأكل المال الحرام :** فيأتي على الناس زمان لا يبالي المرء كيف أخذ المال ، من حلال أم من حرام ، فيأخذه بالربا أو بالرشوة أو عن طريق السرقة والاختلاس .

[٦] **أن يكون السلام بين الناس للمعرفة :** كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة**» وقد أرشد النبي ﷺ إلى نشر المحبة بين المسلمين بقوله : «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم**»، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال: **افشوا السلام بينكم** » ، والسلام حق من حقوق إخوانكم المسلمين حيث قال عليه الصلاة والسلام : «**حق المسلم على المسلم ست** ، قيل: وما هي يا رسول الله ؟، قال : **إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فأنصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فأتبعه** » .

[٧] **التباهي في المساجد وزخرفتها والتفاخر بها وبأثاثها :** والرسول ﷺ يقول : «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**» رواه الإمام أحمد في مسنده .

وصدق الشاعر عندما قال :

منابرهم علت في كل حي ومساجدهم خلت من العُبَّاد

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لتزخرفنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى ، وقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زخرفة المساجد، ولهذا جاء الوعيد بالدمار إذا زخرفت

المساجد ، كما في الحديث الذي صححه الألباني عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : «**إذا زوقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم** » .

[٨] **ظهور السيارات :** وهذا من أعجب ما أخبر به الرسول ﷺ ، فقد روى الحاكم في مستدركه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : «**سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ، ينزلون بها على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات** » .

[٩] **ظهور الفتن العامة :** فتدخل الفتنة إلى كل بيت من بيوت المسلمين ، كالتلفاز أو الدش، هذا الصنم الجديد الذي يدخل إلى كل غرفة في البيت فيفسد الزوجة على زوجها والبنت على أبيها، وأي فتنة أعظم من مشاهدة دواعي الزنا داخل البيت وخارجه ، وإنها والله لفتنة عظيمة، والرسول ﷺ يقول «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**» . وروى الإمام احمد في مسنده أن النبي ﷺ قال : « **إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي** » ، ولهذا يقول الله عز وجل ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال :٢٥] . وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها :استيقظ النبي ﷺ ليلة محمراً وجهه ، يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح الليلة من ردم يأجوج ومأجوج ، مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها**، قيل :أفنهلك وفينا الصالحون؟ ، **قال : نعم ، إذا كثر الخبث**» رواه البخاري . فسبحان الله كيف انتشر الخبث في أمة كتابها القرآن ودينها الإسلام .

[١٠] **اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين :** دعواهما واحدة ، فقد روى البخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة** » ، وقد فسر بعض العلماء هذا الحديث بما وقع بين العراق وإيران من حرب طاحنة استمرت ثمانية أعوام ، والله تعالى أعلم .

[١١] **أن يحاصر المسلمون في العراق والشام ويمنع عنهما الطعام والمساعدات:** وهاتان العلامتان من أعجب ما أخبر به الرسول ﷺ كما جاء عند مسلم في صحيحه أن عليه الصلاة والسلام قال : « **يوشك أهل العراق ألا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم** ، قلنا : من أين ذاك يا رسول الله ؟ ، **قال : من قبل العجم** ، **ثم قال : يوشك أهل الشام ألا يجبى إليهم دينار ولا مد** ، قلنا من أين ذاك؟ ، **قال : من قبل الروم** » . ومعنى القفيز في الحديث : هو مكيال أهل العراق ، ومعنى المد : هو مكيال أهل الشام .



علامات الساعة الكبرى

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمامَ المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

إن الحديث عن الساعة وأماراتها حديث بالغ الأهمية،لأن كثيراً من المسلمين اليوم يجهلون هذه العلامات أو يتجاهلون ذكرها، وعندهم في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تؤكد على قربها الوشيك ، حيث يقول الله عز وجل: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ① ﴾ [القمر : ١] . وقوله سبحانه وتعالى :﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد : ١٨] .

فهذا كتاب الله ينطق بالحق،الذي يرتاب فيه بعض المسلمين، إن يظنون إلا ظناً وما هم بمستيقنين، بينما أعداء الإسلام يعدون عدتهم، ويبحثون في كتبهم وكتب غيرهم، ويعطون أي خبر من أخبار المستقبل أهمية قصوى من الدراسة والتحليل أياً كان نوعه،ويرجعون بذلك إلى التوراة والإنجيل وأخبار المنجمين والكهان،وإن أخطر ما يمكن أن يفيدهم في هذا المجال ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة، عن أنباء المستقبل وأخر الزمان وعلامات الساعة وأماراتها، وبخاصة ما جاء عن الحروب والصراعات والملاحم التي بينهم وبين المسلمين،وقد أعدوا لذلك فرقاً متخصصة من المستشرقين المتفرغين لدراسة القرآن والسُّنَّة دراسة تفصيلية ، وهم بذلك لا يعملون هذه الأعمال المضنية الشاقة المكلفة لوجه الله ، وإنما لدنياهم .

أما المسلمون فهم غافلون عن هذه الآيات والعلامات التي أخبر الله عز وجل بوقوعها كما قال تعالى : ﴿ **فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها** ﴾ [محمد : ١٨] . والنبي ﷺ قد أخبر أن آخر الزمان مملوء بالفتن والملاحم العظام ، فإذا ظهرت العلامة الأولى تتابعت الأخرى ، كتتابع الخرز في العقد النظيم ، ومن هذه العلامات الكبرى التي ربما نعيش أحداثها الأولى قريباً ، وهي بين أظهرنا ونحن لا نعلم عنها شيئاً ، وقد جاءت المؤشرات كلها تبشر بظهورها ، **كما رتبها بعض أهل العلم وقالوا بان أول هذه العلامات الكبرى :**

[١] **جفاف نهر الفرات ومنطقة الأغوار المحيطة به :** كما جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال : « **يوشك الفرات أن ينحسر عن كنز من ذهب** » ومعنى قوله : « **ينحسر** » أي يقل ويجف . ولعلكم تسمعون في هذه الآونة الأخيرة أن تركيا تسعى لعمل حواجز أو سدود على نهر الفرات ، وهذه بشائر أولية تؤكد ما قاله الرسول ﷺ .

[٢] **ظهور جبل من ذهب على نهر الفرات :** كما جاء في الحديث السابق أن الرسول ﷺ قال : « **يوشك الفرات أن ينحسر عن كنز من ذهب وفي رواية عن جبل من ذهب** » ،وعند خروج هذا الكنز سيحدث بين الناس فتنة ومقتلة عظيمة ، وهي فتنة المشرق التي تعوذ منها الرسول ﷺ ، فقد روى ابن ماجة عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم أبناء خليفة** » .

[٣] **خروج خليفة للمسلمين** ،وهو ليس المهدي المنتظر بل رجح بعض أهل العلم أن المقصود بهذا الخليفة هو السفياني الذي جاء ذكره في بعض الأحاديث كما روى المقدسي في كتابه ـ عقد الدرر ـ أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **فبينما هم كذلك إذ يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس من فوره** » وروى نعيم ابن حماد بسنده في كتاب الفتن : أن عليًّا بن أبي طالب رضي الله عنه قال : يظهر

السفياني على الشام . وسيظهر السفياني أول ما يظهر في بلاد الشام ، كما جاء في كنز العمال عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً ، قال : ستكون لبني عمي مدينة قبل المشرق بين دجلة ودجيلة ، يقال : أنها بغداد يسكنها شرار الخلق وجبابرة أُمَّتي ، أما إنّ هلاكها على يد السفياني ، كأني بها قد صارت خاوية على عروشها .

ومن صفات هذا الرجل : أنه طاغية ظالم يحكم بالقوة والجبروت لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع إليه راية إلا مزقها ولا نعمة إلا أزالها ، فقد ورد في كتاب عقد الدرر للمقدسي ، وسلطه نقمة على من عصاه وخالفه ، لا يرحم من بكى ولا يُجيب من شكا ، يقتل الآباء والأمهات والبنين والبنات ، ويملك بلاد العجم والعراق ، ويذيق الأمة من بأسه أمر مذاق .

وكذلك من علاماته : أنه يظهر بعد أن يكثر الكفر والفساد والزندقة والإلحاد كما روى أبو عمروا الداني عن مطر قال : لا يخرج السفياني حتى يُكفر بالله جهاراً ويبصق بعضهم في وجوه بعض ، وهذا قد حدث فعلاً في زماننا هذا ، فقد كفر بالله واستهزئ بالدين وجاهر كثير من الناس بالكفر والزندقة .

ومن علاماته أيضاً : أنه سيخوض معارك عنيفة مع أعداءه ، يخرج فيها منتصراً ، كما روى ذلك نعيم بن حماد في كتابه ، قال : يهزم السفياني الجماعة مرتين ، وروى أيضاً عن أبي جعفر قال : إذا ظهر السفاني على الأبقع والمنصور ، خرج الترك والروم ، فيظهر عليهم السفياني .

[٤] **خروج المهدي المنتظر الخليفة الراشد صاحب الخلافة الراشدة:** وهو الذي يظهر عند اختلاف المسلمين ،كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده أن الرسول ﷺ قال : «**يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه أناس من أهل مكة ،فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام**» .

ومن علامات هذا الخليفة: أنه سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني وصححه الألباني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً يبعث الله رجلاً مني، اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها، ولا الأرض شيئاً من نباتها، يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً**».

وهذا الخليفة ـ المهدي المنتظر ـ هو الذي سيقيم الخلافة الراشدة، التي هي على منهاج النبوة، فقد روى حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**»، رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني.

وكذلك من علاماته أنه عندما يخرج في مكة ويبايعه الناس، يرسل إليه السفياني جيشاً من قبل الشام يريد أن يقتله ويستأصل شأفته، لكن الله عز وجل يخسف بهذا الجيش في بيداء من الأرض بين مكة والمدينة، والحديث جاء في صحيح مسلم أنه ﷺ قال: «**سيعوذ بهذا البيت قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة، يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم، وعند ذلك بعد أن يخسف الله تعالى بهذا الجيش يشتهر أمر هذا الخليفة الراشد**»، ويتيقن الناس فعلاً أن هذا هو المهدي المنتظر، فيأتيه وفود المبايعين من كل بلاد الإسلام يبايعونه على النصرة والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ثم بعد ذلك سيخوض معارك عدة، يخرج فيها منتصراً بإذن الله.

ومن أشهر هذه المعارك التي سيخوضها ويكون قائدها:

أولاً : الاستيلاء على جزيرة العرب في معركة كلب: يؤكد ذلك ما رواه مسلم في صحيحه أن الرسول ﷺ قال : « **تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله** » .

ثانياً: قتاله مع الشيعة الإمامية والاستيلاء على بلاد فارس إيران : يؤكد ذلك ما جاء في الحديث السابق ، بعد أن ذكر الاستيلاء على جزيرة العرب ، أشار إلى غزو فارس بقوله ثم فارس فيفتحها الله .

ثالثاً: قتال الروم أمريكا وأوربا : والاستيلاء على بلاد الشام في يوم الملحمة الكبرى كما سماها النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وصححه الألباني قوله عليه الصلاة والسلام : « **فسطاط المسلمين يوم الملحمة بأرض يقال لها الغوطة في مدينة دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ** » ،وهذه المعركة ستكون من أشد أنواع الحروب وأعنفها يذهب ضحيتها أعداد كثيرة من جيش الروم أمريكا وأوربا ، وفي هذه المعركة سيرتد ثلث جيش المسلمين لا يتوب الله عليهم أبداً ، وسيقتل ثلث آخر من المسلمين هم أفضل الشهداء عند الله وسينتصر الثلث الأخير يفتح الله على يديهم ، لا يفتنون أبداً .

ولذلك نجد أن أهل الكتاب يتنبئون بهذه المعركة ويسمونها معركة هرمجدون أو سهل مجيدو،فقد ورد في كتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية أن سبعة من رؤساء أمريكا يؤمنون بمعركة هرمجدون، فيقول ريجان الرئيس الأمريكي الأسبق :إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون .

وهناك نظرة مشتركة بين أصحاب الديانات السماوية حول هذه المعركة، فأما المسلمون يؤمنون أن قائدهم في هذه المعركة سيكون هو المهدي المنتظر وأما النصارى يعتقدون أن قائدهم في هذه المعركة هو المسيح عيسى عليه السلام ، حيث تقول الكاتبة الأمريكية جريس: إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف

ينتهي بمعركة تدعى هرمجدون وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء. أما اليهود فيعتقدون أن قائدهم في هذه المعركة هو المسيخ الدجال عليهم لعائن الله .

وكذلك من علامات الساعة الكبرى :

[٥] **خروج المهدي الثاني وهو القحطاني :** كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني وهو حديث صحيح أن الرسول ﷺ قال: « **سيكون من بعدي خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه** » .

والقحطاني هذا: هو الذي سيتولى قيادة المسلمين لفتح القسطنطينية، فيفتحها الله عز وجل عليهم بدون حرب أو قتال، وإنما تفتح بالتهليل والتكبير كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **فإذا جاءوها** ـ أي القسطنطينية ـ **نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم ، وإنما يقولون : لا إله إلا الله والله أكبر ، فيسقط أحد جانبيها ، ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولون الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر فيدخلوها ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ : بأن الدجال قد خرج ، فيتركون كل شيء ويرجعون** » .

[٦] **خروج الدجال:** وعندما يعود المسلمون من فتح القسطنطينية يجدون أن الدجال قد خرج وظهر أمره ، فيفرون من فتنه إلى الجبال ، فيحاصرهم الدجال في دمشق الشام ومعهم المهدي الثاني الذي يسمى بالقحطاني ، يحاصرهم حصاراً شديداً ، وقد بلغ بهم الجهد والجوع مبلغه ، فبينما هم كذلك إذ ينزل عليهم عيسى عليه السلام من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وقد أقيمت صلاة الصبح ، فيصلي المهدي بالمؤمنين ومعهم عيسى عليه السلام كما جاء في الحديث

المتفق عليه أن الرسول ﷺ قال : « **كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم** »، أي كيف يكون فرحكم وسروركم أيها المسلمون بلقاء هذا النبي الكريم عيسى عليه السلام . ثم بعد إكمال صلاتهم يقول عيسى عليه السلام : أخرجوا بنا إلى عدو الله الدجال ، فما إن يرى الدجال نبي الله عيسى عليه السلام ، يذوب كما يذوب الملح ويفر هارباً،فيدركه عيسى عليه السلام عند باب لدّ في فلسطين ، فيقتله ويريهم دمه في حربته عليه السلام ، يؤكد ذلك ما رواه ابن ماجة وصححه الألباني وهو حديث طويل جاء فيه أن الرسول ﷺ : « **قال فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم ، فرجع ذلك الإمام ليتقدم عيسى ، فيضع عيسى يده على كتفه ،ثم يقول له :تقدم فصل فإنها لك أقيمت ،فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى** عليه السلام : **افتحوا الباب فيفتحونه فإذا وراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى ، فإذا نظر إليه ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هارباً فيدركه عند باب لدّ الشرقي فيقتله** » .

[٧] **هزيمة اليهود**:تقع هذه الهزيمة بعد أن يقتل المسيح عيسى عليه السلام عدو الله مسيخ الضلالة ـ الدجال ـ فينهزم أبتاعه وكلهم من اليهود ويفرون ويختبئون من المسلمين وراء الأحجار والأشجار كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري وأحمد في مسنده أن الرسول ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر ، فيقول : الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعالى فاقتله ، إلا الغرقد لأنه من شجر اليهود** »، ثم بعد ذلك يقوم عيسى عليه السلام بدعوة الناس إلى الإسلام ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما أن الرسول ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى**

لا يقبله أحد ، فتكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها » .

[٨] **فتح القسطنطينية:** وعندها يقوم المسلمون بفتح القسطنطينية ، ثم روما عاصمة إيطاليا الآن التي بها مقر الفاتيكان ، فقد صحح الألباني رحمه الله حديث في السلسلة : أن الرسول ﷺ سئل أي المدينتين تفتح أولاً فقال عليه الصلاة والسلام : « **بلاد هرقل تفتح أولاً** » ، والمقصود بالمدينتين القسطنطينية وروما ، فبين النبي ﷺ أن القسطنطينية هي التي تفتح أولاً ثم تتبعها روما .

[٩] **خروج يأجوج ومأجوج:** وسيخرج هؤلاء القوم وعيسى عليه السلام ما يزال حياً ، عندما يأذن الله لهم بالخروج ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام وقد استيقظ ليلة فزعاً : «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فُتِحَ الليلة من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها** ، فقالت زينب بنت جحش: يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون؟ ، **قال : نعم إذا كثر الخبث** » ،وقد ثبت أن هؤلاء القوم محبوسون الآن خلف السد الذي بناه ذو القرنين، بسبب فسادهم وشرورهم كما قال تعالى في سورة الكهف : ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)** ﴾ [الكهف : ٩٤] . وعندما يخرج هؤلاء القوم يلهم الله عز وجل عيسى عليه السلام أن يخرج بعباد الله المؤمنين إلى جبل الطور، عند ذلك يتوجه عيسى عليه السلام بالدعاء إلى الله أن يخلصهم من هؤلاء المفسدين في الأرض ، فيرسل الله عز وجل عليهم دوداً في أعناقهم ، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس ، وتصبح الأرض مليئة بزهمهم ونتنهم ، حتى يرسل الله مطراً عظيماً فيغسل الأرض ويطهرها من رجسهم . فقد روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده: «**أن الله عز وجل أوحى إلى عيسى عليه السلام بقوله : إني أخرجت عباداً لا يدان لأحد بقتالهم ، يحاصرون عيسى عليه السلام ومن معه إلى الطور ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم ، عند ذلك يرسل الله عليهم**

دوداً في أعناقهم ، فيصبحون موتى لا يسمع حسهم ، وقد ملئت الأرض بزهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل ، فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت ، فتحملهم ثم تطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله قطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة» ، ولمزيد من التوضيح والبيان ، فقد استدل بعض العلماء على صفات هؤلاء القوم يأجوج ومأجوج بما ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده أن الرسول ﷺ قال : « **تقاتلون خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين عراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة** ـ أي التروس المستديرة ـ **ينتعلون الشعر ويلبسون الشعر** » . واستناداً لهذا الحديث ، فقد شبه بعض العلماء هؤلاء القوم يأجوج ومأجوج بأهل الصين وروسيا واليابان ومنغوليا ومن شابههم ، والله تعالى أعلم .





الفســـاد

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

إن الله سبحانه وتعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وقد قال النبي ﷺ : « **ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله العافية فإن الله لم يكن نسيًّا** » ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾ [مريم : ٦٤] . وقد هدد الله عز وجل من يفسد في الأرض وينتهك حرماته، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)** ﴾ [النساء : ١٤] .ولكن هؤلاء المفسدين قد استحبوا العمى على الهدى فنشروا الفساد وانتهكوا حرمات الله وتعدوا حدود الله، فالأخلاق يفسدونها والفضيلة يحاربونها والفواحش يرتكبونها، فساد في بيوتهم وفساد في أخلاقهم، فساد في كل مكان ، فساد في البيوت والأسواق وفساد في المدارس والجامعات وفي المعاهد والمستشفيات ، وفي البر والبحر كما قال تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الروم : ٤١] . لقد لوث هؤلاء المفسدون بفسادهم البر والبحر ، المياه والهواء ، الزروع والثمار ، لم يتركوا بيت مدر ولا وبر إلا ودخلوه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى جعل الفساد جريمة يرتكبها المفسدون

في حق الله وفي حق المجتمع،جزاءهم في دين الإسلام أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف،كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة :٣٣]. وأعظم الفساد على الإطلاق الحكم والتحاكم إلى غير شرع الله، واستبدال ذلك بآراء البشر وزبالات عقولهم وأفكارهم، والله عز وجل قد نفى الإيمان عن هؤلاء المفسدين الذين يتحاكمون إلى غير شرع الله، ووصف إيمانهم بالزعم والكذب كما قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠)** ﴾ [النساء: ٦٠]. وقوله أيضًا: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»، وقد أنكر الله عز وجل على هؤلاء المفسدين الذين يتحاكمون إلى الطاغوت ووصفهم بأنهم جهلة، يفضلون أحكام الجاهلية، فقال عز وجل: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ [المائدة: ٥٠].

مظاهر الفساد:

وإن من مظاهر الفساد الذي انتشر في هذا الزمان: التبرج والسفور وخروج النساء كاسيات عاريات إلى الشوارع والأسواق، والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وهذا خطاب لأزواج النبي ﷺ ولجميع المؤمنات إلى قيام الساعة، ولهذا يقول

النبي ﷺ : «مؤكداً قرار المرأة في بيتها صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجد قومها وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في بيتها» ،لأن المرأة عورة يجب سترها،كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» وقال عليه الصلاة والسلام : «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» ،وهذا ما نراه اليوم في زماننا، فقد أصبحت بعض نساء المسلمين اليوم، يجبن الشوارع ليل نهار وينشرن الفساد بين الصغار والكبار قال تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) ﴾.

[المؤمنون : ٧١].

واليكم أيها الأخوة : بعض صيحات الغرب من جراء خروج المرأة بلا حدود ولا قيود، وهذه الصيحات ليستْ صيحات نساء مسلمات أو رجال مسلمون ، وإنما هي صيحات نساء كافرات ، تقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة أناروود : يا ليت بلادنا بلاد الإنجليز كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف ، إنه عار علينا أن نجعل بناتنا مثلاً للرذيلة والشذوذ . وتقول الدكتورة الإمريكية أيدي الين: إن سبب الأزمات العائلية في أمريكا وكثرة الجرائم في المجتمع الأمريكي هو بسبب خروج المرأة من البيت إلى العمل ، فزاد دخل الأسرة وانخفض مستوى الأخلاق .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فإذا كانت هذه صرخات النساء في أمريكا ، أما في بريطانيا ، فتقول عضوة المجلس البريطاني اسكوت تقول: لقد دخلت المرأة البرلمان ونزلت إلى الحياة العامة ولكن صدقوني أنها لم تنجح ، وثبت أن مكانها الذي تصلح له هو البيت . الله أكبر فإذا كانت هذه اعترافات نساء اليهود والنصارى ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، ألا يا ليت قومي يعلمون .

وكذلك من الفساد ، الذي انتشر في هذا الزمان وابتليت به هذه الأمة ،

اختلاط الرجال بالنساء والنساء بالرجال كما يحدث في الحفلات والإجتماعات وفي المصانع والشركات ، وهذه مصيبة عظمى حلت بهذه الأمة ، والنبي ﷺ يقول : «**إياكم والدخول على النساء** ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو يا رسول الله ؟، **قال : الحمو الموت**» ، وقد نهى النبي ﷺ عن الخلوة بالنساء فقال عليه الصلاة والسلام : «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**» متفق عليه ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان** »، رواه مسلم، وقال ﷺ : « **لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»،قال ذلك وهو يخطب في الحج،فقام رجل وقال يا رسول الله : إن امرأتي خرجت حاجّة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال ﷺ : «**انطلق فحج مع امرأتك** » ،فقد أمره النبي ﷺ أن يدع الغزو والجهاد ويذهب يحج مع امرأته ، ولم يقل له : هل امرأتك معها نساء أو هل هي مع جيرانها كما يفعل كثير من الناس اليوم ، لا يغارون على أهليهم من الاختلاط بالرجال ، فمن كان هذا حاله فهو ديوث ، ديوث ، يرضى لأهله الخبث كما وصفه النبيﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وصححه الألباني أنه قال : «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مُدمن خمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث**» ولهذا يقول أحد قادة الماسونية العالمية :كاس وغانية ، تفعلان في الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ودبابة، **فاغرقوها في حب المادة والشهوة**.

وكذلك أيها الأخوة: إن من الفساد الذي انشرح في هذا الزمان ، ظلم الناس والتعدي على حقوقهم وأعراضهم ، وهذا واقع يعيشه المسلمون اليوم ويعانون آثاره ويكابدون مرارته في عالم لا يرحم المظلومين ، والله عز وجل يقول في الحديث القدسي : «**يا عبادي إني حرمت الظّلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا**» ،والنبي ﷺ أوصى معاذ رضي الله عنه بقوله : «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» ،وقد جاء في الأثر: «**أن الله يرفعها فوق**

الغمام ثم يقول لها وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

والله عز وجل قد نهى عن مجالسة الظالمين أو مساعدتهم ، لأن في ذلك شر وفساد كبير فقال تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود : ١١٣].وجاء في مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «**ستكون أمراء في أمتي من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض** » ، إذن فمن يجالس الظالمين أو يأكل من مآكلهم أو يقبل من أموالهم التي اكتسبوها من الحرام أو يداهنهم فيما عندهم من المنكرات، فهذا لا شك ولا ريب أنه يساعد على نشر الفساد بين الناس ويشهد كل ذي بصيرة أنه ضال عن سواء السبيل ، وأنه ممن قال الله فيهم : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ [الكهف :١٠٣ ، ١٠٤] ، فإذا كان هذا حال من يساعد الظالمين فما بالكم بحال الظالمين أنفسهم الذين يسفكون الدماء ويأكلون أموال الناس بالباطل وينشرون الفساد في الأرض ، فهؤلاء قد توعدهم الله عز وجل بعذاب شديد فقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

وقد رأينا وسمعنا كثيراً عن مصير الظالمين ، كيف عاقبهم الله في الدنيا قبل الآخرة ، فهذا الإمام أحمد رحمه الله : لما أهين وعذب من قبل ابن أبي داؤد ، فرفع يديه إلى من ينصر المظلوم وقال: اللهم إنه ظلمني وما لي من ناصر إلا إياك ، اللهم احبسه في جلده وعذبه ، فما مات هذا حتى أصابه الفالج ، فيبس نصف جسمه وبقي النصف الآخر حياً ، فدخلوا عليه وإذ به يخور كما يخور الثور ، ويقول: أصابتني دعوة الإمام أحمد، ما لي وللإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد، ثم يقول: والله لو وقع ذباب على نصف جسدي لكأنما جبال الدنيا وقعت عليه ، أما النصف الآخر فلو قرض بالمقاريض ما أحسست به ، وهذا ظالم آخر: حمزة

البسيوني الطاغية الظالم الذي كان يعذب المؤمنين ويقول لهم متبجحاً وهم يستغيثون الله : أين إلهكم الذي تستغيثون ، لأضعنه بالحديد ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فيخرج هذا المجرم ، ذات مرة ويركب سيارته ويظن أنه بعيد عن قبضة الله جل وعلا ، وإذ بسيارته ترتطم بشاحنة كبيرة ، ليدخل الحديد في جسده ، فما يخرجونه منه إلا قطعة ، قطعة .

إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** (١٠٢) ﴾ [هود : ١٠٢] .

وكذلك من الفساد الذي انتشر في هذا الزمان وابتليت به هذه الأمة : دخول الأجهزة الخبيثة إلى بيوت المسلمين ومساكنهم والتي تدعوا إلى ممارسة الجنس والرذيلة والتحلل من الأخلاق الفاضلة وتغزوا أفكار المسلمين وعقولهم ، وخاصة بما يسمى الدش الذي يدخل إلى كل غرفة في البيت ، فيفسد المرأة على زوجها والبنت على أبيها ، وإن من المؤسف جداً أن يكون في هذه الوسائل الإعلامية ما يدعوا إلى الشر والفساد ويدعوا إلى انحطاط الأخلاق والتحلل من الأخلاق الفاضلة .

إذن أيها المؤمنون: إننا ندعوكم باسم الإيمان بالله ، وباسم الإسلام ، وبكل وصف تستحقونه من شرف وفضيلة ، ألا تتسرب إلى بيوتكم أو إلى أيديكم مثل هذه الوسائل الهدامة التي فيها إضاعة للمال ومشاركة للسفهاء والأنذال ، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾ [النساء : ٥] . وكذلك من المفاسد التي تجلبها هذه الوسائل الهدامة ، أن فيها إضاعة للوقت الذي سوف تسألون عنه يوم القيامة ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : « **لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما ينفقه ، وعن علمه ماذا عمل به** » ، إذن أيها المؤمنون يجب عليكم أن تقاطعوا هذه الوسائل

الهدامة ، لأن فيها خطوات الشيطان إلى الفحشاء والمنكر، والله عز وجل يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [النور : ٢١] .

وعليه يجب أن تحذروا هذه الوسائل التي تغزوكم في عقر داركم ، وهي تدعوا نساءكم وأبناءكم إلى الافتتان ، وأي فتنة أعظم من مشاهدة دواعي الزنا داخل البيت وخارجه ، والله إنها لفتنة عظيمة تتربص بكم أيها المؤمنون ، وإلا فماذا تنتظرون من فتيان وفتيات تربوا على الحب والغرام والعشق والهيام ، فهل تنتظرون منهم أن يعيدوا العزة والكرامة لأولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الحبيب محمد ﷺ ، فإذا كنتم تظنون ذلك فإنكم تعيشون خيالا في خيال ، غثاء كغثاء السيل ، ترضون لأنفسكم وأولادكم أن تعيشوا حياة الفسق والخنا ، والله عز وجل يقول : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

[محمد : ٣٨] .

وكذلك من الفساد الذي انتشر في هذا الزمان: التعامل بالرشوة بين الناس وأكل أموالهم بالباطل ، مما أدى ذلك إلى تضييع حقوقهم ومصالحهم ، وتفشي الفساد بينهم ، والله عز وجل يقول: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) ﴾ [البقرة : ١٨٨] ، وقد تفشت الرشوة في هذا العصر تفشياً واسعاً حتى صارت مورداً عظيماً من موارد الكسب والشراء بل أصبحت وكأنها واجبة عند بعض الموظفين الذين لا خلاق لهم يوم القيامة، يبيعون دينهم وذممهم الفاسدة بعرض من الدنيا قليل ، فيرتشون في جرائم عظيمة تبرأت منها السموات والأرض ، ويقلبون الحق باطلاً والباطل حقاً،والنبي ﷺ قد لعنهم ولعن من يساعدهم على رشوتهم كما جاء في صحيح الجامع أن النبي ﷺ : « **قال لعنة الله على الراشي والمرتشي** » ، فإذا كان لا يجوز أخذ الهدية أثناء تأدية العمل الواجب عليك ، فكيف بمن

يأخذ الرشوة زوراً وبهتاناً ، فإنها لا تجوز من باب أولى ، لأن الرسول ﷺ قال : «**من شفع لأحد شفاعة ، فأهدى له هدية فقبلها ، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا** ».وقد حث النبيﷺ على مساعدة المسلم لأخيه المسلم بدون أجر، فقال عليه الصلاة والسلام : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل وقال أيضاً اشفعوا تؤجروا** » .

عاقبة الفساد :

أيها المسلمون : لقد كان أسلافكم الأولين مشهورين بالعلم والفضل والصلاح ، أما اليوم فقد تغيرت الأحوال واختلط الحرام بالحلال واستهتر السفهاء والأنذال وطغوا بالمال الحرام،فإذا رأيتم الآن ما نحن عليه من الفساد وسوء الأخلاق ومجاهرة الناس بأوصاف النفاق ، رأيتم فرقاً شاسعاً بين المسلمين اليوم وما كان عليه الرعيل الأول في العصور السابقة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على فساد الناس في هذا الزمان ، وقلة الأخيار فيه،حتى أصبح أهل الحق والخير غرباء تائهين حيارى،وقد قال رسول الله ﷺ : «**يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر**» ،وقوله أيضاً:«**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمرغ فيه ويقول يا ليتني صاحب القبر هذا وليس به بلاء إلا الدين**» .

فيا أيها الإخوة الكرام : يجب أن تعلموا أنه ما ظهر في أمة الزنا والخمر والمعازف وقول الزور والبهتان إلا ظهر فيهم الغلاء وانتشر فيهم البلاء والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم، وما بدل قوم دينهم بعدما عقلوه ، وخالفوه بعد ما عرفوه وألفوه، إلا مات خيارهم وعاش شرارهم واستحوذ عليهم الشيطان، وما هذه الحروب الطاحنة ومصائب الحالة الراهنة والفتن التي تموج كموج البحر والآفات التي في هذا الدهر إلا نتيجة الأخلاق الفاسدة ، والإعراض عن تعاليم الكتاب والسُّنَّة ، شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿**وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا**

أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) ﴾ [إبراهيم: ٤٥].

وجاء في معجم الطبراني وغيره أن النبي ﷺ قال: «**ما خفف قوم كيلاً ولا بخسوا ميزاناً إلا منعهم الله عز وجل القطر، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون، ولا ظهر في قوم القتل يقتل بعضهم بعضاً إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم**».

وجاء في مراسيل الحسن: إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا الأرحام، لعنهم الله عز وجل عند ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم، وجاء في مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم يلعنكم كما لعنهم أي اليهود والنصارى**»، والله عز وجل قد لعن أولئك الذين ينشرون الفساد في الأرض ويؤذون الله ورسوله ويقطعون الأرحام، كما لعن اليهود والنصارى من قبلهم، فقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)** ﴾ [الرعد: ٢٥]. وقال عز وجل: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾ [محمد ٢٢، ٢٣]. وقد لعن الله عز وجل الظالمين بقوله: ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود: ١٨]. ولعن الكاذبين فقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه لعن آكل الربا، حيث قال: «**لعن الله آكل الربا**

وموكله وكاتبه وشاهديه» ولعن رسول الله ﷺ الزاني بامرأة جاره ، ولعن ناكح يده، ولعن ناكح الأم وبنتها،ولعن الراشي والمرتشي،حيث قال: «**لعن الله الراشي والمرتشي**» فهؤلاء جميعاً قد استحقوا اللعنة من الله عز وجل ومن رسوله ﷺ، لأنهم يسعون في الأرض فساداً وينشرون الرذيلة بين المسلمين والمجتمع كله.

إذن أيها الإخوة المسلمون: إن الفساد قد انتشر في مجتمعاتكم معشر المسلمين ، انتشاراً واسعاً يندى له الجبين ، وكلما أراد المصلحون إصلاح جانب من هذا المجتمع الفاسد ، تصدعت فيه جوانب أخرى ، فكيف يصنع الواعظ والمصلح ،وكم يسعف الطبيب والمعالج ، والمصيبة الكبرى كثرة المفسدين وقلة المصلحين، فما يقوم به ألف بانٍ يهدمه واحد، فكيف بألف هدام بعد بانٍ واحد، وأي شيء يفعل الخطباء والعلماء وما تؤثر المنابر والمساجد ، إذا سقطت أخلاق الأمة في البيوت والأسواق والجامعات والمدارس ، وأي شيء أعظم أن يتولى الفاسدون أنفسهم ، الإشراف على هذه البيوت وتلك الجامعات والمدارس ، إنها لمصيبة عظمى حلت بهذه الأمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فإذا أصيب الناس في أخلاقهم   فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

أيها المسلمون: إن الفساد قد انتشر أمره وظهر الإلحاد، وتجاهر الناس بالمعاصي والذنوب، فغير عزيز على الله أن يخسف بكم الأرض أو يرسل عليكم حاصباً من السماء أو يُهلككم بالأمراض والحروب وصدق الله إذ يقول: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ [الأنعام :٦٥] .حتى يستوي الغالب والمغلوب لأن الله عز وجل قد حذر أهل القرى من بأسه وعذابه فقال تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)** ﴾[الأعراف ٩٧-٩٩] .

وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**توشك**

القرى أن تخرب وهي عامرة، قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ ، قال: إذا علا فجارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها» . وقد حدث أن تزلزلت الأرض على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أيها الناس. ما هذا وما أسرع ما أحدثتم ، فوا الذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً،وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ مر على ديار ثمود ، فمنع أصحابه من دخول ديارهم ، إلا وهم باكون حتى لا يصيبهم ما أصابهم من العذاب والنكال، وإلا فما أهون الخلق على الله عز وجل إذا ضيعوا أمره، كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)** ﴾ [الأنعام :٤٤] . وما هذه الزلازل التي تحدث في هذا الزمان والفيضانات الجارفة والكوارث المدمرة ، إلا تذكيراً وتخويفاً لعباده المؤمنين ، حتى يأخذوا حذرهم ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيي عن بينة . فالأحداث القدرية والخوارق الربانية ، ما هي إلا دليل على نزول العذاب على الظالمين والمجرمين قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠)** ﴾[الشورى : ٣٠] .



السعـــادة

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن كثيراً من الناس اليوم يبحثون عن السعادة ويتلمسون آثارها وأسبابها ولكنهم قد يخطئون في الوصول إليها فمنهم من يظن أنها في المال ، ومنهم من يظن أنها في بناء القصور والعمارات ، ومنهم من يظن أنها في الجاه والسلطان وغيرها من حظوظ النفس وشهواتها ، والحقيقة أن السعادة شيء لا يرى بالعين المجردة ولا يقاس بالدينار والدرهم.

إنما هي شعور جميل بالغبطة وانشراح بالصدر وراحة في الضمير وهدوء في البال ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨)** ﴾ [الشرح]

وعرفها أهل التربية وعلماء النفس : بأنها ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والبهجة والسرور . **وتنقسم السعادة إلى قسمين:**

القسم الأول: سعادة دنيوية مؤقتة يشترك فيها المؤمن والكافر.

أما القسم الثاني: فهي سعادة أخروية دائمة لا تكون إلاَّ للمؤمنين كما قال تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)** ﴾ [النحل: ٩٧] ، إذاً السعادة ليست شيئاً يصرف ولا

دابة تشترى ولا براً يكال ولا وردة تشم قال تعالى: ﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه: ١٣١] .

الشـــقـاوة:

قد كتب الله عز وجل الشقاء على بعض من الناس لأنهم بعيدين عن الله مضيعين لحدوده قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦) ﴾ الأحزاب: ٣٦]، وقال في آية أخرى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤]، وقد توعد الله الأشقياء بأنه سيلقي في قلوبهم الضيق والاضطراب فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

فهؤلاء الأشقياء في انزعاج دائم وقلق واصب ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤]،يحترقون مع الأحداث ويغضبون من غلاء الأسعار،تدور في نفوسهم حرب عالمية وهم على فراش النوم ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦] فهذا ابن نوح كان شقياً لأنه رفض أن يصعد مع أبيه في السفينة وقال بنص القرآن: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾[هود: ٤٣]،ومن الأشقياء النمرود فقد ادعى الربوبية وقال: ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فلبس بذلك ثوباً على غير مقاسه فأورده الله النار وبئس الورد المورود ، فيا من يعيش حياة البؤس والشقاء ويا من أثقلته الهموم والغموم والأحزان ألا يشرح صدرك ويجلب سعادتك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر: ٥٣]،

ألا يسرك ويفرحك قوله تعالى : ﴿ والَّذين إذا فعلُوا فاحشَةً أوْ ظَلَمُوا أنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ، أو قوله تعالى أيضاً : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [طه : ٨٢] .

أوهام السعادة:

هناك من الناس من يجلبون على أنفسهم الشقاء وهم لا يعلمون ، يظنون أن سعادتهم في المال وفي الجاه والسلطان وفي الشهوات والملذات .

وهذه سعادة وهميه لا حقيقية ، أولها:

[١] **المال:** والمال ليس كل شيء فكم من إنسان يملك المال ولكنه غير سعيد لذلك فقد ذم الله عز وجل المال وأهله بقوله سبحانه :﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥) ﴾ [التوبة : ٥٥] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) ﴾ [سبأ : ٣٧] ، فالمال قد يكون سبباً في هلاك الإنسان ليس في سعادته فهذا قارون الذي آتاه الله من المال الكثير وكان يظن أن السعادة كلها في المال لكن الله عز وجل ختم حياته بقوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) ﴾ [القصص :٨١] ، وقد سمعت عن رجل كان يملك الأموال الكثيرة ويقال أنه كان صرافا وعنده خزنة كبيرة فدخل ذات مرة إلى داخلها ليعد أمواله وبينما هو كذلك إذ بباب هذه الخزنة يقفل عليه فيموت اختناقا ولا حول ولا قوة إلا بالله . أيضاً لعلكم سمعتم عن قصة تلك المرأة اليونانية التي تسمى كرستينا ، أغنى امرأة في العالم فقد

تزوجت برجل أمريكي ثم طلقته فتزوجت برجل يوناني ثم فارقته فتزوجت برجل شيوعي من روسيا وذهبت معه إلى روسيا وعاشت معه في غرفتين صغيرتين فسألوها الناس كيف تتزوجين بشيوعي وأنت تمثلين الرأسمالية فقالت: أبحث عن السعادة ثم بعد ذلك تزوجت من رجل فرنسي، فسألها الصحفيون هل أنت أغنى امرأة في العالم؟، قالت: نعم أنا أغنى امرأة ولكني أشقى امرأة في العالم . لا حظوا أنها تزوجت من أربع دول تبحث عن السعادة لكنها لم تجدها وفي آخر أمرها وجدوها ميتة في شاليه بالأرجنتين،ولا يعلمون أنها ماتت ميتة طبيعية أم أنها قتلت ، ثم قام الطبيب الأرجنتيني بتشريح جثتها، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾ [طه : ١٢٤]، إذاً السعادة ليست في جمع المال والتكاثر فيه إنما هي بالتقوى والإيمان يقول الله سبحانه : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)** ﴾ . [يونس : ٥٨] .

[٢] **وبعض الناس يظن أن السعادة في الجاه والسلطان:** وهذا غير صحيح ففرعون عليه لعائن الله الذي ملك زمام الأمور كان يقول لقومه كما أخبر الله على لسانه ﴿ **وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١)** ﴾[الزخرف : ٥١] ، فأجراها الله من فوق رأسه .

وذلك الحاكم الذي حكم بلاد الكونجو في إفريقيا « موبوتو » اثنين وثلاثين عاماً وملك القوة والجبروت لكنه يخرج من بلاده خائفاً هارباً مترقباً فيستقر في بلاد المغرب ، ويختم حياته بالشقاء والذل والهوان ، وعند وفاته لم يجد أحداً يشيعه غير بعض أقاربه . إذا لا يمكن أن يجد الإنسان السعادة الحقيقية في الجاه والسلطان لأنها مسؤولية تكليف لا تشريف ، لذلك نرى أن أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رحمه الله عندما تولى الخلافة لم يجد راحة ولا سعادة حتى فارق الدنيا ، فتقول زوجته فاطمة بنت عبد الملك : والله لم نجد سروراً قط منذ أن

دخلت علينا هذه الخلافة ، فيا ليت بيننا وبينها بعد المشرقين، كان قبل أن يتولى الخلافة سعيداً في حياته متأنقاً متألقاً فواح العبير لكنه بعد أن تولى الخلافة أصبح في قلة وفاقة ،يدخل عليه ابن زياد فيقول له يا أمير المؤمنين إني لعجب من أمرك؟ ، قال: و مما تعجب؟، قال: مما نحل من جسمك وتغير من لونك أين ذلك الجسم الريان والجمال الفتان والشعر الجميل، قال إنك إذاً لأشد عجباً لو رأيتني في قبري وقد تغير لوني وتساقط عظمي، ثم جعل يبكي رحمه الله . فصاحب الجاه والسلطان يعيش في قلق دائم لايفا رقه الهم والحزن ، أحد الأمراء العباسيين كان يسكن قصراً منيفاً والناس له مطيعون لكنه لم يكن سعيداً ، أطل يوماً من شرفة القصر فرأى رجلا يعمل حمالاً فإذا جاء وقت الضحى توضأ وصلى ركعتين على نهر دجلة ، فإذا اقترب الليل ذهب إلى بيته وأهله عنده قوت يومه وليلته ، فحزن ذلك الأمير حزناً شديداً على حياته لأن هذا الحمال هو أسعد منه حياة ، فترك القصر والإمارة وهام على وجهه إلى بلاد خراسان وعمل هناك نجاراً ، ترك السعادة الوهمية وذهب هناك ليعيش سعادة حقيقية في ظل عمله الجديد.

[٣] **ومن الناس من يظن أن السعادة في الشهرة والصيت:** وأن تكون مشهوراً معروفاً عند الجميع يشار إليك بالبنان، الرسول ﷺ يقول: «**من رأى رأى الله به ،ومن سمَّع سمَّع الله به**» ، ويقول أيضاً في حديث آخر: «**إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا ،وإذا غابوا لم يُفقدوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم**» ، فهؤلاء السعداء ، أما غيرهم من أهل الشهرة والرياضة والفن، والذين تطاردهم العدسات في كل مكان ويتبعهم الصحفيون من مكان إلى مكان،يعيشون سعادة وهمية لا حقيقية،يعيشون حياة البؤس والشقاء فهذا المغني الملقب « بالعندليب » الرجل الذي عاش حياته مريضاً وحيداً من غير زوجة ولا أولاد يموت بعد خمسين عاماً من شدة المرض وهو يقول الحب عذاب ، عذب نفسه في سبيل الشيطان. أما خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو

على فراش الموت يقول والله ما في جسدي موضع شبر إلاّ وفيه ضربة بسيف أو رمية برمح وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ، يريد أن يموت شهيداً في سبيل الله ، وذاك يريد أن يموت شهيدا في سبيل الحب والغرام.

مثال أخر: نشر في مجلة اليمامة: دكتورة مشهورة عند الناس قد نالت أعلى الشهادات في مجال الطب لكنها لم تجد السعادة فتصرخ بأعلى صوتها خذوا شهاداتي وأعطوني زوجاً خذوا شهاداتي وأسمعوني كلمة ياماما ، وتصف عيادتها بأنها زنزانة ومعطفها الأبيض الذي تلبسه بأنه لباس حداد ثم تقول هذه الأبيات :

لقد كنت أرجو أن يقال طبيبة ... فقد قيل فما نالني من مقالها
وكل مناي بعض طفل أضمه ... لكي أسعد في حياتي الباقية

يا لها من حسرات ، ويا لها من لوعات.

[٤] وبعض الناس يظنون أن السعادة في الشهوات والملذات: وإشباع رغبات النفس فهؤلاء مخطئون ، فالإنسان مهما استمتع في الشهوات والملذات فإنه لا يعيش سعادة حقيقية قال تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)** ﴾[الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] .

وروي أن الحسن البصري رحمة الله عليه كان يقول: والله وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لايفا رق قلوبهم ، فالأسير من أسرته شهوته ودامت حسرته ولوعته ، فكم من نظرة ألقت في قلب صاحبها البلاء ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: « **يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية** » ، فمن أراد أن يجد حلاوة وطمأنينة في قلبه فليغض بصره عن الحرام قال : « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله في قلبه حلاوة يجدها يوم يلقاه** » ،

وبعض الناس قد يخطئون طريق السعادة ويظنون أنها عند أهل الخمور والمسكرات فيشربونها هروباً من الهموم والأحزان ، وهم بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار ، وقد أثبتت الدراسات أن حوادث الانتحار المتعلقة بالمسكرات بلغت ٨٠٪ عن غيرها من الحوادث ، إن أكثر من نصف الجرائم التي تحدث في العالم بسبب المسكرات بل قد تؤدي بعض هذه المسكرات إلى الوفاة ، فقد قيل أن رجلاً ذهب إلى أحد البلاد المعروفة بالفساد وهناك في شقته شرب الخمر ، قارورة ثم الثانية ثم الثالثة ، هكذا حتى شعر بالغثيان فذهب إلى دورة المياه أعزكم الله ليتقيء هناك ، أتدرون ماذا حدث له؟ ، مات في دورة المياه ورأسه في المرحاض ولا حول ولا قوة إلا بالله، إذاً هل توجد السعادة عند أهل الفجور والمجون والزنا؟ كلا والله ، فهي لذة مؤقتة يعقبها ألم وحسرات لكن الزواج المباح في ظل الإسلام يعقبه سرور واطمأنان مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** (٢١) ﴾ [الروم : ٢١] ، لذلك من أراد السعادة فليستمتع بالحلال ، حيث يقول ﷺ : « **الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة** » ، وقوله أيضاً : « **حبب إليَّ من دنياكم الطِّيب ، والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة** » .

الأمور التي تجلب السعادة :

لذلك يجب على الإنسان أن يترك هذه الأوهام السابقة التي ذكرناها وينتقل إلى سعادة حقيقية لا وهمية:

[١] **في ظل حياة الإيمان:** فالإيمان هو الطريق الوحيد الموصل إلى الحياة الطيبة الكريمة قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** (٨٢) ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، والله عز وجل قد وعد أهل الإيمان بقوله : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم**

بأحسن ما كانوا يعملون (٩٧) ﴾ [النحل . ٩٧] .فالإنسان بلا إيمان إنسان لا قيمة له ولا معنى له في الوجود قال تعالى : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم (١٢) ﴾ [الإنسان : ١٢] ، الإنسان عندما يعيش بعيداً عن الإيمان يعيش تائهاً لا يدري إلى أين ، فهذا إيليا أبو ماضي يقول عن نفسه :

جئت لا أعلم من أين جئت ولكني أتيت ... ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

فكيف يسعد هؤلاء وقد قطعوا العلاقة بينهم وبين الله وأغلقوا الأبواب على أنفسهم والله عز وجل يقول : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] ، قال نابليون :لا أعرف ست أيام سعيدة في حياتي لماذا؟ لأنه خالي من الإيمان . إذاً لا تحزن إذا كنت مؤمناً فأنت على خير كثير . قال تعالى: ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (١٨) ﴾ . [السجدة : ١٨] ، فالمجتمع بلا إيمان مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة ، المجتمع بلا إيمان مجتمع تعاسة وشقاء وإن زخم بأدوات الرفاهية والرخاء ، وخير شاهد على ذلك ما يعيشه المجتمع الغربي الكافر نتيجة للفراغ الإيماني الذي يؤدي به في آخر المطاف إلى الانتحار فيقول :أحد علماء النفس واسمه دايل إن عدد الأمريكيين الذين يُقبلون على الانتحار -أكثر بكثير من الذين يموتون نتيجة الأمراض الفتاكة ، فالحياة إذا خلت من الإيمان ، فلا قيمة لها ولا وزن، ولا معنى ، يقول محمد إقبال ـ رحمه الله ـ :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

أهل الإيمان يعيشون سعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدوا عليها بالسيوف ، كان عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي يتأوه ويقول : يا ليتني لم تول الخلافة ، وكان ابنه هشام يقول : عددت أيام سعادتي فوجدتها ثلاث عشرة يوما!! ، السعادة ليست في الزمان ولا في المكان ولكنها في الإيمان. قال

تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) ﴾ [التوبة : ١٠٩] ، فالمؤمنون السعداء ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ وسعادة الإيمان لا توجد إلاَّ عند أهل الإيمان كبلال وسلمان وعمار ، لأن بلالاً أذن بلا إله إلا الله وسلمان استجاب للحق والهدى وعمار أوفى بالعهد والميثاق ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) ﴾ [الأحقاف : ١٦] .أحمد بن حنبل عاش سعيداً لأنه يحمل الإيمان ، كان ثوبه أبيضا مرقعا ، عنده بيت من الطين يسكنها لا يجد إلاَّ كسرة خبز يأكلها ومع ذلك وجد الراحة والهدوء.

[٢] من الأمور التي تجلب السعادة الإكثار من الصلاة وقراءة القرآن: وهو علاج مفيد يصفه أطباء القلوب حيث يقول عليه الصلاة والسلام: « **أرحنا بها يا بلال**» ، وجعلت قرة عينه ﷺ في الصلاة ، ولهذا كان يقول :« **حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة**» ، فإذا داهمك الخوف والقلق وطوقك الحزن والألم فاهرع إلى الصلاة حالاً عملاً بالآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) ﴾ [البقرة: ١٥٣] ، وإذا أظلمت في وجهك الأيام واختلفت الليالي فما عليك إلاَّ بالصلاة، ونصيحتي لهذا الجيل الذي عصفت به رياح الشهوات وحمى المغريات واستحكمت عليه الأمراض النفسية والعصبية إلا أن يبادر إلى السجود والركوع وأن يمرغ جبينه بين يدي الله فقد سمعت عن رجل كافر عاش حياة القلق والاضطراب وقيل أنه كان لا يجد السعادة والطمأنينة إلاَّ إذا خر ساجداً على التراب فجاء إليه أحد المسلمين ، وأخبره أن المصلين في الإسلام يجدون لذة حقيقية في الركوع والسجود، فأسلم ذلك الرجل بعد أن علم هذه الحقيقة الثابتة في الإسلام.

أيضاً يجد الإنسان السعادة في القرآن الكريم الذي جعله الله شفاءً لما في الصدور ، وجلاءً للهموم والغموم قال تعالى :﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا** (٨٢) ﴾ [الإسراء : ٨٢]، فلا عيش أطيب من عيش المتعظين بالقرآن المهتدين به قال تعالى : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** (١٥) **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** (١٦) ﴾ [المائدة : ١٦] . فإذا أردتم حياة السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والردى فما عليكم إلاَّ بالقرآن، ما تمسك به عبد إلاَّ عصمه الله،وما تركه جبار إلاَّ قصمه الله،ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] .

[٣] ومن الأمور التي تجلب السعادة الإكثار من ذكر الله : ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد : ٢٨] ، يقول ابن القيم رحمه الله :واللذة الحاصلة بذكر الله وبالصلاة عاجلا وآجلاً أعظم وأبقى وأدفع للهموم والغموم والأحزان . من داوم على ذكر الله عاش سعيداً، ومن أعرض عن ذكر الله عاش تعيساً يائساً قال تعالى :﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** (٣٦) ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** (١٢٤) ﴾ [طه : ١٢٤] ، فمن حرم لذة الذكر فلا يحسب نفسه إلاَّ مع الأموات قال تعالى : ﴿ **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** (٢١) ﴾ [النحل : ٢١] ، وفي الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت** » . وقوله : « **سبق المفردون** ، قالوا وما المفردون يا رسول الله ؟، قال : « **الذاكرون الله كثيرا والذاكرات** » .

ومن صفات المؤمنين:

أنهم يذكرون الله في كل وقت وحين كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، .ومن أراد أن يشرح صدره وينير قلبه ،فعليه بذكر الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب : ٤٠ ـ ٤٢]، لذلك أوصى الرسول ﷺ ذلك الرجل الذي جاء يسأله بقوله : « **لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله** » . ومن استحكمت عليه الهموم والغموم والأحزان فعليه أن يذكر الله ويدعوه فقد كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله : « **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وغلبة الدين وقهر الرجال** » ، وكان إذا اشتد عليه الكرب يقول : « **لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم** » فكم من مرة ضاقت علينا الأرض بما رحبت وانقطعت بنا السبل وأظلمت في وجوهنا الآفاق وإذ بالفرج يأتي والنصر والتمكين مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام : ٤٢] ، إذاً من الذي يفزع إليه المكروب ويستغيث به المنكوب وتلهج بذكره الألسن؟ ، إنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل : ٦٢] .

[٤] ومن الأمور التي تجلب السعادة الرضا بأقدار الله وعدم التسخط منها:
ففي الآية الكريمة ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد : ٢٢] . وفي الحديث الشريف قوله ﷺ : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاَّ**

بشيء قد كتبه الله عليك ، **رُفعت الأقلام وجفت الصحف** » ، ومن لوازم « **رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً** » ، أن ترضى بما قسم الله لك إن كان خيراً فخير وإن شراً فشر . واعلم أن الرضى لابد أن يسبقه الابتلاء لقول الرسول ﷺ : « **إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط** » ، وقوله ﷺ : « **أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه** » ، والإنسان يجب أن يتسلح بالرضا والشكر حتى يصل إلى أعلى مراتب السعادة قال تعالى : ﴿ **فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

ويجب على المسلم التسليم والإذعان لقضاء الله وقدره ولا يقل « **لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل** » ، إنَّ تذكر الماضي والتفاعل معه والحزن لمآسيه حمق وجنون ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ** ﴾ [البقرة : ١٣٤] ، واستباقه الأحداث ومعرفة المستقبل المجهول نوع من أنواع السحر والشعوذة ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)** ﴾ [النحل : ١] ، وإذا كنت ممن يريد السعادة فارضي بصورتك التي ركبك الله فيها وأرضى بصوتك ومستوى فهمك وأرضى بما قسم الله لك ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الزخرف : ٣٢] ، ولا تتقمص شخصية غيرك فتقمص صفات الآخرين يسمى انتحار وذوبان ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ [البقرة : ١٤٨] وأعظم شيء يسعد فيه الإنسان أن يكون من الذين ذكروا في قوله تعالى : ﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [المائدة : ١١٩] ، ولا يمكن أن ينال الإنسان رضا الله برضي الناس كما ورد في الحديث الذي فيما معناه : « **من أسخط الله برضا الناس سخط عليه وأسخط عليه الناس ، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عليه الناس** » ، فالساخطون دائماً ناقمون غاضبون كيف لا وقد عرضوا أنفسهم لسخط الله ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ**

اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) ﴾ [محمد : ٢٨] ، والذي لا يرضى بأقدار الله ولا يُسلم أمره إلى لله فليبتغي له نفقاً في الأرض أو سلَّماً في السماء وإن شاء ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** ﴾ [الحج : ١٥] .

[٥]. ومن أسباب السعادة الإحسان إلى الآخرين: وهذا مجرب ومشاهد فالذي يحسن إلى الآخرين تجد أنه أسعد الناس وأكثرهم قبولاً في الأرض، قال تعالى : ﴿ **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)** ﴾ [النساء : ١١٤] ، وقال عز وجل : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)** ﴾ [الإنسان :٨]، إلى قوله تعالى : ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** ﴾ [الإنسان :٨] ، فالإحسان إلى الآخرين والتفاني في خدمتهم سبب لسعادة الدنيا والآخرة يقول عليه الصلاة والسلام : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً ،أو تطرد عنه جوعاً ، ومن كظم غيظه ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة** » رواه الطبراني ،وذكره الألباني في صحيح الجامع،والمسلم إذا أحب أن يكون من السعداء عند الله فليحسن إلى إخوانه المسلمين بدون أجرٍ ولا مقابل لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال :« **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل** »، ولا شك أن بذل المعروف للآخرين والإحسان إليهم سبب مباشر لتخفيف المصائب والأزمات حيث يقول عليه الصلاة والسلام : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر** » رواه الطبراني بسند حسن ، وقال أيضاً : « **الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار** » ، إذاً الإحسان إلى الناس طريق إلي السعادة ، فقد سُعدت بغية من بغايا بني إسرائيل بدخولها الجنة لأنها سقت كلباً على ظمأ .

حيـــاة الســـعداء:

والسعداء يعيشون حياة الفرح والسرور يفوضون أمر هم إلى الله ويتوكلون عليه ويثقون به، فهذا إبراهيم عليه السلام كان من السعداء لما ألقيَّ في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ، الرسول ﷺ والصحابة الكرام لما توعدهم الكفار قالوا: ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)** ﴾ [آل عمران: ١٧٤] ،هناك نفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء شقاء ، ونفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء سعادة فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم سُلبوا أوطانهم وأهليهم وأموالهم طردوا من مراتع صباهم وملاعب شبابهم ،سحب بعضهم على الرمضاء، وحبس آخرون في العراء لكنهم مع ذلك كانوا سعداء حقاً مع إمامهم وقدوتهم محمد عليه الصلاة والسلام كما وصفهم ربهم. ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)** ﴾ [الفتح: ٢٩] ، إذاً السعيد لا يأكل أكثر مما يأكل الناس، ولا يملك أكثر مما يملك الناس لكنه يرضى أكثر من الناس ، وفي يوم القيامة ينقسمون إلى فريقين ، فريق السعداء،وفريق الأشقياء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)** ﴾ [هود : ١٠٦ – ١٠٨] .

الابتلاء

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

يقول الله سبحانه وتعالى في أول سورة العنكبوت : ﴿ **الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [العنكبوت : ١ ـ ٣] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله في هذه الآية الكريمة: استفهام للتقريع والتوبيخ ﴿ **أَحَسِبَ** ﴾ أحسب من؟، ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ** ﴾،الناس من؟ ، الناس هم المؤمنين الذين أوذوا وعذبوا في سبيل الله كأمثال عمار وياسر وصهيب وبلال وغيرهم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد بالناس قوماً من المؤمنين كان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)** ﴾ [البروج : ٨] ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ أي ابتلينا الماضين واختبرناهم و إلاَّ فما تظنون وتحسبون؟ ، ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)** ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)** ﴾ .

[البقرة : ٢١٤] .

ففي صحيح البخاري من حديث خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ ما نجده وهو متوسد بردته في ظل الكعبة، فقلنا له يا رسول الله: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قد كان من كان قبلكم يُؤخذ الرجل فيحفر له حفرة في الأرض ثم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيفرق نصفين ويمشط بأمشاط الحديد فلا يصرفه ذلك عن دينه، والله ليُتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلاَّ الله، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»، وروي أن عيسى عليه السلام كان له وزيراً فركب يوماً فأخذه السبعُ فأكله فقال عيسى عليه السلام: يا رب وزيري وخليفتي وعوني على بني إسرائيل سلطت عليه كلباً من كلابك فأكله، قال: نعم كانت له عندي منزلة رفيعة فابتليته بذلك لأبلغه تلك المنزلة.

والبلاء والابتلاء: يلتقيان في معنى الاختبار والامتحان، والبلاء قد يكون منحة وقد يكون محنة، وقد تصير المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فتكون المنحة أعظم البلاءين، كما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾ [إبراهيم: ٦]، فتسمى عند الناس فتنة السراء وفتنة الضراء، ولا بد أن يبتلى الإنسان بما يسره وما يسوؤه كما في قوله تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فأصحاب الجنة الذين ذكروا في سورة القلم ابتلوا بنعمة السراء كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)**﴾ [القلم: ١٧-٢٠]، لذلك أخبر ﷺ عن سنن الابتلاء لهذه الأمة وحدد لها معالم الطريق حيث قال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة خفف عنه فما يزال البلاء به حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**» حديث صحيح.

ولهذا سئل الإمام الشافعي رحمه الله : فقيل يا أبا عبد الله أيهما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى؟ ، فقال الشافعي لا يمكَّن حتى يبتلى ، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فصبروا حتى مكنوا .

يقول العلامة الألباني رحمه الله : وفي هذه الأحاديث دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيماناً أزداد بلاءً وامتحاناً والعكس بالعكس ،وفي ذلك رد على ضعفاء العقول والإيمان الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء كالحبس والإيذاء أو الطرد من بلاده أو وظيفته بأنه غير مرضيٌّ عنه ، أو أن ذلك شر له ، والحقيقة أن البلاء غالباً دليل خير وليس دليل شر كما يدل على ذلك الحديث الأتي : قوله ﷺ : «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» إسناده حسن .

قال سيد قطب رحمه الله في تفسير سورة العنكبوت :

إن الإيمان ليست كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر فلا يكفي أن يقول الناس آمنا وهم لا يفتنون لهذه الدعوة .ثم قال : إن الإيمان أمانة الله في الأرض لا يحملها إلا من هم لها أهلاً لذلك يجب أن يعلموا أولئك الدعاة المختارين من الله أنهم لن يجدوا طريقهم مفروشة بالورود والزهور والأكاليل، إنما هي مفروشة بالبذل، والعطاء، والتضحية. والابتلاءات . طريق مليئة بالعقبات تعب فيها آدم ، وناح لأجلها نوح ، ورمي في النار إبراهيم الخليل ، وقُدِّم للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس دراهم معدودة ، ولبث في السجن بضع سنين ، ونشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج أنواع الفقر والأذى محمد -صلى الله وسلم عليهم جميعًا- فكيف يحق لك أن تلهوا وتلعب؟!! .

عدم الصمود في الابتلاءات:

عندما تأتي الفتن والابتلاءات تظهر الحقائق ويتبين الكاذب من الصادق كما ورد في الآية الكريمة ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)** ﴾ [العنكبوت : ١٠] ، وقال عز وجل في آية أخرى :﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)** ﴾ [الحج : ١١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته ولداً وأنتجت خيله قال : هذا دين صالح ، فإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء ، يبين ذلك قوله تعالى ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)** ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، والحقيقة أن هذا من تلبيس إبليس كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)** ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . أمَّا أولياء الرحمن فلا يخافون الترغيب والترهيب من قبل الناس كما وصفهم الله عز وجل بقوله : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

أنواع الابتلاء:

الإنسان معرض للابتلاء في كل شيء. فقد يبتلى في دينه وماله وعرضه ، أو يبتلى في ولده وجسمه . وأعظم ابتلاء على الإطلاق هو:

* **الابتلاء في الدين:** فهذا إبراهيم عليه السلام ابتلي في دينه بلاء شديدا حتى

وضع في النار كما حكى القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ (٧٠)** ﴾ [الأنبياء : ٦٨ - ٧٠] .

وذاك خبيب ابن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمتحن ويبتلى في دينه عندما أسرته قريش،أخذوه وربطوه وشدوا وثاقه ووضعوه في بيت مكشوف والشمس تصهر رأسه ثم أخرجوه في بطحاء مكة وعلقوه على خشبة الصلب ، ثم خيَّروه بين أن يرجع عن دينه وبين الصلب، فأبى فلمَّا يئسوا منه طلبوا منه أن يسب رسول الله ﷺ فقط ثم يتركوه ، حتى قال له أبو جهل: يا خبيب أترضى أن يكون محمداً مكانك وأنت معافى في أهلك ومالك؟ قال: لا والله لا أرضى أن يشاك محمد بشوكة وهو في المدينة وأنا معا فًا في أهلي ومالي . وهكذا تعرض كل فرد في المجتمع الإسلامي للأذى والابتلاء بسبب هذا الدين ، فكان رسول الله ﷺ يتبع الناس في منازلهم وأسواقهم «عكاظ والمجنة» ، وفي المواسم يقول: «**من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة**» ، فلا يجد أحداً يؤويه أو ينصره ، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي ورهط في من قريش جلوس يضحكون ويهزؤون به ويشيرون إليه بالأصابع ثم قالوا : من يأخذ سلى الجزور ويضعه على ظهره ؟ ، فقال عُقبه بن أبي معيط وكان أشقاهم أنا آخذه ، فألقاه على ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأخذته عن ظهره وهي تقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ، فقال ﷺ : «**اللهم عليك الملاء من قريش ، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة ، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ،اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط ، اللهم عليك بأبي بن خلف**» ، سماهم بأسمائهم، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فلقد رأيتهم يوم بدر قُتلوا جميعاً ثم سحبوا إلى القليب . وعن سعيد بن المسيب قال لما أقبل صهيب الرومي مهاجراً نحو المدينة وتبعه نفر من قريش نزل من

راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً ، وأيم الله لا تصلون إليَّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شئ ، فقالوا: كيف نتركك تذهب وقد جئتنا صعلوكاً لا أهل لك ولا مال؟ ، فقال: إن شئتم دللتكم على مالي وثيابي بمكة وخليتم سبيلي ، قالوا: نعم. فلما قدم إلى رسول الله ﷺ في المدينة قال: « **ربح البيع أبا يحي ، ربح البيع أبا يحي** » ، ونزلت هذه الآية ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** (٢٠٧) ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ، وعلى هذا الإسلام بايع الأنصار بيعة العقبة وهم يعلمون أنهم لا يبايعون على السلم والأمان ، إنما يبايعون على الموت والتضحية في سبيل الله حتى قال قائلهم: نبايعك على أن نمنعك مما نمنع به نساءنا وأطفالنا،وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما استشار الرسول ﷺ الصحابة في معركة بدر فقال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**» ـ وكان يريد الأنصار ـ فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وكان رجلاً قيادياً محنكاً ـ فقال: يا رسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وإنا لصُبُرٌ في الحرب صُدق عند اللقاء ، فسر بنا على بركة الله . الله أكبر ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** (٢٣) ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، لذلك كان ﷺ يقول: «**فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً أخر ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار** ».

والآن في هذا الزمان تتجدد الابتلاءات والامتحانات لبعض المسلمين المتمسكين بدينهم ، وما يحدث في بعض البلاد الإسلامية أو التي تدعي الإسلام

ليس عنا ببعيد فقد يتعرض المسلم فيها للقتل والتعذيب والطرد والتشريد لماذا؟ لأنه رجل متدين أو لأنه يصلي الخمس فروض في المسجد جماعة مع المسلمين فقد أصبح هذا في نظرهم عمل شنيع وجريمة لا تغتفر أن تصلي أو تقرأ القرآن أو تسمع شريطاً إسلامياً،وكل هذا إرهاب يستحق العقاب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ **الابتلاء في الولد:** وقد يكون الابتلاء في المال والولد كما حصل لإبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل حيث قال سبحانه وتعالى﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)** ﴾ [الصافات : ١٠٢ - ١٠٧] قيل أن إسماعيل عليه السلام ولد وعمر أبيه ستة وثمانون سنة ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ** ﴾ أي كبر وصار شاباً يعتمد عليه ، أي صار محبوباً عند أبيه ، فيأتيه الأمر من الله أن يذبح ولده الوحيد ، وقرة عينه فما كان من إبراهيم عليه السلام إلاَّ أن أخبر ولده بهذا الأمر الخطير وهو حزين ومشفق عليه ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ أي تدبر أمرك وهيئ نفسك فرد ذلك الطفل الصغير والذي تربى على الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره وعلى الطاعة للوالدين﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)** ﴾ أي امضي لما أمرك الله به فسأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل ، لهذا أثنى الله عليه بقوله : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤)** ﴾ [مريم : ٥٤] ، إذاً هذا هو البلاء العظيم المذكور بقوله تعالى﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ** ﴾.

❁ **الابتلاء في العرض:** وقد يكون الابتلاء في العرض وهذا من اخطر أنواع الابتلاء ، تعرض له أشرف بيت على وجه الأرض وخير خلق الله محمد عليه

الصلاة والسلام في حادثة الإفك التي هزت مدينة الحبيب محمد ﷺ لأن اتهام عرض النبي ﷺ ليس اتهام لذاته فقط، بل اتهام للدعوة ولما يدعو إليه ، فحكى القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى في سورة النور ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)** ﴾ إلى قوله : ﴿ **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧)** ﴾ [النور : ١١- ١٧] .

❁ **الابتلاء في الجسد:** قد يبتلى الإنسان بجسده الحسي الذي يحمله فيصاب ببعض الأمراض التي تكدر صفو حياته والمسلم يبتلى بالمصائب عموماً وبالمرض خصوصاً ، وقد يكون هذا الابتلاء بالمرض عقوبة للإنسان بسبب ذنوبه ومعاصيه قال تعالى :﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى : ٣٠] ، لهذا يقول أحد الصالحين: ما أذنبت ذنباً إلاَّ رأيت ذلك في خلق دابتي وأهلي ، وقد يكون المرض تكفير للذنوب والآثام لما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: « **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا غم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلاَّ كفَّر الله عنه من خطاياه** » ، وقد يكون المرض سبباً لرفع منزلة العبد يوم القيامة كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في سُننه أن النبي ﷺ قال: « **إذا أحب الله قوماً ابتلاهم** » . لهذا أثنى الله عز وجل على أيوب عليه السلام بعد أن ابتلاه بالمرض فقال سبحانه وتعالى﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤)** ﴾ [الأنبياء : ٨٤] ،قيل أن أيوب عليه السلام مكث فيه البلاء ثماني عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا زوجته صبرت عليه حتى عافاه الله بعد أن دعا ربه بقوله : ﴿ **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ . أما محمد ﷺ فقد كان يتعرض للبلاء والمرض وليس كمرض الناس ، بل أشد منهم لما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت يا رسول الله توعك وعكاً شديداً؟ ، قال: « **أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم** » .

فوائد الابتلاء:

❁ **تربية للمؤمنين وصقل معادنهم وتمحيص ما في قلوبهم:** فهم ينضجون بالمحن والابتلاءات كما ينضج الطعام بالنار لذلك يقول سيد قطب رحمه الله : إن حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض للمجاهدة ، لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان ، ويقول أيضاً وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في جماعة حتى تتعرض للتجربة والامتحان والابتلاء « **والناس معادن كمعادن الذهب والفضة** » كما قال ﷺ : «**ولا تظهر هذه المعادن الأصلية إلاّ بعد الابتلاء والتمحيص**» ، لذلك نجد أن الذي يتربى على المخاطر منذ الصغر تسهل عليه المصائب في الكبر وقد أحسن القائل حين قال:

على قدر أهل العزم تؤتى العزائم ... وعلى قدر الكرام تؤتى المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

لهذا أثنى الله عز وجل على المؤمنين الذين خاضوا حياة الابتلاء والتمحيص بقوله سبحانه ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣)** ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

كذلك من فوائد الإبتلاء :

❁ **أن فيه رفع لدرجات المؤمنين وتكفير لخطاياهم :** حتى يمشي أحدهم على الأرض وليس عليه خطيئة كما جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ : «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ،يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلاءه ، وإن كان فيه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء به حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة**»، الشاهد من

الحديث « **حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة** »،وجاء في الحديث القدسي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله عز وجل يقول : « **إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر ، عوضته منهما الجنة** » ، ومعنى حبيبتيه يريد عينيه ، والجنة ثمنها الابتلاء في سبيل الله كما قال تعالى﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة : ١١١] .

❁ **أن فيه تمايز بين الحق والباطل وتطهير للصف المؤمن من أدعياء الإيمان:** كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [العنكبوت : ٣] ، فإذا ما حصل التمايز وتمت الغربلة في هذه الأمة انقسم الناس إلى فسطاطين أو تكتلين اثنين ، تكتل إيماني ليس فيه نفاق ، وتكتل نفاقي ليس فيه إيمان كما بين ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة في أرض بالغوطة في مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام** » ، رواه أبو داوود في كتاب الملاحم ، لذلك ينقسم جيش المسلمين في يوم الملحمة أو في معركة هرمجدون ، كما يسميها الغرب إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: وهو قسم المنافقين يرتدُّون على أعقابهم فلا يغفر الله لهم أبداً .

أما القسم الثاني: فيموتون شهداء ، وهم أفضل الشهداء عند الله .

والقسم الثالث : يفتح الله على أيديهم النصر فلا يُفتنون أبداً .

الابتلاء في النعمة :

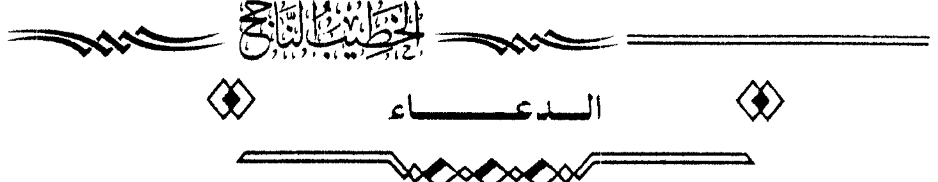
فالابتلاء سُنَّة ماضية في الأولين والآخرين كما سبق ذكره ، والإنسان لابد أن

يبتلي بالسراء والضراء كما في قوله تعالى : ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، فهو يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب والنقم قال تعالى ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦)** ﴾ [الفجر : ١٥-١٦] ، فالنعم قد تكون ابتلاء من الله ليظهر بها شكر الشاكرين وكفر الكافرين ؛ كما قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده ﴿ **قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم** ﴾ [النمل : ٤٠] ، وأنت أيها المسلم يجب عليك أن تتسلح بسلاح الشكر الذي وعد الله به الشاكرين بقوله : ﴿ **وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد (٧)** ﴾ [إبراهيم : ٧] ، لذلك قال ﷺ : « **إذا أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة** » ، رواه الطبراني .

وقال أحد السلف لرجل من المترفين: إني أرى عليك نعمة فقيدها بالشكر. فيا أخي الكريم وطن نفسك على الشكر حين الشكر ، وعلى الصبر حين المصيبة ، فإن الدنيا لا تخلوا من أمرين ، حلو ومر ، سعادة وشقاء.

لابد للمرء من ضيق ومن سعة ومن سرور يوافيه ومن حزن





الدعــــاء

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر : ١٥] ، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « **يا عبادي كلكم ضال إلاَّ من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلاَّ من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عارٍ إلاَّ من كسوته فاستكسوني أكسكم ،يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا اغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ،ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخر كم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخر كم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخر كم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مِمَّا عندي إلاَّ كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلاَّ نفسه** » .

توحيد الله في الدعاء:

أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والمحتاجون إلى رحمته قال تعالى :﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)** ﴾[الأعراف:٥٥-٥٦] فالله قريب سميع مجيب الدعاء « **ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأجيبه؟هل من مستغفرٍ فأغفر له** » .لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له .

الشمس والبدر من أنوار حكمته	والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده	والموج كبره والحوت ناجاه
والنحل تحت الصخور الصم قدسه	والنحل يهتف حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم	والعبد ينسي وربي ليس ينساه

يغضب إن ترك العبد سؤاله كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **من لم يسأل الله يغضب عليه** » .

فلا تسألنَّ بنيَّ آدم حاجة	وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله	وبنيَّ آدم حين يُسأل يغضب

الله عز وجل جواد كريم لا يرد يداً ترفع أكف الضراعة إليه كما ورد في الحديث الذي رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً** ». فالله عز وجل في كبريائه وعليائه يستحي أن يرد من التجاء إليه. وبعض الناس لا يستحي من الله حق الحياء فيدعو فقراء مثله لا يملكون له حياةً ولا نشوراً ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن**

كنتم صادقين ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] ، ﴿ **إنَّ الَّذين تدْعُون من دُون اللَّه لن يخْلُقُوا ذُبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلُبْهُم الذُّبابُ شيْئًا لاَّ يستنقذُوهُ منْهُ ضعُف الطَّالبُ والْمطْلُوب ﴿٧٣﴾** ﴾ [الحج : ٧٣] ، فالدعاء مخ العبادة وقيل هو العبادة كما جاء في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير ، وعليه فلا يجوز أن يدعو الإنسان غير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى : ﴿ **ولا تدْعُ من دُون اللَّه ما لا ينفعُك ولا يضُرُّك فإن فعلْت فإنَّك إذًا مّن الظَّالمين ﴿١٠٦﴾** ﴾ [يونس : ١٠٦] ، لذلك سمى الله عز وجل الذين يدعون غيره ضلالاً وشركاً فقال سبحانه : ﴿ **ومنْ أضلُّ ممَّن يدْعُو من دُون اللَّه من لاَّ يسْتجيبُ لهُ إلى يوْم الْقيامة وهُمْ عن دُعائهمْ غافلُون ﴿٥﴾** ﴾ [الأحقاف : ٥] ، ومدح الله تعالى عباده الذين يوحدونه بالدعاء والالتجاء عندما يقولون ربنا ، ربنا ، كما في قوله تعالى : ﴿ **والَّذين يقُولُون ربَّنا اصْرفْ عنَّا عذاب جهنَّم إنَّ عذابها كان غرامًا ﴿٦٥﴾** ﴾ [الفرقان : ٦٥] ، وفي سورة آل عمران ﴿ **ربَّنا إنَّنا سمعْنا مُناديًا يُنادي للإيمان أنْ آمنُوا بربّكُمْ فآمنَّا ربَّنا فاغْفرْ لنا ذُنُوبنا وكفّرْ عنَّا سيّئاتنا وتوفَّنا مع الأبْرار ﴿١٩٣﴾** ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

إذاً الإخلاص في الدعاء من أعظم شروط القبول عند الله كما قال تعالى : ﴿ **فادْعُوا اللَّه مُخْلصين لهُ الدّين ولوْ كره الْكافرُون ﴿١٤﴾** ﴾ [غافر : ١٤] .

وعن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** »

قال أبو السمح إمام وخطيب الحرم المكي في نونيته:

قولوا لمن يدعو سوى الرحمن ... متخشعاً في ذلة العُبدان
يا داعياً غير الإله ألا تئد ... إن الدعاء عبادة الرحمن
يا داعياً غير الإله تقرباً ... في زعمه للواحد الديان
أنسيتَ أنك عبده وفقيره ... ودعاؤه قد جاء في القرآن

مقامات الدعاء:

فالدعاء سلاح عظيم ، والسلاح بضاربه فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً والساعد قوياً والمانع مفقوداً حصل التأثير والنكاية في العدو ، والدعاء من أقوى الأسباب لحصول المطلوب ودفع المكروه .

وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات:

المقام الأول: أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه .

المقام الثاني: أن يكون الدعاء أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .

المقام الثالث: أن يتقاوم الدعاء مع البلاء فيمنع كل واحد منهما صاحبه ، والرسول ﷺ يبين هذه المقامات الثلاث بقوله : « **ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاَّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها** » . رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سُننه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **الدعاء ينفع ممَّا نزل وممَّا لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء** » . فالدعاء قد يمنع حصول القضاء كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه سلمان رضي الله عنه : « **لا يرد القضاء إلاَّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاَّ البر** » . رواه الترمذي وحسنه الألباني ـ رحمه الله ـ .

اسم الله :

فلله اسم عظيم قريب مجيب سميع الدعاء ناداه يعقوب عليه السلام ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٨٦] ، وناداه أيوب بعد مرض طويل ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾[الأنبياء :٨٣ ـ ٨٤] ، وناداه زكريا نداء خفياً ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴾[مريم : ٤]، ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) ﴾ [الأنبياء : ٨٩]،وناداه يونس ابن متى وهو في الظلمات،ظلمات البحر وظلمات الحوت بعضها فوق بعض ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] ، إذاً من الذي يفزع إليه المكروب؟ ،ويستغيث به المنكوب؟ أليس هو الله؟ ، ومن الذي يجيب المضطر إذا دعاه أليس هو الله ؟ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ [النمل:٦٢]، ومن الذي ينزل الغيث من السماء وينبت لكم به الزرع والزيتون أليس هو الله؟!، ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) ﴾[النمل: ٦٠]،﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) ﴾[النمل: ٦١] كلا ثم كلا. فيا من أثقلته الهموم والغموم والأحزان ويا من خسر ماله وتجارته ، ويا من فقد جزء من أطرافه فما عليك إلاَّ أن ترفع يديك إلى السماء وتقول يا الله ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ استقبل

محمد ﷺ القبلة عندما ضاقت به الأرض بما رحبت وقدَّم شكواه إلى الله فقال : « **اللهم إني أشكوا إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت ربي ورب المستضعفين ، إلى من تكلني إلى قريب يتجهمني أم إلى بعيد ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ،، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلاَّ بك** » ، في هذه المواقف العصيبة ، يجب أن تتعلم دعاء المكروب : « **لا إله إلاَّ الله العظيم الحليم ، لا إله إلاَّ الله رب العرش العظيم ، لا إله إلاَّ الله رب السماوات والأرض ، لا إله إلاَّ الله رب العرش الكريم** » .

عدم اليأس والقنوط:

فالمؤمن يجب أن يكون أمله في الله كبير ولا ييأس من رحمة الله : ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** (٨٧) ﴾ ولا يقل أحدنا دعوت ، دعوة فلم يستجاب لي ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ** (١١٠) ﴾ [يوسف : ١١٠] ، وفي الحديث عند الترمذي « **أفضل العبادة انتظار الفرج** » قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، فالمسلم إذا علم ذلك فعليه أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة** » . رواه الترمذي وحسنه الألباني ، والدعاء من قلب محترق متأوه من أعظم شروط القبول عند الله كما جاء عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه** » .

فينبغي على المسلم أن يحضر قلبه عند الدعاء لا أن يتركه في المنزل

والتجارة والعمل ، قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)** ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

دعـــوة المظلـــوم:

واحذروا عباد الله من دعوة المظْلوم فإنها لا تخطئ أبداً قال الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولَمّا بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له في آخر الحديث : « **واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب** » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** » رواه الترمذي وصححه الألباني . والظلم محرم ليس على المسلم فقط بل حتى على الكفار والفجار كما جاء في مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : « **دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه** » . لذلك نهى الله عز وجل عن مجالسة الظالمين خشية أن تصيبهم دعوة المظلومين، كما قال تعالى : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣)** ﴾ [هود : ١١٣]، وقد يعجل الله العقوبة للظالمين في الدنيا قبل الآخرة ، فهذا الإمام أحمد رحمه الله لَمّا أُهين وعُذّب من قبل ابن أبي دوآد رفع يديه إلى من ينصر المظلومين وقال : « اللهم إنه ظلمني وما لي من ناصر إلاّ إياك اللهم احبسه في جلده وعذبه » ، فما مات هذا حتى أصابه الفالج فيبس نصف جسمه وبقي النصف الآخر حي ، فكان يخور كما يخور الثور ويقول : أصابتني دعوة الإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد ، ما لي وللإمام أحمد ثم يقول : والله لو وقع ذباب على نصف جسدي لكأنما وقعت عليه جبال

الدنيا أمَّا النصف الآخر فلو قرض بالمقاريض ما أحسست به .

وقد روي أن سعيد بن زيد رضي الله عنه ، خاصمته أروى بنت أو يس وادعت عليه أنه أخذ من أرضها فقال :ما كنت للآخذ شيئاً من أرضها بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول :« **من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوَّقه الله إلى سبعين أرضين** » ثم دعا على تلك المرأة وهو يشعر بالظلم فقال :اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها ، فقيل أنها أصبحت عمياء تتلمس الجدار وكانت تقول أصابتني دعوة سعيد بن زيد ، وبينما هي تمشي يوماً في دارها مرت على بئر فوقعت فيها فماتت.

مجـــابوا الدعـــوة :

ولهذا يجب أن تعلموا أن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى : « **من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذ نه** »، ففي هذا الحديث بيان أن المحبوب لله له منزلة رفيعة عند الله يتولى الدفاع عنه ويستجيب دعاءه لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: « **كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك** » ، أخرجه الترمذي في سُننه.

فقد كان البراء بن مالك رضي الله عنه مُستجاب الدعوة ، وقد روي أن المسلمين لقوا زحفاً من المشركين وقد أوجعوا بهم فقالوا: يا براء إن رسول الله ﷺ قال:« **إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على ربك** » ، قال: أقسمت عليك يا رب لما

منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك . فمنحوا أكتافهم وقُتل البراء رضي الله عنه شهيداً ،
وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إذ دعاء دعوة أجيبت مثل فلق الصبح ، أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أناساً من الصحابة يسألون عن عدل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في الكوفة فأثنوا عليه خيراً إلاَّ رجلاً، قام فقال :أما وقد سألتموني عن سعد فإنه لا يعدل في القضية ولا يحكم بالسوية ولا يمشي مع الرعية، فقال سعد رضي الله عنه اللهم إن كان قام هذا رياءً وسمعة فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فطال عُمْر هذا الرجل حتى سقط حاجباه على عينيه ، وكان يتعرض للجواري ويغمزهن في شوارع الكوفة ويقول: شيخ مفتون أصابتني دعوة سعد .

وقد كان أويس بن عامر القرني رضي الله عنه من أهل اليمن مستجاب الدعوة لأنه براً بوالدته ، كما جاء عند مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بار ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**». فلمَّا أتى أويس القرني مع أهل اليمن بعد وفاة النبي ﷺ عرفه عمر رضي الله عنه وطلب منه أن يدعو له ، فولى أويس هارباً إلى جبل من جبال تهامة يعبد الله فيه ، ويعتزل الناس.

موانع الإجابة :

فالله عز وجل يجيب دعوة الداع إذا دعاه من قلب خالص مفعم بالإيمان كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** (١٨٦) ﴾ [البقرة ١٨٦] ، لكن بعض الناس قد جعلوا بينهم وبين الاستجابة حجاباً مستوراً بما كسبت أيديهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ، فكم من إنسان اليوم يرفع يديه إلى السماء

يا رب، يا رب ، ولا يستجاب له لماذا؟ ، لأنه لم يأتي البيوت من أبوابها ، ولأنه بعيد عن الله ، جهل أسباب الدعاء وما تنبه لموانع الإجابة والرضاء:

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة دعوة وقد سددنا طريقها بالذنوب

لهذا يقول بعض الصالحين: لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالمعاصي، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: « **والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** ».

فقد يرتكب الإنسان مانعاً من موانع الإجابة وهو لا يعلم كأن:

❁ **يستعجل الإجابة:** فيقول دعوت ، دعوت ، فلم يستجاب لي فيترك الدعاء والرسول ﷺ قد جعل الاستعجال مانعاً من موانع الإجابة عندما قال: « **لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يتعجل** ، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟، قال: « **يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء** ». رواه مسلم وهكذا بعض الناس عندما تتأخر الإجابة عليهم، يدعون على أنفسهم بالويل والهلاك ، لماذا؟. لأنهم مستعجلون قال تعالى: ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء: ١١] ، والله عز وجل يذم هذا الخُلق الذميم كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** (١١) ﴾ [يونس: ١١]، وقال: « **لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم** » رواه مسلم ، ولا شك أن الصبر واليقين من أفضل ما يعالج به الاستعجال .

كما قال سفيان بن عيينة : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ،

والاستجابة منزلة رفيعة لا يبلغها إلاّ الصابرون كما قال تعالى: ﴿ وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم (٣٥) ﴾ [فصلت : ٣٥] .

❁ **التوسع في الحرام أكلاً وشرباً ولبساً وتغذية:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال سبحانه :** ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم (٥١)** ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، وقال أيضاً: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون (١٧٢)** ﴾ [البقرة : ١٧٢]، ثم ذكر ﷺ : « **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب ،يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذيّ بالحرام فأنى يستجاب له** » .

هذا الرجل الذي ورد في الحديث قد عرض نفسه لأسباب الإجابة كلها :

السبب الأول : إطالة السفر الذي يرجى لصاحبه أن يكون من المقبولين عند الله .

والسبب الثاني التواضع والتبدل في اللباس والهيئة ، كما ورد في الحديث « **ربَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره** » .

أمّا السبب الثالث: فيمد يديه إلى السماء والله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً ، ثم يلح هذا الرجل على الله بتكرار الربوبية يا رب ،يا رب فكل هذه الأعمال مدعاة لأن يستجيب الله له ومع ذلك فأنى يستجاب له؟ استفهام على وجه التعجب والاستبعاد لماذا؟ لأن مطعمه حرام ومشربه حرام وغذيّ بالحرام لهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم والصالحون من بعدهم يحرصون أشد الحرص على أن يأكلون من الحلال ويبتعدوا عن الحرام ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكله، فقال الغلام: أتدري ما هذا؟ ، قال أبو بكر:

وما هو ، قال : كنت تكهّنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة، إلاَّ أني خدعته فأعطاني هذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده إلى فيه واستقاء كل شيء في بطنه ، وفي رواية قيل له يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ، فقال: والله لو لم تخرج إلاَّ مع نفسي لأخرجتها ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به** ». فكيف يقبل الله دعاء من يأكل الحرام، ويشرب الحرام ، ويلبس الحرام؟ ، وكيف يستجيب لمن يرشي ويتعامل بالربا، قال تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١)** ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

❁ **الدعاء في الشدة وتركه في الرخاء:** ففي هذه الحالة لا يستجيب الله هذا الدعاء لأنه دعاءً اضطراريا خالياً من الخوف والرجاء وفي الحديث الصحيح « **تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة** » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: « **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء** » متفق عليه وحريٌّ بالمسلم أن لا يتشبه بالكافرين والمشركين الذين كانوا يدعون الله في أوقات الشدائد فقط كما قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)** ﴾ [العنكبوت : ٦٥] ، فرعون عليه لعائن الله دعا الله حينما أدركه الغرق ، لكنه لم يستفد من هذا النداء كما ورد في قوله تعالى ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)** ﴾ [يونس : ٩٠ ـ ٩١] .

أوقات إجابة الدعاء:

واعلموا أن لله مواسم ونفحات يُصيب بها من يشاء من عباده كما ورد في

الحديث الذي رواه أنس أن النبي ﷺ قال: « **افعلوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده . وسلوا الله أن يستر عوراتكم ، وأن يؤمن روعاتكم** »، صححه الألباني ، فالسعيد من اغتنم مواسم الإجابات ، والشقي من حرم مواطن الخير والبركات

لذا يجب أن تعلموا أن أفضل الأوقات لإجابة الدعاء:

❁ **في الثلث الأخير من الليل:** حيث ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطينه هل من مستغفر فأغفر له ، هل من داعٍ فأستجيب له ، وقال : « **تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي منادٍ هل من داعٍ فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلاَّ استجاب الله تعالى له إلاَّ زانية تسعى بفرجها أو عشاراً** » الطبراني وصححه الألباني ، والعشار :هو الذي يأخذ أموال الناس بالباطل وبالقوة والجبروت كما يفعل المكّاس الذي يجمع الضرائب .إذاً يستجاب الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء أن يصادف الإنسان ساعة ألإجابة لما ثبت أن النبي ﷺ قال: « **إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلاَّ أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة** » والليل كله مظنة الإجابة ، لذلك أُمر الرسول ﷺ أن يقوم الليل كما ورد في سورة المزمل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦)** ﴾ [المزمل : ١- ٦] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **إن الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام**» ، لهذا فقد أثنى الله على المستغفرين بالأسحار حيث قال تعالى : ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)** ﴾ [الذاريات ١٧-١٨] ، وفي آية أخرى ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ**

الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ [السجدة : ١٦] ، فيا أيها العبَّاد بالأسحار إن سهام الليل لا تخطئ أبداً قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٩) ﴾ [الزمر : ٩] .

❁ **الدعاء في السجود:** لأنه أشرف مقامات العبودية لله رجاء أن يكون من المقربين عند الله فقد ثبت أن النبي ﷺ قال : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال : «**أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلاَّ الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له ، ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**» ، رواه مسلم ص٥٣ أي « **فحري أن يُستجاب لكم** » ، **كذلك من أفضل أوقات الدعاء:**

❁ **يوم الجمعة وبالأخص في ساعة من ساعاتها :** كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلاَّ أعطاه إياه** » .

❁ **بين الأذان والإقامة وعند النداء للصلوات المكتوبة وفي يوم عرفة للحاج وغيرها كثير.**

دعاء الرسول ﷺ :

الرسول ﷺ هو أكثر الأنبياء تأييداً بالمعجزات لذلك يعتبر الدعاء معجزة من معجزاته فقد كان لا يدعو بدعوة إلا جاءت مثل فلق الصبح من ذلك ما ورواه أنس ابن مالك رضي الله عنه قال :بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قام أعرابي فقال :

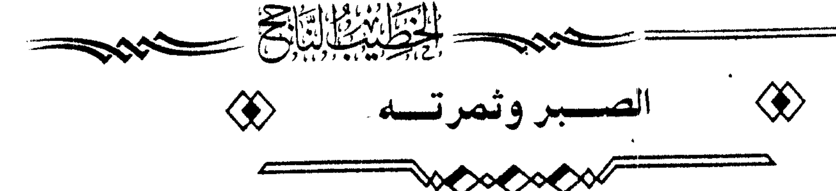
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال وانقطعت بنا السبل فادع الله لنا فرفع يديه إلى السماء ثم قال: « **اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا** » قال أنس رضي الله عنه: والله ما نرى في السماء قزعة أي قطعة غيم ولا سحاب فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل من منبره حتى رأيت المطر ينحدر من لحيته ﷺ فمطرنا ذلك اليوم حتى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله غرق المال وتهدم البناء وانقطعت بنا السُّبل فادع الله لنا فرفع يديه وقال: « **اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والأودية والضراب ومنابت الشجر** » ، قال أنس رضي الله عنه: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس ، فقد كان لدعائه عليه الصلاة والسلام الاستجابة الفورية .ولهذا دعا لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يذهب عنه الحر والبرد فكان لا يجد حراً ولا برداً. رواه البيهقي. ودعا لابن عباس رضي الله عنهما بالفقه في الدين فقال: «**اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل**» ، فصار ابن عباس رضي الله عنهما حبر هذه الأمة وفقيهها .ودعا لأنس ابن مالك رضي الله عنه بقوله: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته وأطل حياته واغفر له** » قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون نحو المائة ، وطالت بي الحياة حتّى استحيت من الناس وأرجو المغفرة ». وكان له بستان عظيم يحمل في السنة الفاكهة مرتين.

ودعاء ﷺ لأم أبي هريرة فأسلمت فوراً ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها مرة فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي وأخبرته بما صنعت ثم قلت:يا رسول الله أدعو الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أهدي أمَّ أبي هريرة**» فخرجت مستبشراً بدعوة النبي ﷺ فلمَّا وصلت إلى الباب سمعت خضخضة الماء وقد اغتسلت ولبست درعها. ثم فتحت الباب وقالت: مكانك يا أبا هريرة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال أبو هريرة فرجعت

إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح ثم قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمَّ أبي هريرة ،أدعو الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين وأن يحببهم إلينا فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهم** » ، فهل هناك من يكره أبا هريرة وأمه بعد أن سمع دعوة النبي ﷺ لهما .

أمَّا دعاؤه عليه الصلاة والسلام على بعض أعداءه فحدِّث ولا حرج ، كانت تصيبهم إصابة السيف المهند ، من ذلك أن المشركين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ ويهزؤون به ، فقال أبو جهل :من يأخذ سلى الجزور ويضعه بين كتفي محمد وهو ساجد يصلي فقال :عقبة ابن أبي معيط وكان أشقاهم قال : أنا أفعل ذلك ، فلمَّا قضى النبي ﷺ صلاته رفع يديه إلى السماء وقال : «**اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعتبة ابن ربيعة وشيبة ابن ربيعة وعقبة ابن أبي معيط وأمية ابن خلف ، اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام**» سماهم ﷺ بأسمائهم فلمَّا سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر . ومن دعائه يوم أن دعا على سراقة ابن مالك عندما لحقه يوم الهجرة يريد قتله وقتل صاحبه أبو بكر رضي الله عنه فدعاء عليه الصلاة والسلام ، فساخت أقدام فرسه في الأرض ثم زجر الفرس فساخت مرة أخرى عند ذلك ناداهم بالأمان رضي الله عنه .





الصبر وثمرته

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

يقول الله عز وجل ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] ، ففي هذه الآيات الكريمات يخبر الله عز وجل أنه يبتلي عباده المؤمنين ببعض الأذى والمخاطر في الدنيا ليختبر فيهم ميزان الصبر ثم بشرهم بأمر عظيم فقال سبحانه : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** ﴾ الصابرين من هم؟الذين يأخذون أجورهم بغير حساب الذين لهم في الآخرة عقبى الدار﴿ **أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ لذلك قال سفيان بن عيينة رحمه الله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين والذي لا يصبر فإنه من السهل أن يتنازل عن دينه ويتخلى عن منهجه قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ (٦٠)** ﴾[الروم : ٦٠] ، ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧] ، لهذا سئل الإمام الشافعي رحمه الله فقيل : يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكَّن أو يبتلى؟ ، فقال : لا يمكَّن حتى يبتلى فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين فصبروا حتى مكّنوا ، والحقيقة أن البلاء غالباً يكون دليل خير وليس دليل شر كما قال ﷺ : «**إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**» .

الصبر:

الإنسانُ في هذه الدنيا معرض للمصائب والمحن والابتلاءات وهو إنسان ضعيف مسكين لا حول له ولا قوة ولكن الله عز وجل أمره بسلاح عظيم أقوى من سلاح النار والحديد ألا وهو الصبر الذي هو منزلة الرأس من الجسد ، وما أعطي أحد عطاءً خير وأوسع من الصبر وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه الكريم في مواضع كثيرة وقرنه بالصلاة كما في قوله تعالى﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)** ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)** ﴾ [البقرة: ١٥٣]، فالصلاة من أكبر العون على الثبات عند الشدائد والمصائب فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه شيءٌ من الأمر فزع إلى الصلاة وروي أن ابن عباس ﷺ نُعي إليه أخوه وهو في سفر فاسترجع ثم أناخ راحلته فصلى ركعتين ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)** ﴾ والصبر منزلة رفيعة لا يبلغها إلاّ عباد الرحمن الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا (٧٥)** ﴾[الفرقان: ٧٥] ،وحقيقة الصبر هو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، والشكوى إلى الله تختلف عن التشكي، فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر فإن يعقوب عليه السلام قال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾ [يوسف: ٨٣] ثم شكى حاله إلى الله فقال: ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦)** ﴾ [يوسف: ٨٦] ، فقد بدأ أولاً بالصبر الجميل ثم قدم شكواه إلى الله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه ، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه . وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى :﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ** ﴾ [التحريم : ١١] ، أي لا تكون في الصبر عند الشدائد أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون . قال أبو العالية : اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملاء فقال لهم :ما تعلمون من آسيا بنت مزاحم؟، فأثنوا عليها خيراً ،فقال لهم : إنها تعبد رباً غيري ، قالوا : اقتلها فأوتد لها أوتاداً وشد وثاقها فصبرت وقالت :﴿ **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)** ﴾ [التحريم : ١١] .

قال سيد قطب رحمه الله : موقف امرأة فرعون مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره ، فقد كانت امرأة عظيمة عند أعظم ملوك الأرض يومئذ في أمتع مكان تجد فيه ما تشتهي لكنها استعلت بإيمانها على هذا كله، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاءً تستعيذ بالله منه، لهذا قيل بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)** ﴾ [السجدة : ٢٤] .

الصبر عند المصيبة :

الإنسان مطالب بالصبر عند حوادث الزمان وفجائع الأيام كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)** ﴾ : فصلت : ٣٥] .

قال أبو السعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل ،وقد روي أن امرأة أصيبت بفقد ولدها فجعلت تبكي وتصيح فقال لها النبي ﷺ : «**اصبري واحتسبي**» ، فقالت له : إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ، ولم تكن تعلم أنه رسول الله ﷺ ، فلما

أخبرت بذلك جاءت تعتذر للنبي ﷺ فقال لها: « **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** » ، لذلك وصف الله عز وجل الصابرين عند المصائب بأنهم من المتقين الصادقين ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة :١٧٧]، وقد بشرنا الرسول ﷺ بقوله: « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ، في نفسه وولده حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة** » ، وقال أيضاً: « **ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا غم ، ولا حزن ،حتى الشوكة يشاكها ،إلاَّ كفَّر الله بها من خطاياه** ». وقال ﷺ لامرأة من الصحابيات: « **أبشري فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه ،كما يذهب النار خبث الحديد والفضة** ». وبشر ﷺ الأمهات الثكالى اللاتي فقدن أولادهن بقوله: « **ما منكن من امرأة تُقدم ثلاثة من الولد إلاَّ كانوا لها حجاباً من النار** ، فقالت امرأة واثنين، قال **واثنين** ».

فهذه الأحاديث بشرى للمؤمنين ليعلموا أن ذلك من عند الله تعالى وأن سببه من عند أنفسهم كما قال تعالى :﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى: ٣٠]،﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)** ﴾ [الحديد :٢٢-٢٣] .

الاسترجاع عند المصيبة :

فاحذروا عباد الله من الغضب والتشكي عند المصائب ، بل الأولى لك ثم أولى لك أيها الإنسان أن تقول: إن لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها. لما روي من حديث أبي سلمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : « **لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاَّ فعل ذلك به** » ،

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إن لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلاَّ أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها** » ، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما توفي أبو سلمة قلت بما سمعت ، فأخلف الله لي برسول الله ﷺ.

رروى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سُننه عن أبي سنان قال: دفنت ابناً لي وبينما أنا في المقبرة أخذ بيدي أبو طلحة الخولاني وقال لي: ألا أبشرك؟ قلت: بلى قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال الله عز وجل « يا ملك الموت قبضت ولد عبدي؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال: نعم قال: فماذا قال عبدي؟ قال: حمدك واسترجع ، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد** ».

وكان ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: « **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات** ». وإذا أتاه الأمر يكره قال: « **الحمد لله على كل حال** ». صحيح الجامع ، ولذلك فقد بشر الله هؤلاء المسترجعين بالرحمة والصلاة عليهم من الله حيث قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)** ﴾ .

[البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

الرضا بأقدار الله وعدم التسخط منها:

اعلموا أيها الناس أن الرضا لا بد أن يسبقه الابتلاء لقول الرسول ﷺ: « **إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط** ».

والإنسان يجب أن يتسلح بسلاح الصبر والشكر والرضا قال تعالى آمراً نبيه ﷺ ﴿ **فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾[الأعراف : ١٤٤] ، ﴿ **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨)** ﴾ [النحل : ١٢٧ - ١٢٨] .

ويلزمك التسليم والإذعان لقضاء الله وقدره ولا تقل كما جاء في الحديث : « **لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان** » رواه مسلم. إن تذكر الماضي والتفاعل معه والحزن لمآسيه حمق وجنون ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ** ﴾ [البقرة : ١٤١] ، واستباق الأحداث لمعرفة المستقبل المجهول نوع من أنواع السحر والشعوذة والهبل ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)** ﴾ [النحل : ١] ، ومن لوازم « **رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً** » ، أن ترضى بما قسم الله لك إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر فالساخطون دائماً ناقمون غاضبون كيف لا وقد عرَّضوا أنفسهم لسخط الله ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)** ﴾ [محمد : ٩] ، والذي لا يرضى بأقدار الله ولا يسلِّم أمره إلى الله فليبتغي ﴿ **نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ** ﴾ [الأنعام : ٣٥] ، وإن شاء ﴿ **فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ** ﴾ [الحج : ١٥] ، ولكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، عندما توفي ولده إبراهيم عليه السلام قال : « **إن القلب ليحزن ، والعين لتدمع ، ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون** » .

الصابرون:

وعد الله الصابرين بالفوز والفلاح حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)** ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، قيل في نزول هذه الآية أنها نزلت في قوم كانوا يعمرون المساجد ويصلون الصلاة في وقتها فعليهم أنزلت ﴿ **اصْبِرُوا** ﴾ أمَّا المرابطة فهي الثبات والمداومة في مكان العبادة ، وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة ، يشهد لذلك ما

رواه مسلم في صحيحه والنسائي في سُننه قوله عليه الصلاة والسلام: « **ألا أخبركم بما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط** » . وأقسم الله تعالى بأنه سيجازي الصابرين على صبرهم وأكد ذلك باللام حيث قال:﴿ **وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٦]، وبين أنه يحبهم فقال : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٤٦] ،وأخبر أنه معهم ﴿ **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٢٦] ، لهذا أثنى الله عز وجل على بعض أنبياءه لأنهم من الصابرين حيث قال : ﴿ **وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)** ﴾ [الأنبياء: ٨٥] ، وأثنى على أيوب لأنه صبر على البلاء ثماني عشرة سنة كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص: ٤٤] ، ويكفي الصابرين فخراً وشرفاً أن ملائكة الرحمن تهنئهم بالخاتمة الحسنة كما ورد في الآية الكريمة ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)** ﴾ [الرعد : ٢٣-٢٤] .

فقد ثبت عند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **أول ثُلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تتقي بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول :أين عبادي الذين قاتلوا وأوذوا وجاهدوا في سبيلي أدخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب فتأتي الملائكة فيسجدون، ويقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك فمن هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل: هؤلاء عبادي الذين جاهدوا وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من كل باب وهم يقولون ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾ [الإنسان : ١٢] ، وثبت في الحديث

أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل عام فيقول لهم : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ ، وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، لذلك قال الأوزاعي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] ، قال : لا يُوزن لهم ولا يُكال إنما يُغرف لهم غرفاً .



المعجـــزات والكرامـــات

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . .

أما بعد :

إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولذلك أيدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الحديد : ٢٥] ، وأيدهم بالمعجزات التي تبهر العيون وتملك القلوب ليحي من حي عن بينة ويُهلك من هلك عن بينة ، فيزداد الذين آمنوا إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ** (١٢٥) ﴾ [التوبة : ١٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يونس : ١٠١]، ولتكون هذه المعجزات حجة على المعرضين والمكذبين لرسلهم كما قال تعالى : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** (١٣٧) ﴾ [آل عمران : ١٣٧] ، وقوله تعالى ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ .

[الحج : ٤٦] .

المعجـــزات:

والمعجزة هي : الأمر الخارق للعادة المقرونة بالتحدي والإعجاز والتي لا يقدر عليها أحد من المخلوقات ، وهي تسمى في حق الأنبياء معجزة، وفي حق الأولياء الصالحين كرامة رحما نية ، وفي حق السحرة والمشعوذين لمسة شيطانية ، والحقيقة أن المعجزات لا تكون إلاَّ للأنبياء فقط دون غيرهم من المخلوقات، لماذا؟، لتكون حجة لهم على قومهم كمعجزة النار لإبراهيم عليه السلام حيث صارت برداً وسلاماً كما قال تعالى: ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)** ﴾[الأنبياء : ٦٩]، أو معجزة العصا لموسى عليه السلام كما حكى القرآن عنها بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠)** ﴾ [طه : ١٧ ـ ٢٠] ، ومعزة العصا تتكرر مرة أخرى لموسى عند شاطئ البحر كما قال تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)** ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

وهذا نبي الله صالح عليه السلام أيده الله بمعجزة الناقة عندما سأله قومه أن يخرج لهم ناقة تكون دليلاً على صدق رسالته فأخرج الله عز وجل لهم ناقة عظيمة من صخرة صماء اختباراً وامتحاناً لهم فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧)** ﴾ [القمر: ٢٧] ،أمَّا نبينا عليه الصلاة والسلام فهو أكثر الأنبياء تأييداً بالمعجزات كما في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: « **ما من نبي من الأنبياء إلاَّ أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة** » ،وقد قيل أن معجزاته عليه الصلاة والسلام تبلغ ألفاً ، وقيل ثلاثة الآلف معجزة ، وجميع الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين قد انتهت بانتهاء أزمانهم

وأعصارهم أمَّا معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام فبعضها مستمر إلى قيام الساعة ، منها القرآن أعظم معجزة على الإطلاق الذي تحدى الله عز وجل به الجن والإنس على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، والذي ما يزال حتى الآن يكشف عن حقائق وغيبيات اعترف بها أعداء الإسلام وهم كارهون مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (٥٣) ﴾ [فصلت : ٥٣] .

الكرامات :

وعليه فإن كل ما يحصل لبعض المؤمنين الصادقين من التوفيق والإلهام إنما هو كرامات وليس بمعجزات ، وعليه يجب أن نعلم أن الكرامة الرحمانية هي نفحة من الله عز وجل لعباده المذكورين بقوله تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢) ﴾ [يونس : ٦٢]، والكرامات هي أقل درجة من المعجزة لأن المعجزة لا تكون إلاَّ للأنبياء فقط أمَّا الكرامات فيشترك فيها الأنبياء والصالحون ، وهناك قضية لا بد من التنبه إليها ، وهو أن الكرامات لا تنزل على القاعدين والمتخاذلين إنما تنزل في أحرج المواقف وأضيقها بعد أن تأخذ النفس أهبتها وتعد عدتها وتستنفذ كل طاقاتها وإمكانياتها فهناك تتجل إرادة الله لإنقاذ وعده وإتمام قدره . والكرامة لا تدل أن صاحبها خير من الآخرين بل قد تقل وتنقص من قدره ومنزلته عند الله لما يحصل لصاحبها من الإعجاب بالنفس والشهرة عند الناس ، لذلك كان كثير من الصالحين يستغفر الله عند ظهور الكرامة على يديه كما يستغفر الله من الذنب ، ولقد كثرت الكرامات في العصور المتأخرة عنها في عهد الصحابة ،وذلك لأن الكرامات لا تنزل إلاَّ لتثبيت الناس في إيمانهم ووصلهم بربهم ، وقد سئل الإمام أحمد ما بال الصحابة لم ينقل عنهم من الكرامات كما نقل عمَّن خلفهم؟ ، فقال : لقوة إيمانهم .

اللمسات الشيطانية :

أما اللمسات الشيطانية التي هي من صنع إبليس وجنوده فهي ليست بكرامات ، لأن الذي يقوم بها هم الشياطين أنفسهم، كما بين ذلك رب العالمين بقوله تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)** ﴾ [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٣] ، والشياطين لا تنزل على المؤمن الذي يخشى الله إنما تنزل على الرجل الفاجر الخبيث الذي تعلم السحر والكهانة كما روى ذلك البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال: «**إنهم ليسو بشيء**» ، فقيل: يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء فيكون ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه ، كما تقرقر الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة**» وهذه اللمسات الشيطانية لا تظهر إلاَّ على السحرة والكهان والمشعوذين ، وهم في الحقيقة ليسوا من عباد الله الصالحين ، بل هم من أخبث ما خلق الله ، لأنهم يستخدمون الجن والشياطين في إظهار باطلهم وكذبهم .

فهذا الأسود العنسي ادعى النبوة كان معه شيطان اسمه سحيق ومحيق كان يخبر بأشياء غائبة يظن أنها معجزات تشبه معجزات النبيﷺ وهي في الحقيقة لمسات شيطانية يفعله السحرة والكهان وبعضهم يدعي أنه يشفي المرضى وينزل الغيث ويدر الضرع ويعلم أسرار الكون ، وبعضهم يدعي أنه يذهب إلى مكة ويصلي هناك ثم يعود ويظنون أن ذلك كرامة من الكرامات، لهذا يقول أبو زيد البسطامي : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ، أو يمشي على الماء ، فلا تغتروا به حتى ترو كيف حاله عند الأوامر والنواهي .



نموذج مقدمة :

وهكذا بعد أن بينا المعجزات وكذلك الكرامات ، وقلنا أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة ، وأنها لا تكون إلاَّ في حق الأنبياء لتكون حجة على المعرضين والمكذبين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)** ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقوله تعالى في آية أخرى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)** ﴾ .

[يوسف : ١١٠] .

وذكرنا أيضاً أن الكرامة نفحة ربانية لا تنزل على القاعدين والمتخاذلين إنما تنزل في أحرج المواقف وأضيقها بعد أن تأخذ النفس أهبتها وتعد عدتها وتستنفد كل طاقاتها وإمكانياتها فهناك تتدخل إرادة الله لإنفاذ وعده وإتمام قدره لأن الله عز وجل قد وعد المؤمنين بذلك حيث قال : ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)** ﴾ [الأنفال : ٩-١٠]، وعليه يجب التفريق بين أولياء الرحمن المؤيدين من رب العالمين وبين أولياء الشيطان ، الذين تنزل عليهم الشياطين كما قال تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)** ﴾ .

[الشعراء : ٢٢١-٢٢٣] .

موقف الناس من الكرامات :

عندما نتحدث عن هذه المعجزات وهذه الكرامات ، لا نخاطب بها أولئك

المكذبين والمعرضين عن آيات الله الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا أو أولئك المرتابون المتشككون الذين يعبدون الله على حرف ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) ﴾ [الحج :١١] ، أو أولئك الجهلاء والبلهاء الذين لا ترقى عقولهم إلى فهم هذه الآيات ومغازيها،ولهذا فإننا لا نخاطبهم لأننا نعلم علما يقينا لا شك فيه أنهم لن يؤمنوا بها حتى يروا العذاب الأليم﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] ، إنما نخاطب أولئك المؤمنون الصادقون ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة :٣-٥] ،فنخاطب هؤلاء أما غيرهم فلا نخاطبهم لأنهم ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ [الروم :٧] ، والكرامات حاصلة لعباد الله الصالحين رغم تكذيب المكذبين وإعراض المعرضين.

بعض الكرامات للأمم السابقة :

لقد حصلت بعض الكرامات لأناس صالحين في الأمم السابقة فهذه مريم بنت عمران كان يدخل عليها زكريا فيجد عندها أنواع من الفواكه فيتعجب لذلك قال تعالى﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

قال مجاهد وعكرمة والسدي : وجد زكريا عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، فلما رأى زكريا هذه الكرامة طمع أن يكون له ولد فدعا ربه دعاء خفيا قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ

امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم : ٤ ـ ٧] ، فاستجاب الله دعوته ، وكان مجيء يحيى عليه السلام من أب شيخ كبير وأم عاقر لا تدل معجزة لزكريا عليه السلام ، ولعلكم أيضا سمعتم بقصة جريج العابد الذي كان عنده صومعة يتعبد الله بها فنادته أمه ذات مرة لبعض حاجتها فأبى وكان يقول صلاتي وأمي أيهما أجيب واستمر في صلاته فدعت عليه أمه وقالت: اللهم لا تُمته حتى يرى وجوه المومسات ، فابتلي ببغية من بغايا بني إسرائيل وأرادت أن تفتنه لكنها لم تستطع فذهبت إلى راعي غنم فحملت منه وادعت أن الذي في بطنها هو ابن جريج العابد فثار الناس عليه وهدموا صومعته وكادوا أن يقتلوه لكن الله أيده بكرامة عندما سأل ذلك الوليد فقال له :أنت ابن من؟، فقال :أنا ابن الراعي فعلم الناس أنه برئ وأعادوا بناء صومعته .

كرامات الصحابة والتابعين:

إن ما حصل من كرامات للصحابة والتابعين كثيرة جدا مثل ما حصل للصحابي الجليل خبيب بن عدي رضي الله عنه عندما أَسَرَتْهُ قريش قيل أنهم كانوا يدخلون عليه فيجدون عنده عنبا وما في مكة حبة عنبة ، وفي عهد عمر رضي الله عنه أصاب الناس قحط شديد واحتبس المطر فأخذ عمر بيد العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ثم قال :اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقنا وإنا الآن نتوسل إليك بعم رسولك فاسقنا ، وما هي إلا لحظات حتى نزل الغيث من السماء.

وروي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه نزل الحيرة من بلاد العراق فقالوا له : احذر السم من الأعاجم ليسقوك ، فقال : إتوني به فلما جاءوا به قال :بسم الله ثم شرب فلم يضره شيئاً ، وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشهورة لما أرسل جيشاً أمَّر عليهم رجلاً اسمه سارية وبينما عمر رضي الله عنه يخطب على المنبر جعل يصيح يا سارية

الجبل ، يا سارية الجبل ، فلمَّا قدم رسول الجيش سأله عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنه فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا وبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي يا سارية الجبل ثلاث مرات فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله .

وعن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن عمراً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صارع جنيًّا ثلاث مرات فصرعه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال له الجني: هل تقرأ آية الكرسي؟ ، قال: نعم قال: إنك لن تقرأها في بيت إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار - إي ضراط - لا يدخله حتى يصبح .رواه الطبراني. ومن الكرامات أيضاً ما حصل لأبي مسلم الخولاني عند الأسود العنسي الذي ادعى النبوة فقيل أنه كبله بالقيود وكان يقول له أتشهد أني رسول الله فيقول: لا أسمع ،ثم يقول له: أتشهد أن محمداً رسول الله ، فيقول: نعم ، عند ذلك أوقد له ناراً متأججة قيل أن الطير إذا مرت من أعلى هذه النار كانت تقع فيها من شدة لهيبها، ثم ألقاه فيها لكنه خرج منها سالماً وقد صارت عليه برداً وسلاماً ، فلما قدم المدينة ولقيه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فُعِلَ به كما فُعِلَ بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وروى الحاكم والطبراني: أنه لمّا مات ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا شهدت جنازته طيراً لم يرى على خلقته ودخلت نعشه فلمَّا دفن تليت هذه الآية ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨)** ﴾ [الفجر:٢٨] ، لا يدرى من تلاها ، وجاء في الصحيحين أن أبا عبيدة خرج في سرية من الصحابة فاشتد عليهم الجوع حتى أوشكوا على الهلاك فأخرج الله لهم حوتًا من البحر كبيرًا ضخمًا ، فجعلوا يأكلون منه شهرًا كاملاً ، ومن ضخامته كان يمر في داخله ثلاثة عشر رجلاً من الصحابة ، وقيل كان يجلس على عينه الواحدة ثلاث عشر رجلا من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

كرامات الصالحين في هذا الزمان:

إن في هذا الزمان رغم ما فيه من فساد ومغريات وعبادة للشيطان والهوى إلاّ أن هذه الكرامات قد تحصل لبعض المؤمنين الغرباء المتمسكين بدينهم في هذا الزمان ، ومن ذلك أن أحد التجار الصالحين خرج في تجارة له، فهجم عليه لص يريد قتله وأخذ ماله ، فقال له ذلك اللص:ماذا تريد وماذا تتمنى آخر شئ في حياتك وقبل مماتك؟فقال:أريد أن أصلي لله ركعتين، فتركه يصلي كما أراد ، وبينما هو في صلاته جعل يدعوا الله ويكرر من قوله تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾ [الروم : ٦٢] ، فإذا برجل يأتي شاهرا سيفه ويعترك مع ذلك اللص حتى قتله .

ولعلكم أيضًا سمعتم عن قصة تلك المرأة المغربية المشهورة التي أصيبت بمرض السرطان الخبيث ، وقد عجز الأطباء عن علاجها، وأقسموا لها أنها ستموت بعد ثلاث سنوات وأنها لن تعيش أكثر من ذلك ، عندها تابت إلى الله توبة صادقة وعزمت أن تذهب إلى بيت الله الحرام وهناك في مكة ، ارتمت في صحن الكعبة وأجهشت بالبكاء وأسلمت نفسها لله الواحد القهار ، تحدث عن نفسها وتقول:سافرت من باريس واشتريت مصحفا من هناك ، فلما وصلت إلى بيت الله الحرام ورأيت الكعبة المشرفة بكيت كثيرا لأنني ندمت على ما فاتني من فرائض وصلاة وصيام وخشوع وخضوع لله ، وقلت:يارب لقد استعصى مرضي هذا وعجز الأطباء عن علاجي وأغلقت في وجهي جميع الأبواب إلاّ بابك، ثم طفت حول البيت الحرام وكنت أسأل العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك أن يدلوني على كتب وأدعية سهلة حتى أستفيد منها ، فنصحوني كثيرا بتلاوة القرآن والشرب من ماء زمزم ، وبعدها اعتكفت هناك في بيت الله الحرام وكنت لا أكل من الطعام إلاّ القيل وأشرب من ماء زمزم كثيراً ، وفي اليوم الخامس حدث ما

لم يكن في الحسبان فقد أذهب الله عني ذلك المرض وفرحت كثيرا وحمدت الله على ذلك ، ولما رجعت إلى بلدي حار الأطباء في أمري وأعادوا الفحص لي مرة ثانية وثالثة ، فلم يجدوا شيئًا وصاروا يسألونني أي علاج استخدمته؟ ، فقلت لهم: إنه علاج الإيمان وشربي من ماء زمزم ، الله أكبر إنها الكرامات لهذه الأمة في حاضرها ومستقبلها.

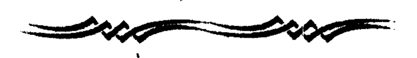
كرامات المجاهدين في هذا الزمان:

كذلك في أرض الجهاد وتحت أزيز الرصاص تحدث في هذا الزمان للمجاهدين في سبيل الله كرامات ، منها على سبيل المثال أن أجساد الشهداء لا تتغير ولا تتعفن، يقول أحد المجاهدين كما ورد في كتاب آيات الرحمن في جهاد الأفغان، يقول :لم أنظر شهيداً واحداً متغير الجسم أو منتن الرائحة ، ويقول أيضًا :لم أرى شهيد واحداً نهشته الكلاب رغم أن الكلاب تنهش أعداء الله ، وقيل أنه في إحدى المعارك أستشهد رجل فدفن في أرض المعركة ثم بعد ثلاثة أيام نقلت جثته إلى بيت والده ليدفنه هناك في قريته ، فخاطبه أبوه وقال يا بني :إن كنت شهيدا فأرني علامة ، فإذا بالشهيد يرفع يده ويسلم على أبيه وبقي مصافحًا له برهة من الزمن ، ثم نزعها ووضعها على جرحه الذي ينزف منه .

وقيل : أن أحد المجاهدين كان عاشقًا للجهاد في سبيل الله واسمه عمر يعقوب ، استشهد وهو يحتضن رشاشه ، يقول أحد الحاضرين معه :أردنا أن نأخذ الرشاش من يده فلم نستطع ، عندها وقفنا مذهولين ثم خاطبناه قائلين باسمه :يعقوب نحن إخوانك فإذا به يفلت الرشاش من يده .

وهذا مثال آخر : قيل أن الكفار أقاموا مخيمًا فهجمت عليهم العقارب والحيات ، بينما كانت الأفاعي والثعابين تبيت مع المجاهدين ولا تمسهم بسوء

ويقول أحد المجاهدين: لقد رأيت الطيور مرات كثيرة تسير تحت الطائرات وتحمي المجاهدين من قذائفها ، ويقول أيضًا :ولقد رأيت الطيور تسابق طائرات الميج التي سرعتها تقريبا ثلاث أضعاف سرعة الصوت. هذه بعض الآيات والكرامات **﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾** [المدثر : ٣١] .



الإســــلام

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

أيها المسلمون : إن نعمة الإسلام هي من أعظم النعم ، التي امتن الله عز وجل بها على عباده المؤمنين ، بأن جعلهم مسلمين ، ولذلك استحقوا بهذا الاسم العظيم ، أن يبلغوا منزلة عالية إلى يوم الدين ، كما قال تعالى : ﴿ **مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾ [الحج : ٧٨] ، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى لن يقبل من أحد ديناً غير الإسلام ، لا يهودية ، ولا نصرانية ، ولا مجوسية ، ولا غيرها من ملل الكفر والإلحاد ، قال تعالى :﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

ثبوت الصفة الإسلامية :

ولا تثبت صفة الإسلام إلاَّ لمن شهد ألاَّ إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ، ولم يأتي بما يناقض ذلك كله ، ولهذا قال ﷺ : « **من شهد ألا إله إلا الله ، واستقبل قبلتنا ، وصلى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ، له ما للمسلم ، وعليه ما على المسلم** » مجموع الفتاوى .

وروى البخاري أيضاً : قوله عليه الصلاة والسلام «**من صلى صلاتنا ،**

واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذاكم المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله» والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرمة مُصانة ، إلا بإذن من الله ورسوله ، لما ثبت أن النبي ﷺ قال : «**كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه** » ولما خطبهم في حجة الوداع ، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا**» ، وقال ﷺ : «**لا ترجعوا بعدي كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض** » متفق عليه ، وقال في حديث آخر : « **إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر ، فقد باء بها أحدهما** » رواه البخاري .

وعليه فلا يجوز تكفير المسلم بذنب أذنبه ، أو خطء أخطأ فيه ، إلا كما قال ﷺ : «**إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان** » ، ولهذا فالخوارج المارقون ، الذين سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على أموال المسلمين ، والذين أمر النبي ﷺ بقتالهم ، فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم ، ليس قتال ردة وكفر ، إنما قتال بغي وضلال وإفساد ، لدفع ظلمهم وبغيهم ، ولهذا لم يسبي نساءهم ، ولم يغنم أموالهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه مشهورة ، لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، أي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ كما جاء في الحديث المتفق عليه : «**إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم** » .

من بدل دينه فاقتلوه :

لا شك أن البقاء على الإسلام ، هو واجب ديني ، ومطلب شرعي ، كما قال تعالى :﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢] . ولن يقبل

الله عز وجل من أحد دينا غير الإسلام ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران : ٨٥] . ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « **من بدل دينه فاقتلوه** » وقال أيضاً : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله** » رواه البخاري ومسلم ، فدل هذا الحديث على أن تارك الصلاة يقتل ، ومانع الزكاة يقتل، ولذلك قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه : مانعي الزكاة،وكذلك يُقتل من سب الله أو سب رسوله ﷺ لأنه خرج من الإسلام، حسب أدلة الكتاب والسُّنَّة ،وأقوال الصحابة والتابعين ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢)** ﴾ [التوبة:١٢] .

قال ابن تيمية رحمه الله في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول: إنه سمّاهم أئمة الكفر ، لطعنهم في الدين ، فثبت أن كل طاعن في الدين ، فهو إمام في الكفر ، ولا فرق بين أن يكون معتقداً أو هازلاً ، إستنادا لقوله تعالى ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة:٦٥ ، ٦٦]،وقوله أيضاً: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ** ﴾ [التوبة:٧٤]، ولذلك ثبت أن من سب الله أو سب الرسول فقد كفر، وجزاءه في الإسلام أن يقتل ، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً أعمى، كان له زوجة تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، فلما كانت ذات ليلة ، جعلت تقع في النبي ﷺ ، فأخذ زوجها الأعمى المغول ، فوضعه في بطنها واتكأ عليه ، فقتلها ، فلما أصبح ، ذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: يارسول الله ، أنا صاحبها ، كانت تشتمك

وتقع فيك ، فأنهاها فلا تنتهي،ولي منها إبنان مثل اللؤلؤتين ،وكانت بي رفيقة ، فلما كانت البارحة ، جعلت تشتمك وتقع فيك ، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليه ، حتى قتلتها ، فقال النبي ﷺ : «**آلا اشهدوا أن دمها هدر**» رواه أبو داود في سننه ، ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال: «**كل من شتم النبي ﷺ ، أو انتقصه ، مسلماً كان أو كافراً ، فعليه القتل** » ، ويقول أيضاً: أرى أن يُقتل ولا يُستتاب ، وقال ابنه عبد الله : سألت أبي عمّن شتم النبي ﷺ يُستتاب ، فقال: قد وجب عليه القتل ولا يُستتاب ،لأن خالد بن الوليد رضي الله عنه قتل رجلاً شتم النبي ﷺ ولم يستتبه ،وعليه فإن من شتم الله أو الرسول ﷺ ،أو يستهزئ بشيء من الدين، فلا يعذر بالجهل،ولا بشيء من موانع التكفير سوى الإكراه المحقق ، إستنادا لقوله تعالى : ﴿**إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمَانِ**﴾ [النحل : ١٠٦].

مَـنْ المُسلـم ؟ :

والمسلم قد يكون في إسلامه غبش أو خلل،كأن يكون جاهلاً ببعض الأحكام الشرعية ، أو متّبعاً لبعض الأعمال الشيطانية ، أو مستغرقاً في حب الشهوات والملذات ، ففي هذه الحالة لا يخرج عن كونه مسلماً ، بل يبقى اسلامه ناقصاً ، أو مذبذباً ، كما قال ﷺ في حديث الجار : «**والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** ، قيل: من يا رسول الله ؟، **قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**» أي شروره ، فالرسول ﷺ في هذا الحديث نفى كمال الإيمان ، وليس الإيمان بذاته، إذن من المسلم عندكم وفي نظركم؟، الذي ليس في إسلامه غبش، هل هو ذاك الرجل الذي تربى في أحضان أعداء الله؟، ويلبس الكرفته، ويستهزئ بالقرآن والسُّنَّة ، أم ذاك الذي يوالي أعداء الله ويحبهم ويناصرهم؟ والله عز وجل

يقول: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ [المائدة: ٥١]، أو الذي يحاكيهم ويقتدي بهم من حيث مأكلهم ومشربهم وملبسهم؟ والرسول ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» أو المسلم في نظركم هو الذي يشاركهم في أفراحهم وأعيادهم، كعيد الكرسمس مثلاً، ويحتفل معهم، أو الذي يتسمّى بأسمائهم بدلاً من عبد الله وعبد الرحمن، أو المسلم في نظركم هو الذي يستغيث بغير الله، وينذر لغير الله، أو يذبح لغير الله، والله عز وجل يقول ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢]، أو المسلم الذي يتعلم السحر والكهانة، والرسول ﷺ يقول: «**من أتى كاهناً أو عرّافاً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**» أو المسلم في نظركم هو الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٤]، أو الذي يسب الله، ويتطاول عليه، أو المسلم عندكم هو الذي يظلم الناس ويتعدى على حقوقهم وأعراضهم، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود: ١١٣].

الأخوة الإسلامية:

أما المسلم عندنا: فهو الذي يوالي أولياء الرحمن، ويعادي أولياء الشيطان، فالمسلمون بعضهم أولياء بعض، كالجسد الواحد، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً**» وشبّك بين أصابعه.

ولا شك أن الإسلام جاء ليؤكد هذه الرابطة الإسلامية بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ**

أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] ، فهذا هو الميزان الذي يتعامل به الإسلام ، ومعلوم أن الإسلام يقدم رابطة الأخوة الإيمانية على رابطة الجنس أو النسب أو القبيلة، إستنادا إلى قوله تعالى :﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

ففي هذه الآية: إشارات إلى الروابط الجنسية والنسبية ، وإلى الدعوات الجاهلية ، سواء كانت عشائرية أو مناطقية ، ومما يؤكد أن الرابطة الإسلامية هي فوق الروابط جميعاً،أن القرآن تبرئ من أبي لهب الحسيب النسيب، عم الرسول ﷺ ، وأخبر أنه سيدخل جهنم مع الداخلين ، بينما اعتبر الرسول ﷺ سلمان الفارسي رضي الله عنه من آل البيت ، لأنه استجاب للحق والهدى ، فقال ﷺ «**سلمان منا أهل البيت**» ، وما أحسن القائل حين قال:

عليك بتقوى الله في كل حالٍ ❊ ولا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارسي ❊ وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ولله در من قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ❊ إذا افتخروا بقيس أو تميم

فالمسلمون إخوة في الدين والعقيدة ، وإن اختلفت أنسابهم ولغاتهم ، وتباعدت أوطانهم ، وتباينت أجناسهم ، فهم يؤمنون بالشعار الذي لا يتبدل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، وللمبدأ الذي لا يتغير ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات :١٣]،وعليه فلا يجوز أن يظلم المسلم أخوه المسلم، أو يعتدي على حقوقه ، إستنادا إلى قوله ﷺ : «**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا** ـ ويشير إلى صدره ـ **بحسب امرئ من**

الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» ويشير ﷺ إلى ذلك في خطبة الوداع ، عندما قال : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا** » ، ويقول في حديث آخر : «**المسلم أخو المسلم** » ليس أخو النصراني أو المجوسي أو . . . أو . . . .

نموذج مقدمة :

أما بعد أيها المسلمون: إن الإسلام ولله الحمد ينتشر بقوة وثبات ، ويجد طريقه إلى القلوب والعقول ، لأن الإسلام دين عالمي وليس دين العرب وحدهم ، وإن كان الرسول ﷺ عربياً أو من أمة عربية، فهو رسول أُرسل إلى العرب والعجم، ودعوته موجهة إلى الناس أجمعين ، قال تعالى ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وعليه يجب دعوة الكفار عامة ، وأهل الكتاب خاصة إلى الإسلام ، لأنهم في حاجة ماسة إلى رسالة تنقذهم من وحل الطين الذي يعيشون فيه، ولن يجدوا غير الإسلام ، ولكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب الدين ، أو التنازل عن شيء من شرائع الإسلام ، أو النزول عند رغباتهم وأهوائهم ، أو تحقيق أهدافهم ، ونقض عرى الإسلام ، فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون ، والله المستعان على ما يصنعون، قال تعالى : ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة : ٤٩] ، إذن سيبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله ، بعز عزيز ، أو بذُل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله، وذلا يُذِل الله به الكفر وأهله، ولكن هناك مشكلة في بعض المسلمين أنفسهم ،

فيهم الذين ينقلون صورة سيئة عن الإسلام ، ويقفون عقبة في طريقه إلى بلاد الغرب ، نتيجة لما يرون من الأخلاق السيئة عند بعض المسلمين ، المنتسبين للإسلام زوراً وباطلاً ، ولعلكم سمعتم عن قصة ذلك الرجل الكافر الذي أسلم نتيجة لقراءته في بعض الكتب الإسلامية ، فأعجب بالإسلام ، فأسلم ، ثم قام بعد ذلك بزيارة إلى بلاد المسلمين ، فرأى المسلمين يعيشون بخلاف ما كان يقرأ عن الإسلام في الكتب الإسلامية ، فقال قولته المشهورة: الحمد لله الذي أراني الإسلام قبل أن أرى المسلمين .

الهزيمة النفسية :

والحقيقة أن المسلمون اليوم ، يعيشون مرحلة انهزامية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها ، لأنهم ركنوا إلى الحياة الدنيا وشهواتها ، فعاشوا حياة الذل والهوان ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ** (٤٦) ﴾ [التوبة: ٤٦]،ولأنهم يعيشون حياة الشهوات والملذات ، والله عز وجل يقول : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** (١٢٤) **قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا** (١٢٥) **قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** (١٢٦) ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] .

وهناك صنف آخر من هؤلاء المذبذبين في دينهم ، وهم الذي يعجزون عن مواجهة المشكلات ، ويعملون لغير هدف ولا غاية ، وهناك اليائسين من إمكانية تغيير الوضع ، فتجد بعضهم يقول لك: أنت تؤذن في خرابة، والبعض الآخر يقولون: أنت تنفخ في قربة مخروقة،وهناك من يخفي هويته الإسلامية، فيستحي أن يقول: أنا مسلم، أو يقول: هذا حلال وهذا حرام ، بل بعضهم يحاول أن يحاكي أسياده الغربيين والكافرين ، من حيث مأكلهم ومشربهم

وملبسهم ، مما يدل ذلك على نفسيّة ضعيفة منهزمة ، لا تعتز بدينها ، ولا بشخصيتها ، وسأذكر لكم قصة ذلك الشاب الإنجليزي الذي أسلم ، وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع ، سمع عن وظيفة شاغرة في إحدى الشركات الإنجليزية ، فلما ذهب إلى هناك وجد أناس كثير من غير المسلمين يتسابقون على تلك الوظيفة ، لكنه واصل رغبته ، وتقدم للمقابلة الشخصية ، وذكر لهم بأنه قد غير دينه فأسلم ، وغيّر اسمه فكان اسمه « رود وأصبح الآن عمر » وطلب منهم أن يعطوه وقتاً لأداء الصلاة أثناء سير العمل ، فما كان من هذه الشركة إلا أن وافقوا عليه ، وقالوا له : نحن نريد في هذه الوظيفة ، رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات، وأنت عندك القدرة على ذلك ، لأنك غيّرت دينك ، وغيّرت اسمك ، وهكذا أصبح الذين يسلمون حديثاً أكثر تمسكاً بهذا الدين وأحكامه ، لأنهم أخذوا الإسلام بعيداً عن الضغوط الخارجية أو الداخلية ، التي توجد عندنا ، وفي المقابل نجد كثيراً من المسلمين اليوم ، أحفاد أبو بكر وعمر وعمار ﷺ ، يبحثون عن طرق أخرى، يهادنون بها أعداء الله، ويقبلون بأنصاف الحلول ، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

عــزة المسلمين :

وهذه الهزيمة النفسية التي يعيشها المسلمون اليوم ، هي ليست في الإسلام ، إنما هي في المسلمين أنفسهم ، هم الذين ضعفوا واستكانوا ، أما الإسلام : فهو دين القوة والعزة والاستعلاء ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾ [آل عمران : ١٣٩]، فهذا ربعي بن عامر رضي الله عنه ، يقف مع قائد الفرس « رستم » موقف العزة والإباء ، عندما سأله ما الذي جاء بكم إلى

بلادنا؟ ، فقال له : ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله ، فقال رستم : وما موعود الله ؟، قال : الجنة لمن مات ، والظفر لمن بقيت له الحياة ، قال : وهل لكم أن تؤخروا عنا هذا الأمر حتى ننظر في أمرنا ؟ . فقال ربعي بن عامر : ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء أكثر من ثلاث . أي ثلاثة أيام ، فانظر في أمرك ، و هذا عقبة بن نافع : يقف على شاطئ البحر ، يخاطبه بعزة المسلم الواثق بالله ، فيقول : والله لو أعلم أن وراء هذا البحر رجلاً لا يقول لا إله إلا الله ، لخضت هذا البحر بفرسي هذا ، وأبلغته لا إله إلا الله .

الإســلام المطلــوب :

فآه ، آه ، على هذه الأمة ، ما أحوجها إلى قلوب تحترق من أجل الإسلام ، فنحن اليوم بحاجة ماسة إلى من يملك عاطفة حية ، ويحس بآلام إخوانه المسلمين، فقد كان الشيخ محمد رشيد رضا ، يتألم كثيراً لواقع المسلمين ، ويظهر ذلك على قسمات وجهه ، إذا حلت بهم مصيبة أو قارعة ، حتى إن والدته كانت تعرف عنه ذلك الخلق الجميل،فكانت إذا رأته حزيناً أو كئيباً تقول له :يا ولدي ، هل مات اليوم مسلم في الصين؟، لقد أدركت هذه الأم الحنونة ، أن أفراح ابنها وأحزانه ، متّصلة بأحوال الإسلام والمسلمين ، ولذلك فإن هذا الرجل العظيم ، كان لا يعيش لنفسه ودنياه ، إنما يعيش لأمته وأخراه ، فنحن اليوم محتاجون إلى مسلمين صادقين ، يقولون الحق ولو على أنفسهم ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، نحن اليوم نريد من المسلم أن يكون حراً ، يستطيع أن يقول : لا بملء فيه ، دون خوف من سياط الجلادين وسجون المستبدين ، نريد إسلاماً يستطيع فيه الشعب

المسلم ، أن يلتقي مع حاكمه في المسجد كل يوم ، أو كل جمعة على الأقل ، وأن يقول له ما قيل لابن الخطاب رضي الله عنه : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً ، لقومناه بسيوفنا ، نريد إسلامًا يستنفر الأمة لمواجهة العدوان على بلاد المسلمين ، الذي اغتصب الأرض وشرّد الأطفال والنساء ، وانتهك الأعراض والمقدسات ، نريد إسلاماً يعيد العزة والكرامة لهذه الأمة ، كما كانت في عهد النبوة ، وعهد الخلافة الراشدة ، نريد إسلاماً يزيل الظلم والعدوان على أموال الناس وأعراضهم ، نريد إسلاماً يجعل الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣] .

الصناعات الإسلامية :

نريد إسلاماً يفجّر طاقات الأمة المخزونة للإبداع والإتقان ، حتى لا يكون المسلمون عالة على الآخرين ،فيمدون أيديهم إلى غير المسلمين ، في شراء قوتهم الضروري ، وعندها لا يستطيعون صنع السلاح، الذي يدافعون به عن أنفسهم ، فيا للأسف الشديد ، أمة في قرآنها سورة الحديد ، لكنها لم تتعلم صناعة الحديد ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ﴾ [الحديد : ٢٥] ، فيه بأس شديد : إشارة إلى الصناعات الحربية ، ومنافع للناس : إشارة إلى الصناعات المدنية ، ولكن مع الأسف ، نحن المسلمون ، لم نعمل بهذه الآية الكريمة ، ولم نحسن تلك الصناعات ، التي تعود علينا وعلى أمتنا بالخير الكثير .

سنة المدافعة :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى ، قدر وقضى ، بعلمه الشامل وحكمته البالغة ، أن يكون الصراع بين الحق والباطل ، بين الإسلام والكفر ، موجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وسمة هذا الصراع ، أنه حرب ضروس ، لن يخمد لهيبها إلى قيام الساعة ، استناداً إلى قوله تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ [البقرة : ٢١٧] ، ولهذا جاء الأمر واضحاً من الله عز وجل لأوليائه ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾ [البقرة : ١٩٣]، ونتيجة لذلك فإن الله سبحانه وتعالى ، كتب وقضى ، بأن البقاء للحق وأهله ، لأن ذلك: هو الأصل الذي قامت عليه السموات والأرض ، وأما الباطل فيذهب جفاءً ، فهو زاهق وباطل ، كما قال تعالى :﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** (٨١) ﴾ [الإسراء :٨١] ، ولكن مع ذلك يجب أن تعلموا أن الصراع الآن بين الحق والباطل ، قد بلغ أشده وذروته ، وهذا الصراع الذي نعيشه الآن في هذه الآونة الأخيرة ، قد رجحت فيه قوة الكفر والكافرين، لحكمة يعلمها الله عز وجل، فاستباحوا بذلك ديار المسلمين ودمائهم وأعراضهم ومقدساتهم .

وفي ظل هذه الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين اليوم ، صار كثير من المسلمين ، وكثير من الدعاة إلى الله عز وجل ، يتساءلون مع بعضهم أو مع أنفسهم ، أما آن لهذه الذلة والمهانة أن تنقشع عن هذه الأمة ؟ أما آن لهذا الليل الطويل أن ينجلي ، وبشكل عام ظهر سؤال أكبر من ذلك بكثير ، متى نصر الله؟ هذا السؤال الكبير ، الذي سأله النبي ﷺ والذين آمنوا معه ، بعدما أصابهم البأساء والضراء وزلزلوا ، فقالوا :متى نصر الله ؟ ، فردَّ الله عليهم بقوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

ولكن مع ذلك ، ومع هذه النتيجة الحتمية ، فقد استمرت الحرب ضد الإسلام والمسلمين ، بعد مرحلة النصر والتمكين ، فالمسلمون اليوم ما يزالون يتعرضون لمثل هذه المؤآمرات ، والإسلام اليوم قد أصبح عند الكثيرين جريمة لا تُغتفر ، ومن ينتسب إليه مجرماً أو إرهابياً ، ولهذا يكيدون للإسلام ليل نهار ، ويعملون على تشويه صورة الإسلام في كل مكان ، فيقول أحد المبشرين واسمه كولي في كتابه : « البحث عن الدين الحق » ، يقول : « لقد برز في الشرق الأوسط ، عدو جديد ، اسمه الإسلام ، الذي أُسس على القوة وأشد أنواع التعصب ، وقال أيضاً : لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ، ثم وعد الذين يهلكون باللذة ، ويقصد بذلك الجنة ، قبحه الله ، ويقول اديسون عليه لعائن الله : محمد لم يستطع أن يفهم النصرانية ، ولذلك بنى عليها دينه الجديد الذي جاء به للعرب » وغيرها من الأوصاف الخبيثة التي يصفون بها الإسلام والمسلمين ، وما تخفي صدورهم أكبر .

وحـدة الأديـان !! :

وكذلك فقد تعرض الإسلام والمسلمون إلى مؤآمرآت كثيرة وخبيثة ، كان آخرها : الدعوة إلى وحدة الأديان، دين الإسلام ، ودين اليهود ، ودين النصارى ، وكذلك الدعوة إلى بناء مسجد ومعبد وكنيسة في مجمع واحد ، في رحاب الجامعات ، والمطارات ، والحدائق العامة ، والدعوة أيضاً : إلى طباعة المصحف

الشريف مع التوراة والإنجيل المحرفين في غلاف واحد،والحقيقة أن هذه دعوة مادية خطيرة على الإسلام وأهله ، الغرض منها تشويه صورة الإسلام ، وهدم أساسه من القواعد ، وجر أهله إلى ردة شاملة ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾ [النساء : ٨٩] .

وبهذا فإن الإسلام جاء ناسخاً لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع ، وكذلك القرآن جاء ناسخاً لكل ما أنزل من قبله من التوراة والإنجيل والزبور ، ولهذا فقد ثبت أن النبي ﷺ غضب غضبًا شديدًا ، لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . عنده صحيفة فيها شيء من التوراة ، فقال : « **أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟! ، ألم آت بها بيضاء نقية ، أما لو كان أخي موسى حيًا ما وسعه إلا إتباعي** » .

واستنادا إلى هذه النصوص ، فنقول لؤلئك الذين ينادون إلى وحدة الأديان ، بأنه لا يجوز أصلاً بناء الكنائس والمعابد ، ولا يجوز طباعة التوراة والإنجيل منفردين ، فكيف يمكن دمجهما مع المساجد والقرآن ، وبناءً على ذلك لا يجوز تسمية الكنائس بيوت الله ، إنما هي بيوت عبادة الكفار ، قال تعالى ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)** ﴾ [الكافرون : ١-٦] ، فقد طلب كفار قريش من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم وأوثانهم سنة ، وهم يعبدون الله سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، آمراً رسوله ﷺ أن يتبرأ منهم ومن آلهتهم .

نصـــر المسلمين :

ولكن مهما حدث ويحدث للمسلمين اليوم من مصائب ومحن وابتلاءات ،

فلن يتغير يقيننا لحظة واحدة ، بأن النصر للإسلام وأهله ، وأن كيد الكافرين والمنافقين هابط خاسر ، وأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر: ٥١] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥] ، وقال عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣] .

وقد بشر الرسول ﷺ بنصر هذا الدين،عندما قال: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منه**» ، رواه مسلم ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخل هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله ، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله** »، وقال ﷺ : «**تكون فيكم النبوة ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت** »، ولهذا فإننا نؤمن بأن الخلافة قادمة لا محالة ، ونؤمن أيضاً بأننا سنخوض معركة فاصلة مع الغرب الكافر ، اسمها يوم الملحمة، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة في أرض بالغوطة ، في مدينة يقال لها دمشق** » صحيح الجامع .

نموذج مقدمة :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى قد اختار لكم الإسلام دينا ، وفضله على جميع الأديان المختلفة ، والنحل المتعددة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران:١٩] ،وهو الدين الميسّر ، الذي لا حرج فيه ولا مشقة ، كما قال عز وجل : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج:٧٨] ، وقوله أيضا : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة:١٨٥] ، والعالم الإنساني مفتقر بأجمعه إلى أن يأوي إلى ظله الظليل، لأن فيه حل لجميع مشاكل الحياة ومآسيها ، ففي مقام العبودية: جعل العبادة لله وحده لا شريك له ، وحرم عبودية غيره من الأتباع والأشباه والأضداد ، وجعل ذلك كفر بالله ورده عن الإسلام ، قال تعالى ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة:٧٢] ، وقال ﷺ : «**من مات وهو يشرك مع الله ندا دخل النار**» ، وحث الإسلام أيضاً على التعاون والتكافل والاجتماع ، ونهى عن الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران:١٠٣] ،وقد حفظ الإسلام حقوق الناس، وأمن حياتهم من الظلم والعدوان، فأوجب القصاص على من قتل مسلماً متعمداً ، كما قال عز وجل ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)** ﴾ [البقرة:١٧٩] ، وحفظ أموال الغير من السرقة والاختلاس ، فأوجب قطع يد السارق بنص الآية الكريمة : ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)** ﴾ [المائدة: ٣٨] .

واحترم الإسلام أيضاً: الأحساب والأنساب ، وحفظ الفروج ، فأوجب رجم الزاني المحصن حتى الموت ، وجلد غير المحصن مائة جلدة ، مع تغريبه سنة عن

أهله ووطنه ، قال تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النور : ٢] ، وكذلك احترم الإسلام العقول ، فحرّم الخمر ، وكل مسكر يصرفها عن وعيها ، وسماها أم الخبائث، فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة : ٩٠]، وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أسكر قليله فكثيره حرام » .

محاسن الإسلام :

إذن: الإسلام كله خير ، وليس فيه شر، وقد شهد بذلك أعداءه المنصفين من اليهود والنصارى وغيرهم، فيقول أحدهم :لقد حان الوقت أن أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة أنارود : يا ليت بلادنا بلاد الإنجليز ، كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف ، وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

ولهذا يجب أن نعلم أن في الإسلام محاسن كثيرة وعظيمة ، وصفات حميدة ، منها على سبيل المثال:

[١] إنه دين السماحة والرفق والعفو عند المقدرة :

فهذه مزية عظيمة من مزايا الإسلام ، فالإسلام عندما رفع السيف في الجهاد والغزو ، لم يرفعه لكي يرغم الناس على الدخول في الإسلام رغم أنوفهم ، وإنما حمل السلاح للدفاع عن المسلمين ومقدساتهم وأعراضهم ، ولنشر الإسلام بالطرق السلمية ، يعبر عن هذه الحقيقة ، ربعي بن عامر عندما قال لرستم: من قبل منا ذلك قبلنا منه ، ورجعنا عن بلاده ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى

موعود الله ، ولهذا فإن المسلمون مثلاً : عندما دخلوا مصر فاتحين ، لم يرغموا أهلها على الدخول في الإسلام، وإنما المصريون أنفسهم ، هم الذين كانوا يرحِّبون بدخول الجيش الإسلامي ، لكي ينقذوهم من ظلم الرومان، والنصارى الذين ذبحوا منهم المئات بل الآلاف، ونتيجة لهذا التسامح والرفق ، الذي لمسوه من المسلمين ، فقد كثر الداخلين في الإسلام ،حتى جاء الوقت الذي لم يجد فيه المسلمون أحداً يفرضون عليه الجزية، وعندها إجتهد بعض ولاة بني أمية، وأصبحوا يفرضون الجزية حتى على من أسلم حديثاً ، فلما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، أسقط الجزية على من أسلم ، فكتب إليه أحد ولاته في مصر : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يدخلون في الإسلام بكثرة ، وهذا يؤثر على بيت المال ، فبعث إليه عمر بن عبد العزيز رسالة يقول فيها : قبح الله رأيك ، إن الله بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه جابياً ، وهكذا ضرب المسلمون أروع الأمثلة في التسامح والرفق واللين ، حتى مع الأعداء والمذنبين في حقهم ، فهذا الرسول ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً ، وجعل يحطم الأصنام بعضها فوق بعض وهو يقول ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء : ٨١] ، اتجه إلى كفار قريش الذين آذوه وعذبوه ، فقال لهم : ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

ومن التسامح أيضاً، أن أحد الصالحين كان عنده جارية فأمرها أن تسقيه ماءً ، فلما أحضرت الماء ، انفلت الكأس من يدها فوقع على سيدها ، فغضب عليها غضباً شديداً ، فقالت له : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ قال : كظمت غيضي ، فقالت ﴿ **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾ قال: عفوت عنك ، قالت : ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ قال: أطلقتك لوجه الله .

[٢] إنه دين الأخوة والمحبة والألفة :

دين آخى بين صهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وبلال الحبشي ، لهو دين يستحق كل توقير وإكبار ،ولهذا يقول الله عز وجل واصفاً محبة المؤمنين لبعضهم البعض ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩] ، حتى وصلوا إلى درجة عالية في الحب والتضحية والإيثار ، كما قال تعالى : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ⑨ ﴾ [الحشر: ٩] ، ونتيجة لذلك فقد رأينا أن أحدهم من الأنصار ، يعرض على أخيه عبد الرحمن بن عوف أن يشاطره نصف ماله ، ويزوجه إحدى زوجاته ، بعد أن يطلقها ، لكن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول له : بارك الله لك في مالك وأهلك ، ولكن دلني على السوق ، فإني ماهر في التجارة ، إذن الإسلام جعل المحبة والأخوة الإيمانية ، تجمع بين الغرباء والمختلفين في الديار والأوطان ، باسم الإسلام والإيمان ، وتفرق بين الأخوة الأشقاء ، إذا كان أحدهم مسلماً والآخر كافراً ، كما قال تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٢٢] ، ومعلوم أن الإسلام يقدم رابطة الأخوة الإيمانية ، على كل الروابط الجنسية والنسبية والقبلية ، إستنادا لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ㉔ ﴾ [التوبة: ٢٤] ، ففي هذه الآية إشارة إلى الروابط الجنسية والنسبية والعشائرية ، وغيرها من الدعوات الجاهلية ، لأن الميزان الذي يتعامل به الإسلام ، هو ميزان التقوى فحسب ، حيث يقول الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**

إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

[٣] إنه دين الوفاء والصدق والأمانة :

لأنه في حد ذاته أمانة ، عرضت على السماوات والأرض ، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** (٧٢) ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، والإسلام أيضاً : حرّم الخيانة والغدر ، ونقض العهود والمواثيق ، فقال عز وجل : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** (٩١) ﴾ [النحل: ٩١] ، وقال عليه الصلاة والسلام كما جاء عند الترمذي وغيره : «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك**» ، فالخيانة من أعظم صفات المنافقين ، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتمن خان**» وقد أمر الإسلام بإيفاء العهود والمواثيق ، حتى مع الأعداء والكفرة المعاهدين ، كما قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** (٤) ﴾ [التوبة: ٤] ، وقوله أيضاً : ﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾ [النساء: ٩٠] .

وفي عهد الرسول ﷺ عاهد قريشاً في صلح الحديبية ، على إرجاع كل من هاجر إليه من قريش ، فجاء إليه أبو جندل بن سهيل ، يريد الهجرة إلى المدينة ، لكن الرسول ﷺ التزم العهد والميثاق ، ورده ولم يقبل هجرته ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** ﴾[النحل: ٩١] ،وقوله أيضاً : ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٢] .

[٤] إنه دين العدل والمساواة :

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، والعدل مبدأ من مبادئه التي قام عليها ، لماذا ؟ ، لأن الله يحب العدل ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [النحل : ٩٠] ، ويكره الظلم والجور، كما جاء في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً ، فلاَ تظالموا** » والإسلام كله عدل وإحسان ، فقد عدل بين الوالد وولده ، والزوجة وزوجها ، وبين الناس جميعاً ، وأمر بالعدل حتى مع الأعداء المحاربين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾ [المائدة :٨]، وقال ﷺ : « **إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »، وكذلك أمر الله بالعدل حتى مع النفس التي هي أغلى ما يملكه الإنسان ، حيث يقول الله عز وجل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ** ﴾ [النساء : ١٣٥] .

والحقيقة أنه لا يوجد دين ، ولا منهج ، ولا قانون ، أُقِرَّ فيه مبادئ العدالة كما رأينا في الإسلام، فهذا رجل يقول للنبي ﷺ : اعدل يا محمد ، فيقول له : « **ويلك ومن يعدل إن لم أعدل** »،وأنتم تعرفون قصة المرأة المخزومية التي سرقت ، وجاء أهلها إلى أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، حبَّ رسول الله ﷺ وابن حبِّه ، يريدون منه أن يشفع لها ، فقال له النبي ﷺ : « **أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** » ، وإذا ذكر العدل في الإسلام ، يذكر حتماً عدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي لُقِّبَ بالفاروق ، لأن الله فرق به بين الحق والباطل ، والذي سجل التاريخ اسمه في سيرة العادلين .

وهذا موقف من عدله رضي الله عنه في عهده، فقد رُوي أن عمرو بن العاص رضي الله عنه

كان والياً على مصر في عهد عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد حدث أن تخاصم ابن الوالي ، وقبطي من أقباط مصر ، فضرب ابن عمرو ابن العاص ذلك القبطي في خده - أي لطمه - فشكاه إلى أبيه الوالي عمرو ابن العاص ، لكنه لم ينصفه ولم يأخذ بحقه ، فقرر ذلك القبطي أن يرفع مظلمته إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذي لا يُظلم عنده أحداً، فشد الرحال، إلى مدينة الحبيب محمد ﷺ حيث هناك عمر ، وما أدراك ما عمر ، الذي كان يقول ﷺ : والله لو أن بغلة تعثرت بالعراق ، لخشيت أن يسألني الله عنها ، لِمَ لمْ تسوي لها الطريق يا عمر ، فلما وصل ذلك القبطي إلى المدينة المنورة ، ورفع مظلمته إلى عمر ، أرسل من فوره رسالة إلى واليه في مصر ، وقال له : أما بعد ، إن وصلك كتابي هذا ليلاً ، فأتني نهاراً ، وإن وصلك نهاراً ، فأتني ليلاً ، وأصحب معك ابنك ، وما إن وصلت هذه الرسالة ، حتى أعدّ عدته ، وجهز راحلته ، واستعد لسفر طويل شاق ، إلى مدينة الحبيب محمد ﷺ ، فلما وصل ورأى عمراً ﷺ ، ارتعدت فرائصه ، واهتزت جوانحه ، فأمسكه عمر من تلابيبه وقال له : يا عمرو بن العاص ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ .

الله أكبر : أي دين هذا ؟، وأي عدالة هذه؟، وأي قوم هؤلاء؟، يمتثلون للحق والعدالة ولو على أنفسهم أو الأقربين،ثم بعد ذلك اقتص لهذا الرجل من خصمه، فما كان من هذا القبطي إلا أن أعلن إسلامه، فقال :أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

[٥] إنه دين القوة والعزة والمنعة :

ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، وقال رسول الله ﷺ : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** » ، والحقيقة أن هذه الهزيمة النفسية التي يعيشها المسلمون

اليوم ، هي ليست في الإسلام ، إنما هي في المسلمين أنفسهم ، فهم الذين ضعفوا واستكانوا ، أما الإسلام : فهو دين القوة والعزة والاستعلاء ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٩]، وقال ﷺ : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وأهله ، وذلاً يذل الله به الكفر وأهله** » .

وقد كان المسلمون الأوائل معتزون بدينهم ، وهم أهل السيادة والقيادة ، وهم الذين وصلوا إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الأندلس غرباً ، يقف عقبة بن نافع على شاطئ البحر يخاطبه ويقول : والله لو أعلم أن وراء هذا البحر ، رجلاً لا يقول لا إله إلا الله ، لخضت هذا البحر بفرسي ، وأبلغته لا إله إلا الله ، وهذا ربعي ابن عامر : له موقف عظيم مع « رستم قائد الفرس » ، عندما سأله ما الذي جاء بكم إلى بلادنا ؟ ، فقال له : ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فمن قبل منا ذلك قبلنا منه ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله ، قال : رستم وما موعود الله ؟ ، قال : الجنة لمن مات ، والظفر لمن بقيت له الحياة ، قال : وهل لكم أن تؤخروا عنا هذا الأمر حتى ننظر في أمرنا ؟ ، فقال : ربعي بن عامر : ما سن رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء ، أكثر من ثلاث ، أي ثلاثة أيام ، فانظر في أمرك .

ومما يروى أيضاً في هذا الباب: أن ملكاً من ملوك الروم ، اسمه نقفور أرسل رسالة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ، يخلع فيها ولاء الطاعة للمسلمين ، ثم أرفق ذلك بالتهديد والوعيد ، فما كان من هارون الرشيد ، إلا أن أخذ الرسالة نفسها ، وكتب من خلفها جواباً حسماً ، من أمير المؤمنين هارون الرشيد ، إلى

كلب الروم نقفور : أما بعد ، سوف يصلك جوابي هذا غداً ، ثم أرسل له جيشاً عظيماً ، استحل ديارهم وأموالهم ، ومزق أوصالهم، وكذلك فعل المعتصم بالله ، عندما إستغاثة به امرأة عجوز في عمورية ، وامعتصماه ، وا إسلاماه ، فلبى النداء من بغداد بجيش جرار ، لنصرة امرأة عجوز احتمت بالإسلام .



المســاجــــد

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، فصل الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

أيها المسلمون : يقول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)** ﴾ [التوبة : ١٨، ١٩] .

وعمارة المساجد تنقسم إلى قسمين :

[١] عمارة حسية: ببنائها وتشييدها والقيام بواجبها: فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من بنى لله مسجداً يذكر فيه اسم الله ، بنى الله له بيتاً في الجنة** » ، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة**» ، وقد نال إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل هذه المكانة بين الأمم، لأنهم أول من قاما ببناء المسجد الحرام ،كما قال تعالى : ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)**﴾ [البقرة : ١٢٧] .

أما القسم الثاني :

[٢] **فهو عمارة معنوية:** بإقامة الصلاة فيها ، والذكر والتسبيح ، وقراءة القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)** ﴾ [النور : ٣٦] ، ثم قال عز وجل لكفار مكة : ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)** ﴾ [التوبة : ١٩] .

في هذه الآية الكريمة عاتبهم الله عز وجل رغم بناءهم للمسجد الحرام ، واشتغالهم بخدمته ورعاية شؤونه، لأن بناء المساجد من العبادات الظاهرة التي قد يشوبها نوع من أنواع الشرك، آلا وهو الرياء ،كما قال ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي** ، قالوا وما الشرك الخفي : **قال : هو الرياء** » ، جاء في تفسير الآية السابقة : أنها نزلت في العباس بن عبد المطلب وأصحابه الذين أُسروا يوم بدر ، فأقبل المسلمون يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونفك العاني ، ونحج البيت ، ونسقي الحاج ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ** ﴾، أي لا يمكن أن يستوي هؤلاء المشركين مع أولئك المؤمنين الموحدين ، مهما فعلوا من أعمال عظيمة ، حتى لو كان ذلك بناء المسجد الحرام ، ومع ذلك فقد شهد الله سبحانه وتعالى لمن يعمر المساجد بالإيمان ، حيث قال: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)** ﴾ .

وكذلك هم أهل الله وأهل كرامته ، فقد روى البزار أن النبي ﷺ قال : « **إن عُمَار المساجد : هم أهل الله** » ، وحق على الله أن يكرم زائريه، فقد رُوي أن كعباً كان يقول: مكتوب في التوراة « **إن بيوتي في الأرض المساجد، وإنه من توضأ**

فأحسن وضوءه، ثم زارني في بيتي أكرمته ،وحق على المزور كرامة الزائر»

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «**أن الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي ، إني لأهم بأهل الأرض عذاباً ، فإذا نظرت إلى عُمّار بيوتي، وإلى المتحابين فيّ، وإلى المستغفرين بالأسحار، صرفت ذلك عنهم**» قال ابن عساكر حديث غريب.

مساجد الله :

وفي هذه الآية السابقة وفي غيرها، أضيفت المساجد لله وحده لا شريك له ، وليست حكراً لأحد من المخلوقين ، ولهذا جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام : « **من بنى مسجداً لله** » .

إذن المساجد لله وليست دوراً مملوكة، أو تجارة معروضة،أو دابة تباع وتشترى، إنما المساجد لله ،وعليه فمن بنى مسجداً لله ، بنى الله له بيتاً في الجنة ، ومن بنى مسجداً للسمعة والرياء ، أو من أجل أن يقال فلان: كذا ، وكذا ، فهذا ﴿ **كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

الصفوان : هو الصخر الأملس اليابس الذي لا يحفظ ماءً ولا ينبت زرعاً .

شرف المساجد الثلاثة :

ونتيجة لأهمية المساجد ودورها في الإسلام ، ولهذا السبب يجب على المسلمين أن يعظموها ، لأنها من شعائر الله الظاهرة ، ومن أحب البقاع إلى الله ، ولذلك تغشاها ملائكة الرحمة ، كما قال ﷺ : «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**» ،

وإذا كانت المساجد بعمومها معظّمة عند الله وعند خلقه، فهناك المساجد الثلاثة، أكثر تعظيماً وحرمة ، وهي : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، والمسجد الأقصى ، ولهذا كان أصحاب الجاهلية يعظمون البيت الحرام ، تعظيماً بالغاً ، فكان الرجل يجد قاتل أبيه أو أخيه في المسجد الحرام ، فلا يقربه بسوء حتى يخرج منه ، وقيل أنهم كانوا إذا قدموا إلى مكة ، وأرادوا الخروج منها ، يأخذون من لحاء الشجر ويضعونه على رقابهم ودوابهم ، فلا يتعرض لهم أحداً ، ومكة كلها أرض مقدسة مباركة ، ولذلك أقسم الله بها في قوله تعالى : ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ③** ﴾[التين : ١، ٣] ، ومكة أيضاً كلها حرم آمن، كما قال تعالى مخاطباً إياهم : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ⑥⑦** ﴾[العنكبوت : ٦٧] ، وهو المكان الآمن للخائفين والمضطربين ، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، ومن تعظيم بيوت الله في الأرض، تعظيم المسجد الأقصى الذي أُسري إليه النبي ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [الإسراء : ١] .

فأرض فلسطين: كلها أرض مباركة لا يجوز التنازل بها لمعشر اليهود ، لأنها أرض الإسراء والمعراج ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، والمسجد الأقصى ، من المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها ، كما قال ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا** » ، والصلاة في هذه المساجد الثلاثة ، تضاعف إلى أضعاف كثيرة ، كما قال ﷺ : « **صلاة في مسجدي هذا ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة ،أما**

المسجد الأقصى تضاعف الصلاة فيه إلى خمسمائة صلاة فيما سواه » .

ولهذا ينبغي على المسلمين أن تكون هذه المساجد الثلاثة ، هي الأهم في حياتهم ، وتستحق حمايتهم ، ومن أجلها تقاد الجيوش الإسلامية، وتعلن رايات الجهاد، فهذا صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله الذي أعاد العزة والكرامة للمسلمين ، قيل: أنه لم يتجه نحو بيت المقدس لتخليصه من الفرنجة الرومان ، إلا بعد أن وصلته رسالة عتاب من المسجد الأقصى ، يقول صاحبها:

يا أيها الملك الذي	لمعالم الصلبان نكس
جاءت إليك ظلامة	تشكو من البيت المقدس
كل المساجد طهرت	وأنا على شرفي أدنس

فتأثر صلاح الدين لهذه الرسالة المؤلمة ، وأخذته الغيرة الإسلامية ، وأقسم بالله ألاّ يعود إلى ملكه وقصره ، إلا بعد أن يطهر المسجد الأقصى من دنس الفرنج الرومان ، أو يموت شهيداً ، وفعلاً صدق ما عاهد الله عليه . فرحمه الله وطيب ثراه ، وأسكنه فسيح جناته ، وله من كل مسلم تحية وسلاما إلى يوم القيامة .

أما اليوم : فلا أقول رسالة واحدة تصل من المسجد الأقصى، بل رسائل كثيرة ، ولكنها محمّلة بالدماء ، وعليها دموع الأطفال والشيوخ والنساء ، ولكن أنى لهم بصلاح الدين ، أو نخوة المعتصمي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يُعز فيه أهل طاعتك ، ويُذل فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ، الله هيئ لهذه الأمة قائداً ربانياً ، يقودها بالكتاب والسُّنَّة ، ويعلي راية الأمة .

بناء المسجد النبوي ومسجد قباء :

ونظراً لأهمية المساجد في الإسلام ، فقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ عند وصوله المدينة ، هو بناء المسجد ، لما فيه من أسس وركائز لبناء المجتمع المسلم ، وتوحيد صفوفه، وترسيخ أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين ، وقيل: أن مسجد قباء . هو أول مسجد أُسس على التقوى ، كما قال تعالى: ﴿ **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** (١٠٨) ﴾ [التوبة :١٠٨] ،وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **لبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف ، بضع عشر ليلة ، وكان يصلي في المسجد الذي أُسس على التقوى ، ثم ركب راحلته ، فسار يمشي ومعه الناس، حتى بركت عند مسجده عليه الصلاة والسلام** » رواه البخاري في باب الهجرة .

وقد كان الناس كلهم يريدون أن يظفروا بضيافة رسول الله ﷺ ، وكلهم يريد أن يأخذ بزمام دابته ، فكان يقول لهم « **دعوها فإنها مأمورة** » ولم تزل راحلته ﷺ تسير في فجاج المدينة وسككها ، حتى وصلت إلى مربد لغلامين يتيمين من بني النجار ، والمربد : هو المكان الذي يجفف فيه التمر وغيره ، ولما وصلت إلى هذا المربد، قال ﷺ : « **ها هنا المنزل إن شاء الله** » ،فكان المسجد حيث بركت ناقته ﷺ، وكانت تلك الأرض مملوكة لغلامين يتيمين في المدينة ، فساومهما عليه الصلاة والسلام، بعشرة دنانير ،أي ابتاعها منهما،وكان فيها شجر ونخيل وقبور لبعض المشركين، فأمر الرسول ﷺبالقبور فنبشت ، وبالنخيل والشجر فقطعت ، ثم بناه باللبن وسقفه بالجريد ، وقيل: أن الأنصار جمعوا مالاً وقالوا: يا رسول الله، ابني هذا المسجد وزينه ، إلى متى تُصلِّ تحت هذا الجريد ؟ ، فقال ﷺ :« **ما بي رغبة عن أخي موسى . عريشي كعريش موسى**» ، وكان

ﷺ يباشر البناء مع أصحابه بنفسه، وينقل معهم الحجارة وهو يقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة أرحم الأنصار والمهاجرة

أما أرضه ، أي أرض المسجد ، فبقيت مفروشة بالرمال والحصباء .

أحقية النساء في المساجد :

والحقيقة أن الرجال من المسلمين ، هم المعنيون بالمساجد وبعمارتها ، وهذا من فضل الله عليهم ، أما النساء فلهن مع المساجد قصة وحديث ، كما ثبت عند البخاري أن النبيّ ﷺ قال : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** » .

ولكن خروجهن لا بد لها من شروط شرعية ، أوردها الشارع الحكيم أولها :

[١] **أن يخرجن متلفعات بثيابهن متحجبات :** لما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ، ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ، ما يعرفن من الغلس .

أما الشرط الثاني :

[٢] **فيحرم عليهن أن يمسن الطيب عند خروجهن :** إستنادا لقوله ﷺ : « **وليخرجن وهنّ تفلات** » ، أي لا ريح لهن ، وفي صحيح مسلم عن زينب رضي الله عنها قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « **إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً** » ، لأن الطيب في حق المرأة خارج بيتها ، يجعلها تدخل تحت قوله ﷺ أيما امرأة استعطرت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية ولهذا فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انتقدت خروج النساء إلى المساجد بعد وفاة الرسول ﷺ ، كما جاء في الصحيحين أنها قالت : لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء ، لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل . فهذا التحذير من عائشة رضي الله عنها ، صدر في عهد الصحابة والنساء نساء المهاجرين والأنصار، وكذلك ذهابهن كان

إلى بيوت الله . أما خروج النساء اليوم ، فإلى أين ؟، إلى المساجد ومراكز تحفيظ القرآن ، أم إلى الأسواق والمنتزهات ، بل إلى أماكن الرذيلة والاختلاط ، وهذا هو الحاصل الذي لا مراء فيه ولا جدال ، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها** » ، رواه أبو داود ، وعن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**خير مساجد النساء قعر بيوتهن** » رواه الإمام أحمد ، ولا يفهم من هذا الكلام ، أننا نحرم خروج النساء إلى المساجد، فهذا غير صحيح، لأن بعض الناس قد يمنع نساءه وبناته عن المساجد وأماكن الخير، وحضور الجمع والجماعات ، ثم هو لا يتحرج من خروجهن إلى الأسواق وأماكن الرذيلة والفساد ، متبرجات سافرات ، ليفتنّ الرجال، ويسمى ذلك تقدماً وحضارة ، والرسول ﷺ يتوعد من يفعل ذلك بقوله: «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث ، الذي يقر في أهل بيته الخبث**»،رواه أحمد وفي صحيح الجامع .

نموذج مقدمة :

أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى قد فضل بعض عباده المؤمنين على بعض ، فقال سبحانه وتعالى ﴿ **انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا** (٢١) ﴾ [الإسراء:٢١] ، واختار من البرية نجمها وهلالها ، واختار من خير بقاع الأرض مساجده ، لتكون مواطن عبادته وشكره ، ولذلك اختصها لنفسه فقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** (١٨) ﴾ [الجن: ١٨] ، وهي المكان الآمن الذي يأوي إليه الخائفون والمضطربون ، كما قال تعالى عن المسجد الحرام ﴿ **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، والمساجد كانت في ذاك الزمان ، هي بمثابة اليوم ، تشبه المواقع الدبلوماسية التي

يحترمها الناس والدول ، ويجرّمون من يعتدي عليها بسوء ، أو ينتهك حرمتها ، أو يمارس فيه القهر والاستبداد .

فوائد المساجد :

ولقد كانت المساجد في عهد سلفكم سلف هذه الأمة،هي المدرسة الربانية، والجامعة القرآنية ، التي يتخرج منها الأجيال ، وهي القاعدة الحربية ، التي من خلالها تدار المعارك والفتوحات الإسلامية ، وفيها تدرس الأخلاق والمعاملات ، وفيها حلق الذكر التي تحضرها الملائكة ،كما قال ﷺ : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده** » .

ومن فوائدها: أنها تجمع كلمة المسلمين وتصهرهم في بوتقة واحدة ، لتحقيق وحدتهم ، عندما يقفون كل يوم صفاً واحداً ، في صعيد واحد، كأنهم بنيان مرصوص ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** (٤) ﴾ [الصف:٤] . وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران:١٠٣] .

وهذه الوحدة الاندماجية بين المسلمين ، لا يمكن تحقيقها إلا من خلال هذه المساجد، لأن فيها عنصر الإخاء والمحبة بين المسلمين ، وفي المساجد كذلك نشر لرسالة التوحيد ، التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام ، عندما أُمر أن يزيل آثار الشرك والوثنية ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [البقرة:١٢٥] . وفي آية أخرى: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** (٢٦) ﴾ [الحج:٢٦] .

وتعتبر المساجد من أحب البقاع إلى الله وأشرفها، لأن فيها :

[١] **يقام الأذان :** ويرتفع صوت « الله أكبر» من كل مكان، ولهذا فقد حث النبي ﷺ إلى المسارعة لأداء هذه الشريعة العظيم ، حيث كان يقول ﷺ : «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ،على أن يسهموا عليه ،لاستهموا**» ، ويقول في حديث آخر: « **المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة**» ،وإنه لمنظر جميل أن يرتفع الإنسان فوق السهول والجبال ويصدح بالآذان ، عملاً بوصية أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، عندما أوصى عبد الرحمن بن أبي صعصعة فقال له : إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك وباديتك ، فارفع صوتك بالآذان ، فإنه لا يسمع مدى صوتك أنس أو جني إلا شهد لك يوم القيامة .

وكذلك من فوائد المساجد :

[٢] **أن فيها تقام صلاة الجماعة :** التي هي صلة بين العبد وربه، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام : «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة** » ،وفي رواية أخرى : «**بخمس وعشرين درجة** » ويكفي الإنسان أجراً ومثوبة ما ذكره النبي ﷺ بقوله : «**من صلى الصبح في جماعة ، فهو في ذمة الله** » .

وقال أيضًا : «**من صلى البردين دخل الجنة** » ،ويقول ﷺ «**لو يعلمون ما في العتمة والصبح ، لأتوهما ولو حبواً** » ،وكلّما تردد الإنسان على بيوت الله ، كلّما حصد مزيداً من الدرجات ، كما قال ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** ، قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط** » .

صلاة الجماعة :

ولكن مع الأسف الشديد، فقد هجر كثير من الناس اليوم المساجد، واتخذوا سبيلاً غير سبيلها ، فمنهم من أصبح الآن لا يحضر المسجد في الأسبوع إلا مرة واحدة ، يوم الجمعة ، ومنهم من لا يحضره في السنة إلا شهراً واحداً ، ألا وهو شهر رمضان ، ومنهم من لا يحضره في العمر إلا مرة واحدة حين يُصلى عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فأي هجران بعد هذا لبيوت الله ، والهجر لا يحل فوق ثلاث ، ولقد همّ رسول الله ﷺ أن يحرق بيوت المتخلفين عن الصلاة في المساجد ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار** » ، والأدلة على وجوب الصلاة في المساجد لا تخفى على كثير من الناس ، من ذلك حديث الأعمى الذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي ، فقال ﷺ :« **هل تسمع النداء بالصلاة** ؟ قال : نعم ، **قال : فأجب**» ، وإذا كان هذا في حق رجل أعمى ليس له قائد يقوده إلى المسجد ، فكيف بمن كان صحيحاً معافا ، ألا يخشى على نفسه أن يبتليه الله عز وجل بمرض من عنده ، فيتمنى أن يذهب إلى المسجد ولكن لا يستطيع ، وقد روى أن رجلاً كان يعمل حمالاً ، وكان قوياً في جسمه ، صحيحاً في بدنه ، لكنه كان هاجراً لبيوت الله ، يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ، ثم لا يجيب، فأصيب بشلل كلي أقعده عن الحركة والمشي ، فكان يتمنى أن يذهب إلى المسجد، وكان يقول لمن يزوره : أتمنى أن أحضر معكم صلاة الجماعة .

في أخي المسلم احرص أن تكون من أهل المساجد ، قبل أن تدخلها رغم أنفك ليصلى عليك ، وأنت محمول على الأكتاف . قال تعالى ﴿ **يوم يُكْشَفُ عن ساقٍ ويُدْعَوْنَ إلى السُّجود فلا يسْتطيعُون (٤٢) خاشعة أبصارهم ترهقُهم ذلّةٌ وقدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلَى السُّجُود وهُمْ سالِمُونَ (٤٣)** ﴾ [القلم : ٤٢ ، ٤٣] ، وبعد هذه الأدلة الواضحة الصريحة ، اعلم أنه لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، لما رواه الإمام أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد**، قيل : ومن جار المسجد ؟، **قال : من سمع الأذآن**» ، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً ، خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجب ، فإذا كان هذا الوعيد الشديد لمن هجر المساجد ، وهجر الصلاة فيها ، فما بالكم بمن يؤذي المساجد ، أو يؤذي المصلين فيها ، فهذا شقي محروم ، أعلن حربه مع الله ، ولهذا فليخشى أولئك المؤآذون لبيوت الله ، وخاصة أولئك المجاورون لها ، أن يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، أو يستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وكم رأينا من هذا عبراً .

فيا أيها المجاورن لبيوت الله ، الذين شرفكم الله أن تكونوا أهلاً لجوار بيوته ، فأنتم مطالبون قبل غيركم أن تحسنوا إلى هذه المساجد ، لأنها تأتي يوم القيامة شهيداً لكم أو عليكم ، والرسول ﷺ يقول : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره**» ويقول أيضاً : «**والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** ، قيل :من يا رسول الله ؟ ، **قال : من لا يأمن جاره بوائقه** » ، أي شروره ، فإذا كانت المساجد لم تسلم من جيرانها ، فكيف تسلم من أعدائها الذين يسعون إلى خرابها ، نسأل الله عز وجل أن يحفظها ذخراً للإسلام والمسلمين .

وكذلك من فوائد المساجد أن فيها :

[٣] **تقام حلق الذكر :** كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله : «**ما اجتمع قوم في**

بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده » ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : « اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » ،ولهذا فإن المساجد من أشرف الأماكن التي يقرأ فيها القرآن ، وقد كان الرسول ﷺ يحب أن يجتمع مع أصحابه في المسجد ويقرأ معهم القرآن، فمرة يقول لابن مسعود رضي الله عنه :أقرا علي القرآن، فيقول ابن مسعود رضي الله عنه «أأقرؤوه عليك وعليك أنزل؟ قال : نعم ، إني أحب أن أسمعه من غيري » ، أو كما قال ﷺ ، ثم بدأ يقرأ عليه من قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء : ٤١] ، فقال ﷺ :« حسبك » ،ثم قال ابن مسعود رضي الله عنه : نظر ت إلي وجه رسول الله ﷺ ، فإذا عيناه تذرفان » . لقد كان الرسول ﷺ يخشع ويتأثر عندما يسمع القرآن ، فيسمع يوماً عجوزاً تقرأ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ [الغاشية : ١] ، وتكررها ، فجعل النبي ﷺ يبكي ويقول: « نعم أتان ، نعم أتان » .

وكذلك من فوائد المساجد أن فيها :

[٤] جمع لكلمة المسلمين وتوحيد لصفوفهم: فالنبي ﷺ عندما وصل المدينة ، كان أول عمل قام به هو بناء المسجد ، لأنه يمكن من خلاله جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم ، وقد كان مسجده ﷺ متواضعاً في بنائه ، ولكنه من خلاله استطاع جمع المسلمين في صف واحد ، وكلمة واحدة ، أما مساجدنا اليوم ، فهي عظيمة البناء ، واسعة الأرجاء ، ولكنها خالية من العباد ، تشكوا حالها إلى الله ، بينما الرسول ﷺ يقول : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ وذكر منهم ـ ورجل قلبه معلق بالمساجد » .

آداب المساجد :

وكذلك فإن للمساجد حقوق وآداب ، كما أن لكل ملك حماً ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ومن حماه أن تعظم مساجده في الأرض ، وأن يحترمها الناس ، ويتأدبون معها ، ويقومون بشؤونها وخدمتها أكثر من خدمتهم لبيوتهم ومقائلهم ، عملاً بقوله تعالى ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)** ﴾ [النور: ٣٦] ، وبناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها ، نوع من تعظيمها والأدب معها ، لما روته عائشة ﵂ أنها قالت : « **أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور ، وأن تنظف وتطيب** » رواه أحمد وأصحاب السنن ، وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي أن عمر ﵁ كان يجمّر مسجد رسول الله ﷺ كل جمعة ، وجاء في حديث آخر في اسناده ضعف « **واتخذوا على أبوابها المطاهر** » أي المراحيض وأماكن الوضوء « وجمروها في الجمع » أي بخروها في أيام الجمع ، لكثرة اجتماع الناس فيها ، ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى، وأن يقول الدعاء المأثور، كما ثبت في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال : « **إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسالك من فضلك** » وعن فاطمة - ﵂ - بنت رسول الله ﷺ قالت : « **كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ، ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ، ثم قال : اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك** » ، رواه الإمام أحمد وابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن .

وكذلك من الأدب مع المساجد ، عدم استخدام أدوات المسجد في الأمور

الخاصة ، كالفرش ومكبرات الصوت وغيرها ، ويعتبر من الأدب معها واحترامها : توفير الماء بجوار ها ، وتقديم الطعام لمن يأتي إليها غريباً كابن السبيل ونحوه ، ولهذا جاء في الأثر : أن امرأة عجوز ، كانت تنظف مسجد الرسول ﷺ ، ولما توفيت افتقدها النبي ﷺ ، ثم سأل عن أمرها :لماذا انقطعت عن تنظيف المسجد ؟ فأُخبر أنها قد ماتت ، عند ذلك حزن الرسول ﷺ وسأل عن قبرها ، ثم صلى عليها بعد موتها إكراماً لها ، لأنها كانت ترعى شؤون المسجد ، وتعظم بيوت الله .

محذورات المساجـــد :

إذن أيها المسلمون: إن المساجد لها حرمتها في الإسلام ، ومن أراد أن يمارس فيها بظلم أو إفساد ، أذاقه الله من العذاب الأليم ، قال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)** ﴾ [البقرة : ١١٤] .

ولهذا جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن قريشا منعوا رسول الله وأصحابه من الصلاة عند المسجد الحرام ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)** ﴾ فأي خراب أعظم من الصدّ عن المسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، و أي خراب أعظم من أذية المصلين ومراقبتهم في بيوت الله ، وعليه فلا يجوز منع المساجد أو مراقبتها ، أو احتكارها ، أو اتخاذها سوقاً ، لقول الرسول ﷺ : « **إياكم وهيشات الأسواق في المساجد** » ، وكذلك يُحرم البيع والشراء فيها ، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال ﷺ : « **إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد ، فقولوا : لا أربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالته في المسجد ، فقولوا : لا رآدها الله**

عليك » ، وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «**جنّبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ، ورفع أصواتكم** ...إلخ » ، رواه ابن ماجه وفي اسناده ضعف ، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبياناً يلعبون في المسجد ، ضربهم بالمخفقة ، وهي الدرّة ، ولعلكم سمعتم بقصة ذالكما الرجلين في مسجد الرسول ﷺ لما دخل عليهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهما يلعبان في المسجد، ويرفعان أصواتهما ، فقال: من أنتما ؟، وفي رواية: من أين أنتما ؟ ، قالا : من أهل الطائف ، فقال عمر رضي الله عنه : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ ، أمّا ذلكم الأعرابي المسْكين الذي بال في مسجد رسول الله ﷺ ، لم يكن في عهد عمر الفاروق رضي الله عنه الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، وإنما كان في عهد محمد ﷺ الذي وصفه الله بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] ، فكاد الصحابة رضوان الله عليهم أن يبطشوا بذلك الأعرابي ، أو يردوه قتيلاً ، فقال لهم النبي ﷺ : « **على رِسْلكم ، دعوه يكمل بوله ، ثم أريقوا عليه ذنوباً من ماء** » ، ثم بعد ذلك ناداه وعلّمه أن المساجد لم توضع لشيء من هذا ، فما كان من ذلك الإعرابي إلا أن قال : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً ، فتبسم النبي ﷺ وقال: « **لقد حجّرت واسعاً** » .

وكذلك ممّا ينبغي اجتنابه في بيوت الله ، الدعوة الى الحزبية الضيقة ، والعصبية الجاهلية ، لأن المساجد لم توضع في الأرض إلاّ لرفع ذكر الله وإعلاء كلمته، كما قال تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور: ٣٦] ، يكون ولائهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولم يقل : رجال متحزبين ، يكون ولاؤهم لغير الله ، ولهذا فلا يجوز تسييس المساجد لحزب فلان أو فلان ، أو إدخالها في المعترك السياسي البليد ، الذي

يحمل أفكاراً هدّامة ، كالديمقراطية مثلاً المخالفة لشرع الله ، ولذلك يجب أن ننزه المساجد عن هذه الولاءات الضيقة ، والأفكار الهدامة ، لتكون لله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** (١٨) ﴾ [الجن :١٨] .

ممارسة الشركيات في المساجد :

وهناك بعض الشركيّات التي أحدثها الناس في المساجد ، يجب التنبيه إليها والحذر منها ، كالاحتفال بالمولد النبوي في المساجد ، وضرب الدفوف ، وإنشاد القصائد البدعية التي فيها شرك ، وكذلك إطراء لغير الله ، بينما المساجد يجب أن تكون لله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** (١٨) ﴾ ولهذا أُمر إبراهيم عليه السلام أن يزيل آثار الشرك والوثنية من المسجد الحرام ، كما قال تعالى : ﴿ **أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، والنبي ﷺ في عام الفتح ، أزال الأصنام التي كانت تملؤ ساحة المسجد الحرام ، فكان ﷺ يحطم الأصنام بعضها فوق بعض وهو يقول : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (٨١) ﴾[الإسراء :٨١] ، وكل المساجد في الأرض يجب أن تطهر من الشركيات ، فلا يجوز الاحتفال فيها لمولد عظيم ، ولا أن يتخذها العوام للتهليل على الأموات ، ولا أن يُقبر فيها أحد من المسلمين ؛ لأن المساجد لم توضع لشيء من ذلك ، وإنما وضعت لطاعة الله وعبادته ، كما قال تعالى : ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** (٣٦) ﴾ [النور :٣٦] ، وكذلك لا يجوز اتخاذها قبوراً للصالحين أو الفاسدين ،كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد** » ، وجاء في السُّنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين**

عليها المساجد والسرج » ، وقد خشي الرسول ﷺ أن يُتخذ قبره مسجداً كما قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره ﷺ ، وكان من دعاءه وهو في سياق الموت : « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » لذلك كره الإمام مالك رحمه الله أن يقول الإنسان: **زرت قبر النبي** ﷺ ، والصحيح أن يقول الإنسان : **زرتَ مسجد الرسول** ﷺ ، وكذلك يحرم شرعاً الصلاة عند المقابر، أو اتخاذها مساجد ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً قال : « **الأرض كلها مسجداً ، إلا المقبرة والحمام** » ، رواه أحمد وأهل السُنن .

زخرفة المساجد :

أما من حيث زخرفة المساجد والنقش عليها ، فقد أجمع العلماء على كراهتها ، وقال بعضهم بالحرمة ، ويكره كذلك أن يكتب في قبلتها آيات من القرآن الكريم ، **لما فيه من المحظورات الشرعية التي منها :**

[١] **صرف قلوب المصلين عن الخشوع في الصلاة وتدبر معانيها :** بينما الصلاة بلا خشوع ، كالجسد بلا روح .

المضرة الثانية :

[٢] **لأن فيه تذكير للمصلين بالدنيا وزينتها :** وشغلهم بمظاهرها الفاتنة التي تفتن القلوب والأبدان ، بحيث يصبح الإنسان معلق بها حتى في المساجد ، بينما كانت المساجد في عهد الرعيل الأول هي المكان الذي يفرّ الناس إليه هروباً من الدنيا ، ومثال ذلك ما أُثِرَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه : أتى إلى السوق والناس مشغولون في دنياهم وتجارتهم ، فقال لهم: أنتم هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد، فأتوا إلى المسجد، ولم يروا إلا حِلَق الذكر في المسجد، فقال :

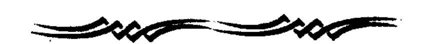
هذا ميراث رسول الله ﷺ . وجاء في السُّنَّة ما يؤكد قول أبي هريرة رضي الله عنه عند قوله ﷺ : «**فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» .

ومن مساوئ الزخرفة للمساجد :

[٣] **حصول المشابهة والموافقة لأهل الكتاب :** الذين يزخرفون كنائسهم ومعابدهم ، ويضعون فيها الصور والتماثيل المحرمة شرعاً ، شاهد ذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها في كنيسة بالحبشة مزخرفة ، تكاد أن تكون قصراً ، فقال ﷺ : «**أولئك شرار الخلق عند الله تعالى**» .

ومن أسوأ هذا التلاعب الشيطاني بهذه الزخارف :

[٤] **إظهار الأبّهة على المساجد والإفتخار بها :** فيشعر بانيها بالغبطة والسرور ، فتكون سبباً في فساد نيته ، ودخول عمله في شرك الرياء ، الذي نبّه إليه الرسول ﷺ في الحديث القدسي : «**من عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه**» إذن لا بد من التواضع والتوسط في بناء المساجد وتشييدها وزخرفتها ، وهذا ما نبّه إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أمر ببناء مسجد فقال : اجعله يكنُّ الناس من المطر ، وإياك أن تحمّر أو تصفّر ، فتفتن الناس .



غربة الإسلام

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، فصلِّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . أما بعد :

أيها المسلمون: روى مسلم في كتاب الإيمان ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، والإمام أحمد في مسنده ، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً . وسيعود كما بدأ غريباً** » ، وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء**» ، رواه الترمذي في سُننه ، وعن عبدالله بن عمر ﵄ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين ، كما تأرز الحية إلى جحرها**» ، رواه مسلم واللفظ له ، وعن جابر ﵁ أن النبي ﷺ قال : « **إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريبًا ، فطوبى للغرباء** ، قال: ومن الغرباء يا رسول الله ؟، قال: **الذين يصلحون إذا فسد الناس**» ، رواه الطبراني في معجمه ، وفي رواية للإمام أحمد ، قيل: من الغرباء يا رسول الله ؟ **قال: أناس صالحون في أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**» ، ورواه البيهقي في الزهد والبخاري في التاريخ الكبير ،« قيل: ومن الغرباء ؟ ، **قال: الفراورن بدينهم ، يبعثهم الله عز وجل يوم القيامة مع عيسى بن مريم** ﵇ »

شرح الحديث: هذا الحديث حديث عظيم ، يحتاج لكثير من الدراسة والتحليل والتفصيل ، لأنه يمس حياة الناس اليوم وواقعهم ، وينقل لهم صورة

حية لما وصل إليه الإسلام والمسلمون في هذا الزمان الغريب ، والغربة الواردة في هذا الحديث ، هي غربة في الدين ، وغربة في الأخلاق ، وغربة في السلوك ، وغربة في المناهج والأفكار والمعتقدات .

والغربة بمفهومها العام ، قد تأتي بمعان كثيرة منها:

[١] **البعد والنوى:** يقال اغترب غربة ، إذا بعد ونوى ، وقد يراد بها :

[٢] **النّزوح عن الأوطان :** فيقال رجل غريب ، أي بعيد عن وطنه ، والغربة قد تكون حسية بمفارقة الأهل والأوطان ، أو تكون معنوية بمجانبة أهل الفتن والأهواء ، وملازمة الخيرين من هذه الأمة ، وهذا المعنى هو المقصود والمفهوم من قوله عليه الصلاة والسلام : « **بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ** » ،وقد جاء استعمال الغربة في السُّنَّة النبوية ،كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال :أخذ النبي ﷺ بمنكبي فقال :« **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** » فشبه ﷺ المؤمن الناسك المتمسك بدينه، بحال الغريب الذي لا مسكن يؤويه ، ولا بيت يكنّه من المطر .

وتنقسم هذه الغربة الواردة في الحديث إلى غربتين:

[٢] **الأولى:** غربة أهل الإسلام بين أهل الأديان الأخرى ، كما قال ﷺ وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر .

[٢] **أمّا الغربة الثانية:** فهي غربة المؤمنين المتمسكين بدينهم ، المتّبعين لسُنَّة نبيهم عليه الصلاة والسلام ، فهم غرباء بين أهل الأهواء والضلال من عموم المسلمين ، لذلك قال سفيان الثوري رحمه الله : إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سُنَّة ، وآخر بالمغرب ، فابعث إليهما السلام ، وادع لهما ، فإنهم غرباء .

أنـــواع الغربـــة :

والغربة الواردة في الحديث على ثلاثة أنواع :

[١] **الأولى:** غربة شرائع ، بحيث أصبحت بعض شرائع الإسلام غريبة عن الناس ، فالجهاد مثلاً، هذا الركن العظيم في الإسلام، أصبح اليوم غريب أن تدعو الناس إلى الجهاد، فيسمى إرهاباً وتطرفاً وترويعاً للآمنين ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الشعيرة العظيمة في الإسلام،أصبحت اليوم غريبة عن المسلمين، فيسمى تدخل في شؤون الآخرين،أو اعتداء على حرياتهم الشخصية، كذلك الربا الذي ينتشر في كل شارع ومدينة ، جهاراً عياناً ، أصبح اليوم غريب أن تقول أن الربا حرام ، بل هو عندهم مرابحة أو تجارة ، أو عائدات استثمارية ، يسمونها بغير اسمها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، غربة ما بعدها غربة .

[٢] **أما الغربة الثانية:** فهي غربة مكان ، بحيث أصبح المسلم غريبًا في بلدة ووطنه ، وقد لا يجد من ينصره أو يأويه ، ويتعرض لكثير من الظلم والقهر والاستبداد ، فبعضهم قد يُستهزء به ، لماذا ؟، لأنه أطال لحيته وقصر ثوبه ، وبعضهم قد يُحارب ، لماذا ؟ لأنه يحضر المسجد في اليوم خمس مرات ، أو لأنه يقول أن الربا حرام ، والزنا حرام ، فهذا يسمى تزمّت وتشدّد وتطرف .

[٣] **أما الغربة الثالثة:** فهي غربة زمان ، بانتشار الجاهلية الحديثة التي تسمى جاهلية القرن العشرين ، بحيث أصبح الناس اليوم يلهثون وراء كل شيء جديد ، حتى لو كان فيه هلاكهم ودمارهم ، وينبذون كل شيء قديم ، حتى لو كان فيه خيراً لهم ولأمتهم ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تغيّر الزمان ، وغربة الإسلام ،كما قال ﷺ : « **بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ** » .

غُربـــة الإسلام العامة والخاصة :

وإن ما حصل للمسلمين في مكة قبل الهجرة،من البطش والتنكيل والإيذاء، إلا نوع من أنواع الغربة العامة ، فكان الرسول ﷺ والذين آمنوا معه لا يستطيعون أن يظهروا شعائرهم التعبدية، نتيجة لغربتهم، فكان ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستخفياً من أبيه، فيصليان ، وهناك غربة خاصة تحصل لبعض المؤمنين في ديار الكفار ، كما حصل للنجاشي ملك الحبشة، الذي بقي في بلادة ولم يهاجر إلى الله ورسوله ، مع أنه آمن بالله وشهد شهادة الحق ، ولكنة مات في بلده غريباً ، دون أن تكتحل عيناه برؤية النبي ﷺ ، لذلك نعاه عليه الصلاة والسلام في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه ﷺ صلاة الغائب ، لأنه مات غريباً في دار شرك ، وقال ﷺ لأصحابه: « **إستغفروا لأخيكم إنه مات في بلد غير بلدكم** » .

كذلك من الغربة الخاصة: أولئك المؤمنين المستضعفين الذين مكثوا في مكة ولم يستطيعوا أن يهاجروا ، كالوليد بن الوليد ، وسلمة ابن هشام ، وعياش ابن ربيعة ، الذين حبستهم قريش ومنعتهم من الهجرة إلى الله ورسوله ، فكانوا يعانون الغربة، بل الفتنة في دينهم ، لذلك عفى الله عنهم ، فقال تعالى: ﴿ **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)** ﴾ [النساء:٩٨، ٩٩].

الغربـــــاء :

وإذا تأملنا أحاديث الغربة ، وأردنا أن نعرف من هم الغرباء المقصودون في الحديث ، قد لا نجد وصفاً واحداً يعبّر عنهم ، إنما ثبت وصف الغرباء في حديث

عبد الله بن عمرو ، على وصفين :

الأول: بأنهم أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم .

أما الوصف الثاني: فهم الفرارون بدينهم ، يبعثهم الله عز وجل يوم القيامة مع عيسى بن مريم عليه السلام، وفي حديث أبي الدرداء الذي رواه الطبراني ، قوله عليه الصلاة والسلام عن الغرباء : « **هم الذين يصلحون إذا فسد الناس ، ولا يمارون في دين الله** » أي لا يجاملون ولا يداهنون في دين الله ، يقولون الحق ولا يخافون في الله لومة لائم، وفي حديث جابر رضي الله عنه : هم الذين يصلحون إذا فسد الناس ، أما في حديث بكر بن عمر والمعافرى الذي رواه ابن وضاح في البدع ، قال ﷺ : « **طوبى للغرباء ، الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك ، ويعملون بالسُّنَّة حين تطفأ** » .

والغرباء: هم الذين يحملون الحق الذي جاء به محمد ﷺ ويلتزمون به ، فجاءت الأحاديث تبين « **أنهم على الحق ، وأنهم على أمر الله، وأنهم على الدين** » ، وهذه الخصائص البارزة لا تكون إلا في حقهم ، لأنهم تميزوا عن غيرهم بحمل راية الدعوة إلى الله ، وقائمون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم أولوا بقية ينهون وينؤن عن الفساد في الأرض ، والغرباء قد يكونوا هم أهل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، كما قال ﷺ : « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** ، قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ ، **قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، إذن أهل الفرقة الناجية ، هم الغرباء في هذا الزمان ، وكيف لا يكونوا غرباء بين اثنين وسبعين فرقة من أهل الزيغ والضلال ، فهم يعيشون غربة عامة ، بين أهل الملل والنحل الأخرى ،

ويعيشون غربة خاصة بين المسلمين أنفسهم ، الذين هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، لكنهم فتنوا ، فأكلتهم الأهواء والفتن فسقطوا فيها .

والغرباء اليوم: هم الصابرون والمصابرون في هذا الزمان ، لذلك سمى رسول الله ﷺ الأيام التي من بعد الصحابة بأيام الصبر ، كما في حديث عتبة بن غزوان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من ورائكم أيام الصبر ،للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه ، أجر خمسين منكم** » ، رواه ابن نصر المروزي في السُّنَّة والطبراني والبزار، وقد يراد بهم في هذه الأحاديث : هم أهل الحديث الذين يهتمون بسُنَّة الرسول ﷺ ويقومونَ بحفظها وروايتها على الناس ، لذلك قال الإمام أحمد حينما ذكر حديث الإفتراق : إن لم يكونوا أصحاب الحديث ، فلا أدرى من هم ، وقال عبدالله ابن المبارك : هم عندي أصحاب الحديث .

غربة الإسلام الأولى :

وفي آخر الزمان ، يأتي على الناس زمان ، لا يبقى من الإسلام اسمه ومن القرآن إلا رسمه ، ولذا يسمى الإسلام غريباً ،كما قال ﷺ : «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**» ، وفي زمن الغربة ، يأتي الغرباء من هذه الأمة ، لينالوا شرف الغربة كما نالها الأولون السابقون من المهاجرين والأنصار في غربة الإسلام الأولى ، حتى قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ولقد مكثت سبعة أيام ، وإني لثلث الإسلام ، فكان الرسول ومعه الرجل والرجلان ، يبين ذلك حديث عمرو بن عبسة السلمي ، قال : قدمت إلى مكة ، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً ، فدخلت عليه ، فقلت له : ما أنت ؟ ، « **قال : أنا نبي** ، فقلت : وما نبي؟، **قال : أرسلني الله** ، فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ ، **قال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله وحده لا يشرك به شيئاً** ، فقلت له : ومن معك على

هذا ؟ ، قال : **حر وعبد** » ، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، لذلك سمي الإسلام غريباً في تلك المرحلة ، نظراً لقلة الأتباع والمستجيبين له ، فكان الناس قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام يعيشون في جاهلية وعمى ، كما في حديث عياض بن حمار الذي أخرجه مسلم ، أن النبي ﷺ قال : «**إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب**» ، فلما بعث النبي ﷺ ودعاء إلى الإسلام ، لم يستجيب له في أول الأمر ، إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة ، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته ، يؤذى غاية الأذى ، وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل .

ولكن مع ذلك رغم قلّتهم وشدة غربتهم، لم تؤثر فيهم تلك الغربة الأولى آثاراً سلبية، ولم تضعف من يقينهم وإيمانهم، بل جعلتهم يحملون راية الإسلام، ويتمايزون عن غيرهم ، ويضربون أروع الأمثلة في الصبر والتضحية والفداء ، ولقد آثر هؤلاء المؤمنون الغرباء في مكة، حياة الترف والنعيم،وحياة الذل والهوان واستبدلوها بلا إله إلا الله ، استبدلوها بالدعوة إلى الله ، استبدلوها بالجهاد في سبيل الله ، وانطلقوا يحملون هذه الدعوة بقوة وحماس شديدين ، لذلك نصرهم الله ، رغم قلتهم وغربتهم.

ابتلاء الغربـــاء الأولون :

ولقد تعرض هؤلاء الغرباء الأولون في مكة ، وهذه القلة المؤمنة ، لكثير من الأذى والتعذيب والإضطهاد، من ذلك ما تعرض له رسول الغرباء، محمد ﷺ حينما وُضع سلا الجزور على كتفه وهو ساجد لله رب العالمين ، أو حينما كان أبو لهب يلاحقه ويرميه بالتراب والحجارة ، ويحذر الناس منه ومن أتباعه ، ويقول : إنه صابئ كذاب،لا تصدقوه ،وكذلك اليوم أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ،

ومن يهود العرب ومنافقيهم وحاقديهم ، أصبحوا يفعلون فعلة أبى جهل وأبى لهب ، كما فعلوا بالرسول ﷺ ، ويشوهون صورة الدعاة إلى الله والعلماء والمخلصين من هذه الأمة ، ظناً منهم أنهم سيقتلعون الإسلام من جذوره ، ولكن هيهات، هيهات، أنّى لهم ذلك،وما تعرض له الصحابة رضوان الله عليهم في غربة الإسلام الأولى، إلا ثمناً لدينهم ، وضريبةً يدفعونها في سبيل الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (١١١) ﴾ [التوبة :١١١] ، وكان ﷺ يمر بياسر وعمار ، وهم يُعذبون ، فيقول : « **صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة** » وعندما يئست قريش من المواجهة العسكرية لهؤلاء الغرباء ، وهذه القلة المؤمنة بربها ، ولم تنفع سياسة التعذيب والترهيب ، عمدت ضمن خططها الجاهلية ، إلى أساليب جديدة ودنيئة ، بفرض الحصار الاقتصادي عليهم في شِعب أبي طالب، حتى قال عتبة بن غزوان رضي الله عنه : « ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة ، فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ، فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها » ، رواه مسلم في كتاب الزهد ، وهذه الخطة الجاهلية : خطة الحصار والتجويع ، التي استخدمتها قريش سابقاً ، ويستخدمها الآن الشيطان الأكبر في العالم ، فإنها أصبحت عقيمة لا تنفع في كثير من الأحيان ،ويستطيع المسلمون أن يصمدوا أمام هذا الحصار كما صمدوا في شِعب أبي طالب، ولذلك نقول لأولئك الخائفون والوجلون من أمريكا وأعوانها ، والعملاء لإسرائيل ، لا تخافوا ولا توجلوا من حصارهم وقوتهم ، فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله .

هجــرة الغربــاء :

ولا شك أن المسلمون في مكة ، كانوا غرباء ، مستضعفين مقهورين في الأرض ، فمنهم من يعذب في الله ، ومنهم من يقتل في سبيل الله ، ومن غربة الإسلام في تلك المرحلة ، أنه كان ﷺ يعرض نفسه والإسلام على القبائل العربية المجاورة لمكة ، لكنها كانت تأبى وترفض بشدة ، وترى أن هذه الدعوة الناشئة ، دعوة غريبة لم يعتدها المشركون في ذاك الزمان، فخرج ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ، ولكن أهل الطائف ردّوه وعنّفوه ، وأغلظوا له القول ، مما زاد في غربته عليه الصلاة والسلام ، ثم بدأ يعرض نفسه ودعوته على القبائل التي كانت تأتي إلى مكة في مواسم الحج والزيارة ، ويشرح لهم الإسلام ، ويطلب منهم الإيواء والنصرة حتى يبلغ كلام الله ، فعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله يعرض نفسه على الناس في الموقف، ويقول : « **ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي** » ، فلبث ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم وأسواقهم ،كسوق المجنة وعكاظ ، يريد منهم أن ينصروه ، فكان يقول لهم : « **من ينصرني ؟ ، من يؤوني ؟ ،حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة** » ، فلا يجد أحداً ينصره أو يأويه ، عند ذلك بدأ ﷺ يفكر بالهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة المنورة ، التي من خلالها استطاع أن يفك حصار الغربة والعزلة عن المسلمين ، فأذن لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ أولاً بالهجرة إلى الحبشة مرتين ، لأن فيها ملك عادل لا يظلم عنده أحد ، ثم خرج هو وأصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة مهاجراً إلى الله ، وباحثاً عن قبيلة تؤويه وتسمح له بنشر الدعوة ، وإزالة الغربة عن المسلمين.

وبالمدينة المنورة هناك ، وجد الإسلام موطنه الذي ينطلق منه دعاته المخلصين إلى مشارق الأرض ومغاربها، ومن هناك خرجت جحافل الحق وكتائب الإيمان ،

تدك معاقل الكافرين والمشركين ، وتزيل حياة الغربة والشتات عن المؤمنين ، وما أحوجنا اليوم في هذا الزمان إلى دار إسلام ، يحكم فيها بشرع الله ، يلجأ إليها المؤمنون المستضعفون في الأرض ، الذين شرّدوا من ديارهم وأوطانهم ، ومُنعوا من أن يقولوا كلمة الحق فيها ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ومُنعوا من الدعوة إلى الله ، وأصبحوا اليوم غرباء ، يشبه حالهم كحال القلة المؤمنة في مكة قبل الهجرة ، وحسب ظني أن كل بلاد اليوم ، تستقبل أمثال هؤلاء المستضعفين ، فهي تشبه المدينة المنورة في ذاك الزمان ، من حيّث إيواءها واستقبالها لتلك القلة المؤمنة ، والمسلمون هناك في هذه البلدان المعاصرة ، يشبه حالهم حال الأنصار الذين آوو ونصروا الرسول ﷺ وبايعوه على السمع والطاعة، كما جاء في حديث البيعة ، أن أحد الأنصار ، واسمه البراء بن معرور ، أخذ بيد النبي ﷺ ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبيًّا ، لنمنعك مما نمنع به أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر .

زوال الغربة الأولى :

والحقيقة أن غربة الإسلام الأولى ، لم تزولْ إلاّ بعد هجرة النبي إلى المدينة المنورة ، وقيام دولة الإسلام فيها ، ومن خلال ذلك استطاع عليه الصلاة والسلام في ثلاث وعشرين سنة أن يزيل الغربة عن المسلمين ،ولقد تحول المسلمون من قلة مستضعفة مقهورة ، إلى أئمة يرثون الأرض من بعد أهلها ، ويقودون ركب البشرية إلى بر الأمان ، تحقيقاً لوعد الله القائل :﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** ۝ ﴾ [القصص : ٥] ، وقال سبحانه :﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ**

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٥] .

وفي المدينة المنورة تحقق للمسلمين ما وعد به الرسول ﷺ في مكة حين قال : « **والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** »، وهذا نصر لم يشهد التاريخ مثيلاً له ، ونحن الآن نقول للمؤمنين الغرباء في هذا الزمان ، المشردين من ديارهم وأوطانهم، المحاربين من قبل حكامهم، الذين يحكمون بالقوة والجبروت ، نقول لهم: أبشروا بوعد الله ونصره ، وهو القائل: ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)** ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣] ، وأبشروا بوعد رسولكم وقدوتكم محمد ﷺ القائل : « **ما تزال طائفة من أُمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله** » ، وهم على ذلك نقول لهم: اصبروا واحتسبوا، فأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، وأنتم الغرباء في هذا الزمان، الذين نعتكم الرسول ﷺ بقوله :« **فطوبى للغرباء** »، أما أعداءكم من اليهود والنصارى ومن شايعهم ، من يهود العرب ومنافقيهم ، فإن لهم يوما أسوداً،كيوم بدر إن شاء الله ، فالحق يبدو في آهات مكتئب، وينتهي ملؤه نقمي ﴿ **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

أعداء الغربة الأولى :

والذي يجب أن يبقى عالقاً في الأذهان ، أن ما أصاب المسلمين في غربة الإسلام الأولى ، من المتاعب والآلام،لا يمكن أن يصبر عليه الغرباء في هذا الزمان، فقد ساند اليهود إخوانهم المشركين في مكة ، ضد الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين ، وزكّى اليهود عليهم لعائن الله ديانة العرب الوثنية ، وهم يعلمون أنها

على باطل ، وأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق ، ولكن حقداً وحسداً من عند أنفسهم ، وفي السُّنَّة ما يبين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم سيد اليهود كعب بن الأشرف إلى مكة ، قالت له قريش : أنت خير اليهود وسيدهم ، قال : نعم ، قالوا : ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه ، ويقصدون الرسول ﷺ ، يزعم أنه خُير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، قال : « **بل أنتم خيَراً منه** » ، والآن أعداء الإسلام اليوم ، والشيطان الأكبر في العالم ، يزكي هؤلاء المجرمين الحاقدين على الإسلام ، الذين يقودون الأمة إلى الهاوية ، وتُصبغ عليهم الصبغة الشرعية ، ويُدافع عنهم ، بل وتحميهم الجيوش المدرّعة ، وتؤمن حياتهم وحياة أبناءهم في البنوك الربوية ، وهم يعلمون أنهم مجرمون وسفاحون دمويون ، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، وهذه التزكية الجائرة التي يمنحها أعداء الإسلام اليوم ، هي نفس التزكية اليهودية السابقة للمشركين عندما قالوا : أنتم خير من محمد ، فأنزل الله هذه لآية ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴿٣﴾ ﴾ [الكوثر : ٣] ، وهذه الصفة التي هي من جنس اليهود ، اتصف بها كعب الأشراف الذي انطلق إلى المشركين من كفار قريش ، فاستجاشهم على النبي وأمرهم بقتاله ، وأن يغزوه ويكذبوه ، وقال : إنا معكم على قتاله ، وهكذا يمكن أن نتصور الآن جزءً من الغربة التي عاشها إمام الموحدين ﷺ والذين آمنوا معه ، كما توصى به الآية الكريمة في سورة [ص] ﴿ **وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** ﴿٦﴾ **مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** ﴿٧﴾ ﴾ [ص : ٦، ٧] ولقد واجه ﷺ في مكة مجتمعاً جاهلياً عنيد ، فلقي منهم ما لقي من التكذيب والتعذيب ، وما هي إلا أيام حتى جاء نصر الله وفتح قريب ، ففي معركة بدر الكبرى جعل النبي ﷺ يرفع يديه إلى السماء ويقول : « **اللهم أنجز لي ما وعدتني به ، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد**

في الأرض بعد اليوم ، اللهم آتنى ما وعتني ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه» فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)** ﴾ [الأنفال : ٩] .

لقد كان النبي ﷺ بمقتضى بشريته يخشى من زوال المسلمين وفنائهم ، فيناشد ربه أن لا يهلك هذه العصابة ، ولكن أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان يتوسم من خلال هذا الدعاء الحار، الذي يخرج من قلب محترق أوآه ، آية من آيات النصر المبين ، فينادى يا رسول الله ﷺ : كفاك أو كذاك مناشدةً لربك ، فان الله ناصرك ومنجز لك ما وعد ، وهو الصادق الحكيم : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)** ﴾ [آل عمران :١٢٣] ، فكان انتصار بدر ، ترسيخ لموقع الغرباء ، وتثبيتاً لقواعدهم ، ودفعاً لغربتهم ، وغربة المضحين في سبيل الله ، إذاً لابد أن تتكرر بدر مرة أخرى لنصرة الغرباء في هذا الزمان ، تحقيقاً لدعاء الرسول ﷺ : «**اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم في الأرض** » ، وإيمانًا بقوله عليه الصلاة والسلام: «**والله ليُتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون** » ،اللهم أعد للإسلام مجده المسلوب ، وأرضه المغصوب ، ورد المسلمين إليك مرداً جميلاً، اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين .

التوازن بين الخلطة والعزلة :

إن الحديث عن غربة الإسلام ، التي يقول فيها النبي ﷺ : «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء** حديث بالغ الأهمية ، يحتاج لكثير ومزيد من الدراسة والتحليل ، ولا يكفيه جمعة ولا جمعتين ، أو درس أو

درسين ، وعليه أقول : إن المسلم الذي يعنيه شأن الإسلام في هذا العصر ، وشأن إخوانه المسلمين الغرباء في هذا الزمان ، هو مطالب شرعاً بمواجهة الغربة التي يعيشها مع إخوانه المسلمين ، ومطالب كذلك بالاختلاط مع الناس، والصبر على أذاهم ، إستنادا لقول الرسول ﷺ : «**المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » ، رواه الترمذي وأحمد في المسند ، والبخاري في الأدب المفرد ، ومعلوم أن أصحاب الدعوات الحقة ، لا يؤثرون في الناس إلا بمعاشرتهم والدخول في كوامنهم وضمائرهم ، ولذلك أكد الرسول ﷺ على أهمية هذه المخالطة ، التي تهدف إلى نفع الناس ونصحهم ، وإقامة الحجة عليهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : مرّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عينة من ماء عذب ، فأعجبته لطيبها ، فقال : لو استأذنت رسول الله ﷺ وأقمت في هذا الشعب واعتزلت الناس ، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام :«**لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاة في بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة**» ، رواه الترمذي وأحمد والبزار والحاكم .

إذن: نصيحتي للغرباء في هذا الزمان :

أن يتصفوا بهذا النوع من المخالطة الهادفة ، لإقامة الحجة على الناس، وتبليغهم رسالات الله،وهي مهمة صعبة جداً، قام بها الأنبياء والصالحون، الذين واجهوا الناس بأفكارهم ومعتقداتهم ، وصبروا على أذاهم ، وذلك خير ، وهذا العمل أفضل من نوافل العبادات والطاعات ، ولذلك أرسل عبد الله بن المبارك قصيدة عتاب ، إلى الفضيل بن عياض ، عابد الحرمين ، يعاتبه فيها ، لاعتزاله الناس ، وتركه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، فيقول :

يا عـابد الحـرمين لو أبصـرتنا لعلمت أنك في العبـادة تلعب
من كـان يخضب خده بدموعه فنحـورنا بدمـائنا تتـخـضب
أو كـان يتـعب خـيْله في باطل فخُيـولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبـار الأطيب

قيل: أن الفضيل ابن عياض عندما قرأ هذه الرسالة ، ذرفت عيناه بالبكاء ، إذن الإنسان بطبعه إنسان إجتماعي ، يحب الإجتماع مع غيره ، ولكن هناك حالات يشرع فيها الاعتزال عن الناس ، فقد أشار النبي ﷺ إلى فساد الزمان الذي يتعذر فيه إصلاح الناس وتقويمهم، وأنه يشرع حينئذ للمرء أن يعتزل الناس، ويقبل على خاصة نفسه ، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة ، وتبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم**» ،رواه أبو داود وأبن ماجه ، وصفهم الرسول ﷺ بأنهم حثالة، لا قيمه لهم عند الله، وأنهم أصحاب هوىً متبع، وشحٍ مطاع،كما قال ﷺ لأبى ثعلبة الخشنى: «**حتى إذا رأيت شحاً مطاع، وهوى متبع ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه** » ، فعليك ـ يعنى نفسك ـ ودع عنك العوام وعندما يصل أمرنا إلى هذا الحال ، وما أراه إلا قد وصل ، فأدلكم إلى وصية نبيكم ﷺ كما قال : «**ستكون أثرة وأمور تنكرونها** ، قالوا: يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟، قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم** » رواه البخاري ومسلم .

مظاهر الغربة :

ولقد أصبحت غربة الإسلام الثانية في هذا الزمان، ظاهرة واضحة جلية، كوضوح الشمس في رابعة النهار ، فإذا نظرت إلى:

[١] التشريع في بلاد المسلمين ، وما هو القانون السائد الذي يُعمل به ،

علمت أن الإسلام غريب في أحكامه وتشريعاته ، فقد أصبحوا الآن يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويعبدون آلهة شتى، كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ** ﴾ [النساء : ٦٠]، فالتحاكم إلى محكمة العدل الدولية ، طاغوت ، والتحاكم إلى القانون الفرنسي أو الأمريكي ، طاغوت ، لأن كل هذه الطواغيت تعبد من دون الله، أما نحن المسلمون ، فنتحاكم إلى الكتاب والسُّنَّة ، نتحاكم إلى القرآن ، أما قوانين الجاهلية الغربية ، فلا نعترف بها ، ونكفر بها ، ونضعها تحت الأقدام ، كما قال ﷺ : «**ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي**» ، أما أولئك الجاهليون الذين يتحاكمون إلى غير ما أنزل الله : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)** ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وكلما تحاكم الناس إلى الجاهلية والطاغوت ، زادت غربتهم عن الإسلام .

[٢] وإذا نظرتم كذلك إلى فساد الأخلاق في هذا الزمان ، علمتم أن الإسلام غريب بين هؤلاء المفسدين، الذين لوثوا بفسادهم البر والبحر، المياه والهواء ، الزروع والثمار، ولم يتركوا بيت مدر ولا وبر إلاّ دخلوه، فالزنا أصبح يمارس في بلاد المسلمين وكأنه حرية شخصية ، ويعطى له التراخيص في بيوت الدعارة ، والخمر أصبح يوجد في أضخم الفنادق السياحية، وبنوك الربا ترتفع أعلامها في كل شارع ومدينه من بلاد المسلمين ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على غربة الإسلام في هذا الزمان ، وقد قال رسولكم محمد ﷺ : « **يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر** » ،وقوله عليه الصلاة والسلام : «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمرغ فيه ، ويقول : يا ليتنى صاحب القبر** » هذا ، وليس به بلاء إلاّ الدين فيا أيها المؤمنون : والله ما ظهر في أمة الزنا

والخمر والمعازف وقول الزور والبهتان ، إلا ظهر فيهم الغلاء ، وانتشر فيهم البلاء والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم . وما هذه الحروب الطاحنة ومصائب الحالة الراهنة ، والفتن التي تموج كموج البحر،والآفات التي في هذا الدهر ، إلا نتيجة الأخلاق الفاسدة . والإعراض عن تعاليم الكتاب والسُّنَّة ، شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥)** ﴾ [إبراهيم : ٤٥] .

زوال الغربة الثانية :

أيها المؤمنون: إنكم تعلمون ، ونعلم جميعا ، أن غربة الإسلام الأولى التي عاشها المسلمون في مكة ، لم تزلْ ، إلا بعد أن واجه الرسول ﷺ والذين آمنوا معه ، جحافل الكفر وصناديد الجاهلية ، وعليه يجب أن نعلم ما هي الخطط والبرامج التي يمكن من خلالها ، إزالة الغربة الثانية للإسلام ، والتي أشار إليها النبي ﷺ بقوله : «**وسيعود غريباً كما بدأ**» ، وكذلك يجب على الدعاة إلى الله والمخلصين من هذه الأمة ، أن يُزيلوا غربة الإسلام الثانية التي يعيشها المسلمون اليوم، بكل ما يستطيعون من قوة وإمكانات ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال ثوابت ومرتكزات ، أولها:

[١] **الجهاد في سبيل الله** :الذي يمكن من خلاله أن يمسح غبار الذلة والمهانة، ويقشع هذه الغربة عن المسلمين ، وبه تحي نفوس الصالحين ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . فالجهاد في سبيل الله ، دليل صدق على الإيمان ، لأنه يأخذ بأيدي المؤمنين الغرباء في كل زمان ومكان ، ويخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن الهزيمة إلى النصر بإذن الله . ولذلك وجب الجهاد في سبيل الله

لحماية حوزة الدين ، وإزالة الغربة عن المؤمنين، عملاً بقوله تعالى: ﴿ **انفروا خفافا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ [التوبة: ٤١]، وما أحوجنا في هذا الزمان الذي نعيش فيه غربة الإسلام الثانية ، إلى قوة السلاح ، وإلى البذل والتضحيات من أجل لا إله إلا الله، وإفهام الناس بأن هؤلاء الغرباء المستضعفين، والذين يوصمون بالإرهاب ، هم الذين يملكون حق الشرعية في الأرض، ولذلك وعدهم الله عز وجل بقوله : ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴿٥﴾ ﴾ [القصص: ٥] .

إذا أيها المؤمنون الغرباء في آخر الزمان، المتمسكون بدينهم ، اصبروا وصابروا ورابطوا ، فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصابر على دينه كالقابض على الجمر ، كما قال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه : « **يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر** » .

موطـــن الغربـــاء :

أيها المؤمنون: إن الغرباء الأولون كانوا يبحثون عن أرض يسكنون فيها ، وقوة يستندون إليها بعد الله عزوجل ، فكان النبي ﷺ يتبع الناس في منازلهم وأسواقهم ، ويقول لهم: « **من ينصرني ؟ ، من يؤوني ؟ ، حتى أبلغ رسالات ربي** » فهاجر أصحابه رضي الله عنهم إلى الحبشة مرتين ، يبحثون عن هذه الأرض الآمنة التي يأمنون فيها على دينهم ونسائهم وأطفالهم ، ثم هاجروا إلى المدينة المنورة ، فكانت خير منازل الغرباء في ذاك الزمان ، أمّا اليوم فلا أدري أين يعيش الغرباء ، وأين موطنهم الأصيل، وأي بلاد تأويهم وتستقبلهم ، غير أني وقفت على بعض الأحاديث الصحيحة التي أشار فيها النبي ﷺ إلى أن بلاد الشام واليمن ، هي خير منازل الغرباء في آخر الزمان ، من ذلك ما رواه البخاري في صحيحة قوله

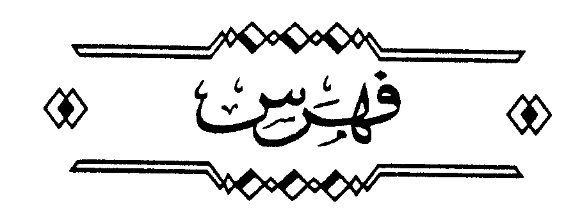
عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال من أُمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك** » ، فقال مالك بن يخامر ، سمعت معاذاً يقول: وهم بالشام ، وحينما سئل رسول الله ﷺ : وأين هم ؟، « **قال: ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس**» ، كما في حديث أمامة الذي رواه الطبراني ، ورواه الإمام أحمد من طريق آخر ، ولا شك أن بلاد الشام قد كان لها سابقة في الإسلام منذ عهد طويل ، وقد يراد بالذين يكونون ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، هم أولئك الذين ينضمون إلى المهدي عليه السلام في آخر الزمان ، وجاء في حديث سلمة بن نفيل الذي رواه النسائي والبخاري ، قوله عليه الصلاة والسلام: «**وعقر دار المؤمنين الشام**»، أي أن بلاد الشام: هي الموطن الرسمي والرئيسي ، وهي القاعدة الصلبة التي يأوي إليها الغرباء في آخر الزمان ، ولعله يكون لأهل الشام في الأيام المقبلة صولات وجولات في القضاء على أعداء الإسلام، المقيمين في بلادهم ، والذين يعيشون بين ظهرانيهم ، أو المجاورين لهم ، وخاصة أننا نسمع أن المعركة الفاصلة ستكون في بلاد الشام ، وبالتحديد في مدينة دمشق ، كما قال ﷺ : «**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة ، في أرض بالغوطه ، في مدينة يقال لها دمشق**» .

وكذلك ثبت أن للغرباء في اليمن صولات وجولات ، منها قوله ﷺ وهو مُوَلٍّ ظهره إلى اليمن: «**إني لأجد نفس الرحمن من هاهنا**»، أي من جهة اليمن، وأهل اليمن: هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار، وسيقاتلون مع المهدي إن شاء الله، ويُسَمَّون أهل المدد، ولكن من هم أهل اليمن الغرباء الذين يناصرون الله ورسوله؟،أهم أولئك الذين يشربون الخمور ويصنعونها في بلادهم؟! ، أم أولئك الذين يقفون مع القوي الظالم ليأخذ حق المظلوم؟! ، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ [هود:١١٣] ، أم أولئك الذين

يرشون ويرتشون في محاكمهم ودوائرهم ، ويبيعون ضمائرهم من أجل تخزينة ، أو عرض من الدنيا قليل ، أم أهل أولئك الخيرين: يدعون المرأة أن تخرج من بيتها وتنزع حجابها وسترها ، وتشارك الرجال ، وتختلط معهم في مقرات العمل وأروقة المؤسسات ، لتكون جنديّة أو شرطيّة ، والله عز وجل يقول : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وهذا النداء السابق ، موجه إلى أطهر نساء العالمين ، موجه إلى بيت النبوة ، فكيف بنسائنا اليوم، اللاتي يخرجن متبرجات سافرات ، يزاحمن الرجال في الشوارع والأسواق ؟!! .

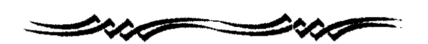
اللهم اهد شباب المسلمين ، ونساء المسلمين ، وشيوخ المسلمين ، وردهم إليك مرداً جميلاً .





فهرس

رقم الصفحة



من أحدث إصدارات دار الإيمان - الإسكندرية



المُناسبات الهجرية

الجُزءُ الأول

كتبه
محمد ناجي سنان
عفا الله عنه

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

من أحدث إصدارات دار الإيمان - الإسكندرية

الخطيب الناجح

الرقائق والإيمانيات

الجزء الثاني

كتبه فضيلة الشيخ

محمد ناجي سنان

عفا الله عنه

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩